الموسيقى الشرقية

والغناء العربي

نصرة الخديوي اسمعيل للفنون الجميلة

الجزء الرابع

تأليف

قسطندي رزق

الثمن ٥٠ قرشاً

المطبعة العصرية

اصاحبها الياس انطون الياس

٦ — شارع الخليج الناصرى بالفجالة بمصر





مذهب الفؤاد مخلوق لحبك — والعيون على شان تراك

والنفوس تحيا لتقربك — والملوك تطلب رضاك

راعِ ربك رق قلبك — إسعف صبك من لماك

دور الجمال منسوب اشكالك — والقمر محسوب ضياك

مين يطول فى الملك وصالك — وانت فى باهي علاك

مين يماثلك مين يعادلك — مين يليق لك فى سماك



اهداء

الجزء الرابع من كتاب الموسيقى الشرقية والغناء العربى ونصرة الخديوى اسماعيل للفنون الجميلة

الى حضرة صاحب الجلالة الفاروق المفدى

ملك مصر والسودان المعظم أدام الله عزه

مولاى

لما كان الشعر والغناء سلعين صحيحين وتوأمين متلازمين وكان الكتّاب والشعراء والفضلاء يغذون الغناء فى عصر الخديوى اسماعيل بثمرات قرائحهم من أدوار وموشحات لحماتها سموّ العواطف وسداها سحر البيان صدّرت هذا الجزء بأغنية مدوَّنة تحت رسم جلالتكم الكريم رمزاً إلى اليوم المجيد الذى سجَّله لجلالتكم التاريخ بعقد مجتمع بقصر الزهراء حضرهُ ملوك وأمراء الجزيرة والعراق واليمن وشرق الأردن ورئيسا جمهوريتىّ سوريا ولبنان ، وكيف لا وقد غرستم بيدكم الكريمة فى أرض الكنانة شجرة السلام والإخاء والمودة والتعاون التى أظلَّت من كانوا خيرَ أُمة أُخرجت للناس وكان من ثمراتها الروحية أن جنوا الحرص على الكرامة القومية والاستقلال كاملاً غير منقوص وأنه ليحقّ لنا أن نغتبط بما كتب الله للجامعة العربية من النجاح والتوفيق بفضل ما أظللتموها به من وارف رعايتكم وأحطتموها من كريم عطفكم وفى الأُغنيَّة من الأوصاف الصادقة لبعيد مُرتقى همَّة جلالتكم وطموح نفسكم إلى خطير المساعى لمجد الوطن ما لا يخفى

لازلتم مولاى إنسان عين الفضل والكمال ورمز الإخاء والتضحية وشمس الهدى التى تُنير قصور الأمراء كما تُنير منازل الفقراء وتبعث بأشعتَّها إلى الرياض الغناء كما تبعث بها إلى الأرض القاحلة على السواء .

خادمكم المطيع

قسطندى رزق

الفن الرومانى

تقدَّم لنا فى الجزء الثالث (ص ٤٤ وما يليها) ذكر الفن البيزنطى والفن العربى وبقي لنا أن نذكر هنا شيئاً عن الفن الرومانى على قدر ما أدّى اليه البحث واتفق لنا العثور عليه فى بطون التاريخ ولذا فاناً نلخّص ما وقفنا عليه من هذا الموضوع تبصرةً وذكرى ونقول ان ايطاليا منحة الطبيعة وموطن الفنون الجميلة ومبعث الوحى والخيال ومحطّ رحال الزوّار من جميع الأقطار وقد سُميت « الجنَّة المنفردة » كما سميت روما التى هى عاصمتها « المدينة الأبدية » وهذه الأخيرة تُعتبر ولا جرم مهد الكثلكة ومن أجمل ما ورد فى وصفها ما قالهُ لويس ڤيليو أنها مدينة النفوس واللسان الناطق الذى تسمعه نفوس الناس كافةً على حدّ جوتا الكاتب الألمانى الكبير الذى قال عنها « أن كل ما لم يكن عندى للآن سوى حديث خرافة أو تقليد مكتوب أصبح عرفاناً جوهرياً حياً »

وإذا نظر اليها الانسان عندما تميل الشمس الى الغروب ألفى فيها ما يوجب الدهشة والاستغراب ويأخذ بمجامع القلوب من قباب ذهبية ومنائر شامخة وواجهات للكنائس بديعة الأشكال الى قصور فخيمة ومبانى شامخة وأشجار خضراء ومياه متفجّرة مما لا يوجد مطلقاً ما يماثله فى مدن باريس وبروكسل وبرلين بحيث ان الزائر عندما يبرحها يتساءل عما اذا كان أحاط علماً بكل شيء منها وهو يتمنّى فى نفسه معاودة رؤيتها على حدّ ما يتمناه شارب ماء النيل من شربه مرةً ثانية مصداقاً لقول هيرودطس أبى التاريخ

على أن ما تتميَّز به روما ليس الأشياء العاديَّة والحديثة العهد التى نراها فيها بل الذكريات المجيدة التى يرجع تاريخها الى ثلاثة آلاف سنة خلت والتى يتبيَّن منها أحوال المدنية الأوربية فى جميع العصور أضف الى ذلك بقاياها الماثلة وخرائبها الوثنية وسراديبها التى إضطجع فيها عظماء رجالها وسائر مبانيها ومتاحفها المملوءة بالكنوز الفنيَّة والإيقونات المقدّسة وغير ذلك مما يُستنبط منه سر نفوذها السياسى والدينى وعلى الجملة فهى فخر الأزمنة وعنوان الحضارة والمدنية الأبدية التى ينطبق طابعها على كل أنواع المدنيات فى العالم وهى وأيم الحقّ حريَّة بأن تُسمى المدينة القاهرة

ذات السلطان على سائر الأمم ولا عجب ان ضربت أوربا الغربية على قالبها وقد اعترف الانكليز بأنهم مدينون للقانون الرومانى والنظام الرومانى والعقائد الرومانية بدليل أن إصطبغت مدنيتهم بطابعها الخاص طوال مدة الاربعة الاجيال الاوَل لعصرنا الحاضر وتغلغلت نزعاتها مهم فى الصميم ولعلّ أصدق وصف لعظمة الرومان ما قاله كارليل لولاهم (الرومان) لأصبحنا نحن الانكليز قوماً جَشِعين من القوط وصيّادى السمك بالسنّارة لا تحفزنا مهمّة ولا ينبض فينا للحميّة عرق نتراجع عن تسنم ذروة الشرف لنتبوأ مكاناً سامياً فى الكون ونسكن مع الارواح الطاهرة حيث نُحاط بالنور الساطع للغَسَق السماوى واذا نظرنا الى حال الانكليز اليوم أخذ منا العجب مأخذه لِما أنهم أصبحوا فى ذروة من العزّة والنعيم ليس لهبوط هذه النعم عليهم عفواً من السماء بل لركوبهم ظهور العوائق ومثابرة الكدّ فى العمل وفضل ما عُرفوا به من عالى الهمم وإنتهاز الفُرَص ولله درّ من قال

تريدين إدراك المعالى رخيصةً ولابدّ دون الشهد من إبَر النحلِ

ومما يُستغرب على ما أبانهُ فى مقال له الرايت أونورابل ستانلى بلدوين رئيس وزراء انكلترا الأسبق أنه لم يكن فى روما القديمة نفسها أيضاً إلاّ رهط من الرعاة المقيمين بآكام البلاتينا وذلك قبل عصر بركليس بعدّة قرون وبعد سقوط ترِوادة بزمان طويل ولم يمض على ذلك نحو ألف سنة حتى سُمع وقع أقدام الرومان الحراس على أسوار المدينة وسطعت أنوار مشاعلهم فوق مياه الفرات وامتدَّت يد روما من ألبسكاي الى الإيكسين ومن الدانوب الى النيل فليتأمل مليًّا طلاّب العلم وأرباب السياسة فى أمر هذا الانتقال السريع وهذه النهضة الجبَّارة التى بهرت عقول البشر فى جميع العصور وليسأل كلٌّ منا عن المملكة الرومانية التى كان لطابعها الخُلقى أعظم أثر فى بلاد أوربا فى ابَّان مجدها وسؤددها ليقول لمَ يا ترى أفَل نجم سعدها ودبّ فيها دبيب الاضمحلال وقذفها القدر فى هوّة الخراب ؟

تلك أيامٌ يداولها بين الناس وبين الممالك سبحان من إستأثر بعلمه وهو يعلم وأنتم لا تعلمون

وقصارى القول فان ايطاليا موطن الفنون والأزياء ومركز دائرة التعليم الفنى ولو قُدِّر لدانت شاعرها أن يكتب عن انكلترا كما كتب شكسبير عن ايطاليا لأمتزجت أفكار الشعبين وتبودلت آراؤهما وتقاربت قلوبهما وفى ذلك من الفوائد الأدبية والماديّة مالا يخفى

على ان شكسبير الروائى الشهير الذى استولى على قلوب قارئيه ونفوسهم بما ألبس رواياته من ثوب الخيالات ولوَّنه بلون رائع خلاَّب تنويهاً بجمال الطبيعة فانه وأيم الحق مدين لايطاليا بما

إستقى من ينبوعها من شهوات بريئة وعواطف نبيلة ورؤى عميقة وشغف بالجمال وحب المُثُل العليا مما حداه على إبراز بعض رواياته التى تحاكّتَ فيها الرُكَب أمثال روميو وجولييت وكاميلين واوتلّو وتاجر البندقية وقد مزج فى هذه الأخيرة الروح المعنوية لعامة الناس مع روح خاصتهم من سكان البندقية وفلورنسا وغيرهم من الفرنسيس واليهود وأعاظم رجال الشرق

على ان فنيسيا تمتاز عن سائر المدن بما تُثيره مناظرها الجميلة من البهجة والحبور والغبطة فى قلوب زائريها وكيف لا وهى المدينة المائية التى اختصتها الطبيعة بأن تجلس على ثمانين جزيرة صغيرة شُيدت على ضفافها القصور الشامخة والكنائس الفخيمة والمنائر المزخرفة والنواقيس البديعة الصنع وعندما يغرب القمر ويروّق الليل البهيم تمخر القوارب المسماة « بالجندول » عُباب هذه الجزر التى تتدفق اليها تباعاً مياه بحر الأدرياتيك مُقلةً رُفقة من الزوّار وقد علاها مصابيح شعبية معدّة للإضاءة والبهجة فضلاً عن نور نجوم السماء الساطع ويخيل لهؤلاء الزائرين أنهم فى النوم يحلمون أو يسمعون قصص ألف ليلة وليلة حينما يسمعون أنغام الموسيقى وأغانى البحّارة الشعبية التى تنسجم مع حركة القوارب التى تتهادى على سطح الماء تهادى العرُوس ليلة الجلوة . ومما هو أشد انطباعاً فى النفس وأكثر مناجاةً للوجدان ما نظمهُ شاعر الانكليز فى رواية « تاجر البندقية » من الاوصاف الشعرية التى بذّت خمريات أبى نواس ومما جاء فى وصف رياض بورتيا ان الحب فى شرفة البيت قد ارتبط تمام الارتباط باوصاف الطرقات التى كستها الشمس بأشعتها الذهبية وبجمال البساتين التى يُضيئها نور القمر وبالامواج التى تقذفها الزوبعة حينما تكفهرّ نجوم سماء ايطاليا ومن ذلك قوله

The mutinous winds
Strike the proud cedars' gainst the fiery sun.

واليكم ما ترجمته تبطش الرياح الشديدة بالرغم عن الشمس الملتهبة بأشجار الأرز الشامخة

وعلى الجملة فان عشّاق البندقية لا يفتأون ينشدون أناشيد الحب الصرد حافظين لمدينتهم المائية مالها بنوع خاص من عهود ومواثيق وطنية كما اهتز الأثير بالحان الموسيقى المتموّجة وقد ذهب شكسبير مذهب دانت فى إجلال شأن الحب وتعظيم قدره لأنه سرمدى يفوق كل أنواع الحب على الأرض والمراد به « الله » عزّ وجلّ على ما جاء بالكتاب المقدّس « الله محبة » وحسبك ما جاء به دانت أولاً من إنشاد انشودة بليغة لبتريكس (وليدة مدينة فلورنسا التى وهبها الخلود فى روايته الذائعة الصيت المسماة « بالكوميديا الالهية ») وقد أوضح فيها غَلَبة الحب على

الموت وكفاهُ فخراً أن تشبهَّ به شكسبير وقال مشيراً إلى الحب (الله) فى روايته ما يأتى بالانكليزيه

That moves the sun in heaven and all the stars

واليكم ما معناه الحب يزعزع الشمس فى السماء والنجوم كافةً

ومما لا يختلف فيه اثنان ان شكسبير عندما زار ايطاليا أخذ عنها الشيء الكثير الذى أدمجه فى صاب اربع رواياته وفى عدّة أبواب من ديوانه ويقال أنه مدين لعلومها البعيدة العهد التى ترجع الى القرون المتوسطة وهى السبب الوحيد الذى أثار فى نفسه الشغف بالجمال والإشادة بالفروسية مما ساعدهُ على بلوغ أعلى منزلة فى الشعر لا يتعلق بها درَك ومما لا يحتمل مناقشةً ولا جدالاً انه إغترف من سيل وادى ايطاليا التى هى بلا مراء أمّ الفنون الجميلة وموطن العباقرة فى الشعر والموسيقى والتصوير وهندسة البناء



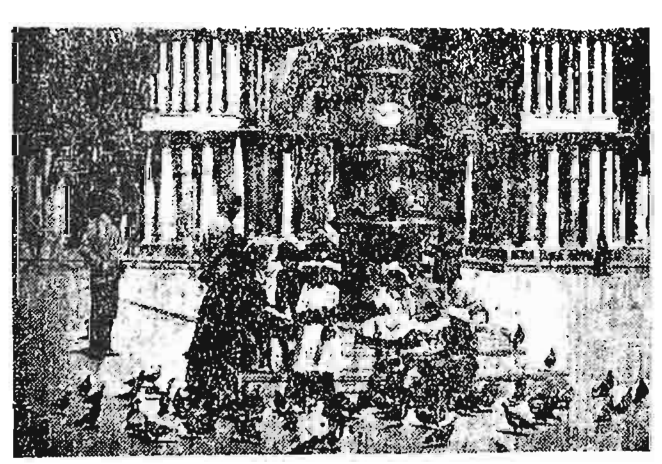
مدينة البندقية

ومن أدق ما وصف به حافظ ابراهيم شكسبير احتفالا بذكراه لمرور ثلثمائة سنة على وفاته قولهُ من قصيدة طويلة نقتطف منها ما يأتى

ألا ان ذكرى شكسبير بَدَت لنا ... بشير سلام ثغره يتبسَّمُ
فلو أنصفوا أبطالهم لتهاونوا ... قليلاً وحيّوا شعره وترنَّموا
ولم يطلقوا فى يوم ذكراه مدفعاً ... ولم يزهقوا نفساً ولم يتقحَّموا
لهُ قلم ماضى الشباة كأنما ... اقام بشقّيه القضاء المحتمُ
ولوعٌ بتصوير الطباع لم يحز ... بعاطفة إلا حسبناه يرسمُ
أرانى فى (ماكبيث) للحقد صورةً ... تكاد بها احشاؤه تتضرَّمُ
ومثل فى (شيلوك) للبخل سحنةً ... عليها غبار الهون والوجه أقتمُ
وأقعدنى عن وصف (همليت) حسبها ... وفى مثلها تعيا البراعة والفمُ
دع السحر فى (رميو) و(جوليت) إنما ... يحسّ بما فيها الأديب المتيم
أتاهم بشعرٍ عبقرىٍ كأنه ... سطورٌ من الإنجيل تُتلى وتُكرمُ

ندىٌّ على الأيام يزداد نضرةً ويزداد فيها جِدّةً وهو يقدمُ
أطلَّ عليهم من سماء خياله وحلَّق حيث الوهم لا يتجشمُ
وجاء بما فوق الطبيعة وقعهُ فأكبر قومٌ ما أتاهُ وأعظموا
لقد جهلوه خفيةً ثم ردّهم اليه الهدى فاستغفروا وترحّموا
كذاك رجال الشرق لو ينصفونهم لقام لهم فى الشرق والغرب موسمُ
أضاء بهم بطن الثرى بعد موتهم وأعقابهم عن نور آياتهم عموا
فقل لبنى التاميز والجمع حافلٌ به يُنثر الدرّ الثمين ويُنظمُ
لئن كان فى ضخم الأساطيل فخركم لفخرُكمُ بالشاعر الفرد أعظمُ

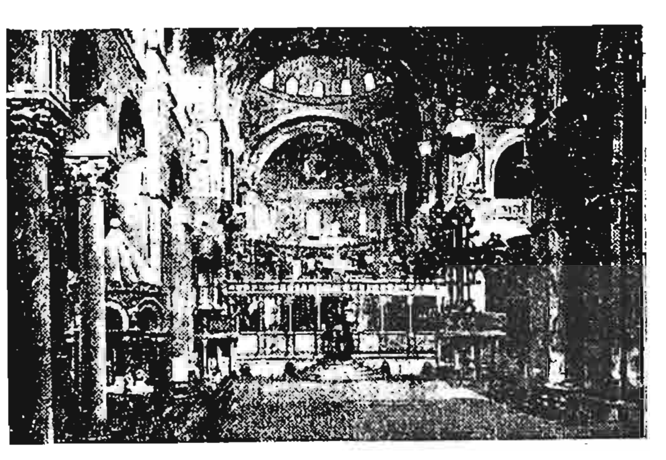
وغنىٌّ عن البيان أن فى فينسيا مئة وثلاثين كنيسة وقصوراً تحتوى على أجمل التماثيل المصنوعة من الرخام الناصع مما يعزّ وجوده فى بلاد أوربا فضلاً عن صُوَر مزينة بالفسيفساء وغيرها مما هو مرسوم فوق جدران الكنائس ويقرب من فنيسيا ساحة القديس مرقس المبلَّطة بالرخام ويبلغ طولها ١٧٥ متراً وعرضها ٨٠ متراً وفى جانبيها يمرح ألوف من الحمام عُنى بتربيته فى الأبراج أهل فنيسيا تذكاراً لانتصار أبلغهم نبأه طائر من السلف من حمام الزاجل كما يُرى ذلك بذيل الصورة أمامك .



الحمام فى ساحة القديس مرقس

ومن لطيف ماذُكر فى خطط المقريزى ان العزيز بالله (فى أواخر القرن الرابع) أراد أن يسافر الى الشام فى زمن ابتداء الفاكهة فأمر الوزير (يعقوب ابن يوسف بن كلس) أن يأخذ الأهبة لذلك فقال يا مولاى لكل سفر أهبة على مقداره فما الغرض من السفر فقال انى أريد التفرّج بدمشق لأكل القراصيا فقال السمع والطاعة وخرج فاستدعى جميع أرباب الحمام وسألهم عما بدمشق من طيور مصر وأسماء من هى عنده وكانت مئة ونيفاً وعشرين طائراً ثم التمس من طيور دمشق التى هى فى مصر عدّةً فأحضرها وكتب الى نائبه بدمشق يقول ان بدمشق كذا وكذا طائراً وعرّفه من هى عنده وأمرهُ

باحضارها اليه جميعها وأن يصيب من القراصيا فى كل كاغدة ويشدها على كل طائر منها ويسرحها فى يوم واحد فلم يمض الا ثلاثة أيام أو أربعة حتى وصلت الحمائم وعلى جناحها القراصيا فاستخرجها من الكواغد وعملها فى طبق من ذهب وأحضرها الى العزيز بالله فأعجب العزيز بالوزير وقال مثلك من يخدم الملوك » وهذه المساحة يحيط بها عدة قصور فسيحة ذات أقواس جميلة توجد بينها المكتبة القديمة الشهيرة والقصر الملكى الذى تسكنه حاشية الملك من حين الى آخر وتمتد واجهة كنيسة القديس مرقس البيزنطية فى نهاية هذه المساحة وهى مزدانة بالقباب ومبنية بالرخام ومما يزيدها روعة وجمالاً ما يتخللها من تماثيل منحوتة وفسيفساء ذات الوان بديعة منقوشة على اشكال هندسية


كنيسة القديس مرقس

وقد كان للمتقدمين عناية عظيمة بالفسيفساء وخصوصاً فى زمن الرومان وقد واول استعمالها الطليان فى كنائسهم قصورهم ويوجد منها بقايا نفيسة على الرغم مما توالى عليها من الجوائح وأصاب أهلها من الظلم والاضطهاد ولم تبلغ مصنوعات الفسيفساء مبلغها من الأنفة والدقة الا فى عهد اليونان والرومان وهى لا تزال مستعملة فى فلورنسا وروما وأول ما صُنع منها عند الرومان تبليط جانب من معبد الإلاهة الحظ " La Fortune " (الرمزية عند اليونان والرومان) فى بالسترين بأمر سيلاً الدكتاتور الرومانى حوالى سنة ١٧٠ ق م وقد أجمع المحققون من أهل البحث على أنها أول ما نشأت فى آسيا ومما هو بنجوة عن الشك انهــا كانت معروفة قبل الميلاد بآلاف من السنين فى بلاد آشور ومصر وفلسطين والفسيفساء أربعة أنواع النوع الأول منها الذى يقال له Le pavimentum sectile هو أن يقطع الرخام قطعاً صغيرة مختلفة الأشكال على حسب الأصول الهندسية والثانى الذى يقال له Le pavimentum tesselatum ou tesseris structum وهو الترصيع بالفصوص المكعبة والثالث يقال له Le pavimentum vermiculatum وهو نوع من الفسيفساء الغرض منه تمثيل الصورة ووضع قطع من الرخام أو الحجر أو المينا على أشكال خطوط ملتوية ومتموجة حول ماهو مرسوم بالصورة

أما الرابع الذى يقـال له Le pavimentum scalpturatum فانه مركب كالأنواع الأخرى من أحجار ذات ألوان مختلفة إلاّ انه يختلف عنها فى ان الصُور يُجرى تجويفها تجويفاً محكماً بدلاً من ان تُمثل تمثيلاً مسطحاً وتملأ هـذه التجاويف بنوع من المصطكا (mastic) الأبيض أو الأسود تبعاً لموقعها من مختلف الوان الصورة وعلى هذه الطريقة أُجرى تخطيط روما الشهير (Capitole) وكان الرخام بادىء بدء معداً لصنع الفسيفساء بنوع عام الاّ انه رُؤى بعـد ذلك استعمال مواد اخرى ثمينة أو شائعـة وقد عُثر على فسيفساء مصنوعة من مكعبات من طين محرق بالنار مما يسمى باللاتينية l'opus figlinum

أما فى عهـد أُوغسطس فكان الرخام الملوّن مفضلاً عليها ومن أهم المصنوعات وأبدعها التى جمعت عليها يد الحرص الفسيفساء التى عُثر عليها فى بيت Faume فى پمباى وهى تمثل واقعة حرب يظن انها واقعة ايسوس بين دارا والاسكندر وقد ظفرت أولاً كنيسة القديس بطرس بأفخر أنواعها مما استنسخهُ البابوات فى القرن السادس عشر من الصور التى كانت فيها من صنع أشهر المصوّرين فى عصر النهضة الفنية الرومانية كرافائيل ومن فى منزلته فجعلوا الصور التى استحدثوها مكان الصور الأصلية ونقلوا تلك الى الڤاتيكان وقد كان لقسطنطين أيضاً عناية عظيمة بها حتى انه أكثر من المغالاة بها فى الهياكل المسيحية فى الآستانة وبيت المقدس بتغشية جدرانها وسقوفها بأجمل قطع الفسيفساء وأبهاها وقد انتقل هذا الفن من ايطاليا الى الغال على انه قد صُنع فى تولوز فسيفساء بديعة الشكل فى القرن الخامس سُميت دوراتا الاّ انهـا ويا للأسف قد أصابها التلف فى القرن الثامن عشر وقد أُطلق اسمها على كنيسة شهيرة بها يقال لها « سانكتا ماريا دوراتا » لِمـا أن أرضها وجـدرانها كانت تتلألأ بنورها الساطع وقد أنشد تيودلف اسقف اورليـان قصيدة تنويهاً بدقة صنع فسيفساء جرمانيي دى براى بالقرب من القـديس بينواى صير لوار ولا يزال جزء منها باقياً لغاية الآن على ان مجمع نيسيه قضى على بدعة تحطيم الايقونات فى الجيل الثامن وجعل الـكنيسة وحدها مختصة بحماية المصنوعات من الفسيفساء وسائر المبانى و باتت الى الجيل التاسع عشر الفسيفساء التابعة للفن الرومانى الخاضعة لأحكامه فى الولايات الغربية فى مأمن من مؤثرات فسيفساء الشرق التى تطرّق اليها النقص والخلل ويرجع أمر ضعفها فى القرون المتوسطة الى استبدالها بالمينا المنقوشة وسائر أنواع البلاط لتبليط الـكنائس والقصور بسبب غلاء ثمنها وفدح أجر صانعيها

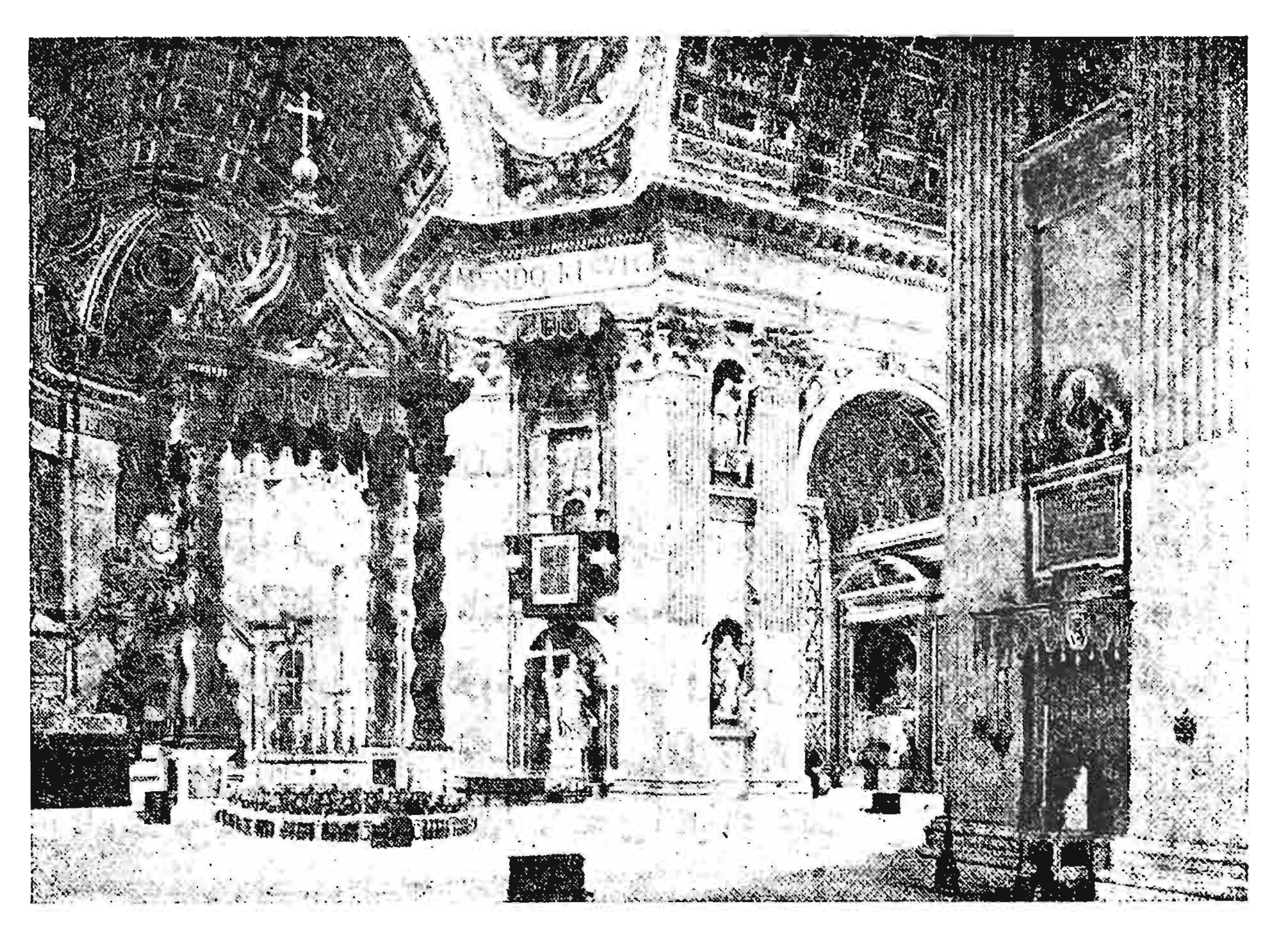
وقد عادت الفسيفساء الى سابق عزّها بأن أُنشئت فى فنيسيا مدرسة خرج منها عدّة مصنوعات

من الفسيفساء بديعة وذلك حينما قام اندريا تافى بتزيين كنيسة القديس مرقس

بيَّن ان البابا كليمان الثامن استدعى الى روما جميع الفنيّين المشهورين فى هذه المدرسة الذين سبقوا فنسخوا صوراً عدَّة لمختلف الكنائس شمالى ايطاليا وعهد اليهم فى تزيين قبة كنيسة القديس بطرس فى روما وقد حذا حذوه من جاء من بعـده من البابوات الذين استنسخوا كما قدمنا أجمل وأبدع ما صنعه عباقرة الفن والمصوّرون أمثال رافائيل ودومينيك وبليجرين وساكى ورومانيـلى ومن فى طبقتهم وقد طبعت على غرارهم مدرسة باولو دى كرستونورس التى انشأها فى اوائل الجيل الثامن عشر وهذه المصنوعات الطليانية التى برزت فى القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر تُعدّ أجمل وأبهى ما رسمته ريشة عباقرة الفنون الجميلة مما تُطاطىء له الرؤوس إجلالاً وتعظيماً وعلى الجملـة فان الفسيفساء على ما اعتراها من ضعف لا تزال الى اليوم تُصنع فى فلورنسا وروما وتُزيَّن بها منازل أرباب الجاه والثروة وقد أنشأ لهـا فى أوائل القرن الغابر نابوليون الأول مدرسة عظيمة فى باريس وقد زالت بزواله سبحان مقلَّب الليل والنهار وهو الواحد القهَّار مع العلم بأن جلّ ما يوجد من هذه الصنعة فى قصر اللوڤر لا يتعدى البقايا التى تخلفت عن العباقرة الأولين



صورة كنيسة القديس بطرس (من الخارج)



صورة لكنيسة القديس بطرس (من الداخل)

بُدىء بتشييد هذه الكنيسة فى سنة ١٥٠٦ بناء على أمر يوليوس الثانى لتحل محل الكنيسة التى بُنيت فى القرن الرابع فى مكان كان ملعباً (Cirque) لنيرون أُريقت فيه دماء الشهداء ظلماً وجىء اليه بجثمان القديس بطرس وقد عُهد الى برامنت المهندس الشهير فى رسم بنائها وخلفهُ كثير من المهندسين نذكر منهم سنجالو و بروتزى وميكلانج الذى بنى قبّتها ومادرنا ولزم اتمام بنائها أكثر من قرن و بلغت نفقاتها نحو مئتين وستين مليون فرنك ايطالى وتولى تكريسها اربان الثامن سنة ١٦٢٦ وقد رُسمت على شكل صليب لاتينى قاعدته أطول من ذراعيه و يبلغ عرض واجهتها أكثر من مئة وعشرين متراً وعلوّها خمسة وخمسين متراً ولها ثمانية أعمدة كورنثيّة الشكل يبلغ علوّ الواحد ٢٦ متراً وقطر قاعدته ٢٫٤٥ سنتيمترا وهي محاطة بصف من تماثيل علوّها خمسة أمتار وهى تمثّل السيد المسيح والسيدة العذراء والرُسُل وقد أُقيم فى طرفىّ الرواق تمثالان عظيمان يمتطيان جوادين أحدهما لقسطنطين والآخر لشارلمان و يعلو هذا الرواق البالغ ١٥٠ متراً طولاً و ٢٥ متراً سمكاً و ١٦ متراً عرضاً صالة ذات قباب واحد معدّة لتتويج البابوات وبها جناح (بلكون)

يخرجون منه لاعطاء البركة الرسولية للشعب الايطالى فى يوم الخميس المقدّس وفى عيد الفصح من كل سنة وذلك قبل سنة ١٨٧٠ والذى يميّز خارج الكنيسة عن غيرها قبّتها المرتفعة البالغ علوّها ٦٧ متراً وهي قائمة فوق أقواس ترتكز على أربعة أعمدة مربعة الشكل تبلغ ثخانتها ١٨ متراً ويبلغ قياس قطرها ٤٢ متراً وعلوها فوق الأقواس ٥٠ متراً فيكون علوّها الاجمالى إذن ١١٧ متراً فوق البلاط ومما يلفت الانظار مصباح مقام فوق قبّتها يبلغ قياسه ١٦ متراً ويبلغ ضوءه فى الهواء الى ١٣٤ متراً (طرف الصليب الذى يتوّج البناء)

يبلغ قياس هذه الكنيسة (من الداخل) ١٨٧ متراً طولاً و ١٣٧ متراً عرضاً (من وسطها) ومن طرفها ٤٧ متراً عرضاً و ٤٥ ارتفاعاً ويبلغ مسطحها الاجمالى ٢١ متر مربع أى أكثر من هكتارين (الهكتار عشرة آلاف متر مربع) أما كنيسة القديس بولس بلندرا فان مساحتها ١٥٨ متراً وكنيسة فلورنسا تبلغ مساحتها ١٤٩ متراً وكذلك كنيسة ميلان فان مساحتها ١٣٥ متراً وكنيسة بولونيا ١٣٣ متراً وكنيسة القديس بولس بروما فان مساحتها ١٢٨ متراً وكنيسة القديسة صوفيا بالآستانة ١١ أمتار وهناك تفاصيل طويلة فى وصف ما تحويه كنيسة القديس بطرس من مصنوعات غالية الثمن وتماثيل فخيمة من رخام وكذلك أعمدة وقباب وجدران مغشاة بالفسيفساء وأكثرها معلوم للقراء فاضربنا عن استيفائها حبّ الاختصار

ومما هو جدير بالذكر أن نشير الى ما هو أغلى ثمناً وأعظم قدراً ألا وهو قطعة من خشبة الصليب الحقيقية والحربة التى طُعن بها جنب السيد المسيح وكساء القديسة فيرونيك ولابياتا " La Piata " من صنع ميكلانج وضريح القديس بطرس أمير الرسُل وغير ذلك من التحف التاريخية التى لا تُقدر بثمن والتى لا تزال فى حوزة هذه الكنيسة .

العجائب الفنية فى فلورنسا

فلورنسا موطن أُسرة مدسيس ودانت مؤلف « الكوميديا الالهية » وبيك مرندول وجاليلاى وميكافيل وممن نبغ فيها من مشاهير الموسيقيين لولىّ وكيريبينى وروسينى ومن المصوّرين سيمابوياى وجان فيوزول المسمى « فرا انجليكو » أى مصوّر الملائكة لما يؤنس فى تصويره من الطهر والخيال الفياض والابتكار ورُوى انه كان يستخرط فى البكاء حينما كان يصوّر لوحات آلام السيد المسيح وكان من أمره انه اعتاد قبل بداءة التصوير ان يطلب من الله قوة والهاماً ورشداً

وكذلك جيوتو صديق دانت فانه فى مقدمة عباقرة فن التصوير فى القرن الرابع عشر بسبب ما أوجد فيه من دقة التعبير والخيال الطبيعى والطلاوة والسحر المبين وقد اشتهر بالاخص بتصوير قبة جرس علوها ٨٤ متراً وقد زينها بالتماثيل الجميلة وغشاها بألوان الرخام البديعة وهى مجاورة لقبة كنيسة فلورنسا فضلاً عن انه نحت بأزميله اثنتين من الصور الناتئة التى ازدان بهما هذا البناء الجميل على أن ما أبنّاه فى هذا الباب من الشواهد التاريخية كاف فى الدلالة على عظمة الفن الرومانى غير اننا اجابةً لقراء هذا الكتاب وتنبيهاً لسائر الذين خفيت عليهم معرفة ما امتازت به ايطاليا من احراز خطر السبق فى مضمار الفنون الجميلة وصنوف النبوغ والابتكار لم نجد بأساً ان نتتبع سائر ما يبدو لنا مفيداً وحرياً بالذكر من دون أن نُتَّهم بالشرود عن موضوع الموسيقى التى يدخل تحتها الفن بكماله ليكون كتّابنا الألباء على بيّنة من تخلف الشرق عن الغرب فى العلوم والفنون على السواء

ومما يجمل ذكره أن نسرد رؤساء مدرسةالطليان حسب ترتيب موالدهم وهم ليونار دىفنسى وميكلانج ورافائيل وفرا برتليميو وأندريا دل سارتو وكوريج وتيتيان وجيورجين وغيرهم ولكل منهم أنصار ومعجبون حذوا حذوهم وضربوا على قالبهم وكانوا خير خلف لخير سلف ويُعدّ بلا مراء هذا العصر بعصر فن التصوير الذهبى .

هاكم بعض أبيات نظمها لامرتين تنبيهاً لفضل فلورنسا على الفنون الجميلة وتنويهاً بمصنوعات العباقرة الطليان .

La voilà cette ville ou l'histoire des arts
Ecrite en lettres d'or se lit de toutes parts:
Où la main du génie a semé les merveilles.
Où vinrent se nourrir ainsi que des abeilles
Tant d'artistes divins dont le monde jaloux
Admire les travaux en extase à genoux!
La voilà, gracieuse, assise en sa vallée.
Et d'honneur et d'amour par l'univers comblée,
Cette mère de l'art dont le lait généreux
Pour la gloire nourrit des enfants si nombreux:
Cette citée des fleurs prodigue d'un miel rare
Où Michel-Ange a fait le marbre du Carrare
Penser sur un tombeau !

واليكم ما ملخّص ترجمته ها هي مدينة فلورنسا التي يُتصفّح في أرجائها تاريخ الفنون المكتوب بأحرفٍ من ذهب وقد نَشَرت فيها يدُ العبقرية عظيم المعجزات وَوَرَد شَرعتها كثيرٌ من العباقرة الذين تُطأطئ لمصنوعاتهم الرؤوس إعجاباً وإكباراً وها هي جالسة في واديها تتدلَّل على الملأ وتتمتّع بشغف العالم بها وحبّه لها تلك أمّ الفنّ التي يرضع لبنها الغزير أطفالٌ كثيرون جداً طلباً المجد والسؤدد وتلك مدينة الزهور الطافحة بالعسل النادر حيث نحتَ ميكلانج رخام كارّار الشهير فلنتأمل مليّاً فوق قبر !



المرحوم حافظ بك ابراهيم

بعض أبيات لحافظ ابراهيم بك

في زلزال مسينا

سنة ١٩٠٨

ما ينوّه بعظمة الطليان في الفنون الجميلة

لا رَعَى اللهُ ساكنَ القممِ الشُّمّ ولا حاطَ ساكن القِيعانِ
قد أغارا على أكُفٍّ براها بارىءُ الكائناتِ للإتقانِ
كيف لم يرحما أناملَها الغُرَّ ولم يرفُقا بتلك البنانِ
لَهْفَ نفسي وألف لهفٍ عليها من أكُفٍّ كانت صناعَ الزمانِ
مُولعاتٍ بصيدِ كلّ جميلٍ ناصباتٍ حبائل الألوانِ
حافراتٍ في الصخر أو ناقشاتٍ شائداتٍ روائعَ البنيانِ
مُنطقاتٍ لسانَ كل جمادٍ مُفحماتٍ سواجع الأفنانِ
مُلهماتٍ من دقّة الصُنع مالا يُلهَمُ الشعرُ من دقيق المعاني
مِن تماثيلَ كالنجومِ الدَّراري يهرمُ الدهرُ وهي في عُنفوانِ

عَجَبٌ صُنعُها وأعجبُ منهُ ... صُنعُهُ تلك قدرةُ الرحمنِ

إيهِ (مِسِّينَ) آنِسِي اليوم « بمُبْـ ... ـمِي » فقد أوحشتْ بذاكَ المكانِ

آنِسِي الذرَّةَ التي كانت الحِلْـ ... ـيَةَ في تاجِ دولةِ (الرُّومانِ)

غالَهَا قبلكِ الزمانُ اغتيالاً ... وهي تَلهو في غبطَةٍ وأمانِ

جاءها الأمرُ والسَّراةُ عُكوفٌ ... في الملاهي على غناءِ القِيانِ

بين صَبٍّ مُدَلَّهٍ وطَروبٍ ... وخَليعٍ في اللهو مُرخَى العِنانِ

فانطووا كانطواءِ أهلكِ بالأمْـ ... ـسِ وزالت بشاشةُ العُمرانِ

أنتِ (مسّينَ) لن تزولي كما زا ... لتْ ولكن أمسيتِ رهنَ الأوانِ

إنَّ إيطاليا بنوها بناةٌ ... فاطمئني ما دامَ في الحي باني

فسلامٌ عليك يومَ تَوالَيْـ ... ـتِ بما فيكِ من مَغانٍ حِسانِ

وسلامٌ عليكِ يومَ تَعُودِيـ ... ـنَ كما كنتِ جَنَّةَ الطليانِ

وسلامٌ من كل حيٍّ على الأرْ ... ضِ على كل هالكٍ فيكِ فاني

وسلامٌ على الأُلَى أكلَ الذئـ ... ـبُ وناشتْ جوارح العِقبانِ

وسلامٌ على امرىءٍ جادَ بالدمْـ ... ـعِ وثَنَّى بالأصفرِ الرنَّانِ

ذاكَ حقُّ الإنسانِ عند بني الإنْـ ... ـسانِ لم أدعُكُمْ الى إحسانِ

فاكتبُوا في سماءِ (رِدْجُو) و(مسّيـ ... ـنَا) و (كالبريا) بكل لِسانِ

هاهُنا مصرعُ الصناعةِ والتصـ ... ـويرِ والحِذقِ والحِجا والأغاني

رحلة حافظ ابراهيم بك الى إيطاليا

(قصيدة نُشرت فى نوفمبر سنة ١٩٢٣) وهاكم بعض أبياتٍ منها

فيكِ يا مهبطَ الجمالِ فنونٌ ... ليس فيها عن الكمالِ قصورُ

ودُمًى جَمَّعَ المحاسن فيها ... صَنعُ الكفِّ عبقريٌّ شهيرُ

قد أُقيمتْ منَ الجمادِ ولكنْ ... من معاني الحياةِ فيها سُطورُ

فهي تَبْدو من الملائكِ يكسُو ... ها جمالٌ على حِفافيـه كسُورُ
أُمِرَتْ بالسكوتِ من جانبِ الحـ ... قِّ بدُنيـا فيها الأحاديثُ زورُ
أرضهم جَنَّـةٌ وحورٌ وولدا ... ن كما تشتهي وملكٌ كبيرُ
شمسهُم غادةٌ عليهـا حِجابٌ ... فهيَ شرقيَّـةٌ حَوَتْها الخـدورُ
شمسنا غادةٌ أبتْ أن تَوارَى ... فهي غربيـةٌ جلاها السُّفورُ
جوُّهم في تقلبٍ واختلافٍ ... غيرَ أنَّ الثباتَ فيهم وَفيرُ
جوُّنا أثبتُ الجِواءِ ولـكنْ ... ليس فينا على الثبات صبورُ
ولديهم من الفنونِ لُبـابٌ ... ولدينا من الفنونِ قُشُورُ
أنكرَ الوقفَ شرعُهُم فلهـذا ... كلُّ ربعٍ بأرضهم معمورُ
ليسَ فيها مستنقعٌ أو جِـدارٌ ... قد تَداعى أو مسكنٌ مهجورُ
كلُّ شـبرٍ فيها عليهِ بنـاءٌ ... مُشمخِرٌ أو روضـةٌ أو غديرُ
قسَّموا الوقتَ بينَ لهوٍ وجدٍّ ... في مدى اليوم قسـمةً لا تجورُ
كلُّهم كادحٌ بَكورٌ إلى الرِّزْ ... قِ ولاهٍ إذا دَعاهُ السرورُ
لا تَرَى في الصباحِ لاعب نَردٍ ... حَولهُ للرهان جمٌّ غفيرُ
لَا ولاَ باهِلاً سـليمَ النواحي ... للقهاوي رواحُـهُ والبُكورُ
لم يَحُـلْ بينهم وبين الملاهي ... أو شؤونِ الحيـاةِ جَوٌّ مطيرُ
لا يُبـالُونَ بالطبيعةِ حَنَّتْ ... أم تجنَّتْ أم احتواها النَّعُورُ
عَصفتْ فوقهم رياحٌ عواتٍ ... أم أجازتْ بهم صَبا أمْ دَبورُ
قد أعدُّوا لحادثاتِ الليـالي ... عُدَّةً لا يَحُوزُها التقديرُ
نَضَّروا الصخرَ في رُءوس الرواسي ... ولدينا في موطنِ الخِصب بورُ
قد وقفنا عندَ القـديمِ وساروا ... حيثُ تسري الى الكمال البدُورُ
والجواري في النيلِ من عهدِ (نوحٍ) ... لم يُقـدَّرْ لصُنعِها تغييرُ
وَلعَ القومُ بالنظافةِ حتى ... جُنَّ فيهـا غنيُّهم والفقيرُ

فاذا سرتُ في الطريق نهاراً خلتُ أنّي على المرايا أسيرُ
أفرطَ القوم في النظام وعندي ان فرطَ النظام أسْرٌ ونيرُ
ولذيذ الحياةِ ما كان فوضى ليس فيها مسيطرٌ أو أميرُ
فاذا ما سألتني قلتُ عنهمْ أمّةٌ حرّةٌ وفردٌ أسيرُ
ذاك رأيي وهل أشارك فيهِ انّهُ قولُ شاعرٍ لا يضيرُ
حلَّ تركُ الصلاة في هذه الأرْ ض وحلَّتْ لنا عليها الخُمور
قد بلوتُ الحياةَ في الشرقِ والغرْ بِ فما في الحياةِ أمرٌ يسيرُ
مِن ثَواء فيهِ الملال لزامٌ أو رحيلٍ فيهِ العناء كثيرُ

رافائيل سانتزيو وُلد في أُوربينو من ولايات الكنيسة في ايطاليا في ٦ ابريل سنة ١٤٨٣ وتوفى في ٦ ابريل سنة ١٥٢ وهو أعظم المصوّرين وأوسعهم شهرة في عصر النهضة وهو يرجع الى عائلة مطبوعة على حبّ الفنون الجميلة والصناعة اللطيفة ، اذ أن أباهُ جيوڤاني سانتي كان مصوراً وشاعراً ، ولا بدع فان صاحب الترجمة لم يكن مصوراً فحسب بل كان نحاتاً (حفاراً) ومهندساً ماهراً وبنّاءً عظيما

ولما أنس فيه والده الميل الى فن الرسم عكف على تلقينه كل ما يهمّ معرفته ثم أرسله الى بيروجيا حيث يقيم المصوّر المشهور فنوتشي المعروف بالبيروجي (نسبة الى بيروجيا) ليكمل علومه في الفن فأخذ يعمل بجانبه واصلاً صباحهُ بمسائهِ حتى أبرَّ عليهِ وأول تصوير لهُ صورة القديس يوحنا التي أُودعت كنيسة سيتا دي كَسْتِلّو ومن مميزاته الابتكار وقد اعتاد ألا يقلد أحداً من المصوّرين سوى الطبيعة وعُرف بسلامة الذوق والتناسق والانسجام تخطيطاً وتلويناً وقد بذّ ميكلانج منافسهُ وهو لا تُفتح العين على مثلهِ في تصوير صُور للسيدة مريم العذراء المعروفة « بالمادونّا »

وفي سنة ١٥٠٨ استدعاهُ يوليوس الثاني بابا رومية بإيعاز برامنت لبناء كنيسة القديس بطرس ولما كان بحضرته أمره أن يُزيّن قاعات الفاتيكان بعمل صُور لها على الملاط الطريء الذي عندما تمتزج به الألوان تُصبح هذه الأخيرة ثابتة ولا تزول البتة وقضى في هذا العمل حوالى عشر سنوات

ومصنوعاتهُ لاتُعدُّ ولا تحصى نذكر منها صورة العائلة المقدَّسة التي اختصَّ بها دير القديس انطون وهي موجودة الآن بأمريكا ، وصورة مريم البتول مع يسوع ابنهـا ، وصورتيْ القديس فرنسواى داسيز والقـديس انطون دي بادو وصورة القديس يوحنا السابق الإيماء اليها . وصورة مدرسة آثينا وصورة الملك ميخائيل متغلباً على الشيطان وقد أهداها لملك فرنسا الذي أجزل لهُ العطاء وأردفها رافائيل بهدية أخرى بعث بها اليهِ دلالةً على شكره لهُ ألا وهي صورة عائلةٍ مقدَّسةٍ طاهرة بلغت أبعد الغايات في الإبداع والإتقان وسموّ الخيال ولما كان أجمل شبان إيطاليا وأبعدهم مدارك أراد الكردينال بيبينا أن يزوِّجه بنت أخته وكانت أجمل نساء روما وكان البابا لاون العاشر قاصداً ان يجعله كردينالاً إلاَّ أن شيطان الشهوات تغلب عليه فاسترسل في جهالتهِ ووقعتْ بقلبه إمرأة يقال لها فورنا رينا (أي الخبَّازة بالطليانيـة) وقد جَلبتْ لبَّهُ وسبي بلطف دلَّها وانتهى بهِ الإفراط في الملذات إلى أن ضَعُف جسـمهُ وأصابتهُ حمى خبيثة فاشتدَّ عليهِ الداء ولم ينجع فيه دواء فـكان كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ ومات في عنفوان الصبـا غير متجاوز سـبع وثلاثين سنة وقد رُفع على المناكب أمام جنازته صـورةٌ له تُعدُّ من معجزات الفن الباهرات ألا وهي صورة « تجلي المسيح على الجبل » ومن صـنعه أيضاً صورة البستانية الجميلة وجدال القربان المقدَّس والبرناس (لوحة مصوَّرة مودعة بحجرات الفاتيكان) وكتاب مصـوَّر يقع في ٥٦ صحيفة مزينة على الوجه والظهر بأروع الصور وأجملها

مادونا كلمة طليانية معناها سيدتي ma dame وهي تمثـال صغير الحجم يُوضع في الساحات العمومية أو في مخادع الجدران بروما التي يوجد فيها مالا يقلّ عن ١٤٠ تمثال لمريم العـذراء خلا ما يوجد منها في الـكنائس والقصور والمخازن وكان لرافائيل اليد الطولى في صنعها ولهُ مالا يقلّ عن ٤١ تمثالاً بديع الشكل للعذراء ويليه في هذه الصناعة فرا انجليكو المقدم ذكره



مادونا دلاَّ سديا فى قصر بيتى بفلورنسا والصورة تمثل مريم العذراء وطفلها يسوع

بَيْنٌ أن ايطاليا كفرنسا وغـيرها قاست الأمرين من جراء الثورات العديدة التى قلبتها

رأساً على عَقِب فضلاً عن الحروب المدنية والاضطرابات ومغازي الدول المتنوعة وإذا استثنينا بربر القرن الخامس والسادس ونورمان روبرت جيسكار في القرون الوسطى ولا سيما الألمان الذين تحت إمرة القائد بربون في ابَّان النهضة ونعني بها نهضة الغرباء نرى أن ايطاليا مع ما قامت بهِ من مشاحّات وثورات واقتتال في الشوارع وغيرها لم يدُر في خلَدها يوماً أن تمدّ يدالتخريب الى أي من المباني التاريخية أو الدينية التي كانت رمز فخرها في الماضي وأضحت في الوقت الحاضر مورد رزقها ومصدر ثروتها وسعادتها

ويُعزى أكثر التخريب في روما الى الألمان أتباع لوتر عند ما حاصروها في سنة ١٥٢٧ إنظر مؤلف چاك بونابرت المسمّى Le sac de Rome لِتَقف على صنوف الفظائع التي ارتكبوها والتدمير الوحشيّ الذي اقترفوه فضلاً عن أن التاريخ كلهُ شواهد تشهد بما كان من فظاعتهم وعُنفهم في الحروب التي نشبت في سنيّ ١٨٧٠ و ١٩١٤ و ١٩٣٩ وكان من دأبهم إيقاد النار في المكان الذي لم يجدوا فيه غنيمة يستولون عليها وقد أسرفوا في القسوة والبغي والتخريب لكي يتركوا مدينة روما التي قارعت الدهر أزماناً طوالاً قاعاً صفصفاً وبعد أن حطّموا التماثيل المصنوعة من البرنز والرخام وأتلفوا التحف الأثرية الفنية التي كانت فيها أصبحت تلك المدينة الغنآء الزاهرة خُلوة من زخرفها وجمالها وقد روى مونتانبي الفيلسوف الفرنسي في كتابه المسمى رحلتهُ الى ايطاليا (Son voyage d'Italie) أن الهوجنوت هم الذين خرّبوا الكنائس وجرّدوها من المصنوعات الفنية التي تُعدّ من عجائب الزمان ومفاخر الطليان وأن أغلب كنائسنا ضُيِّعت في ابان الثورة والإصلاح كنوزها وتماثيلها وصُورها ومنحوتاتها حتى زجاج شبابيكها مع العلم بان ماتزيّن به اليوم لم يكن الا حديث العهد

وتوالى الأمر على ذلك ما شآء من السنين الى أن قيض الله لروما استعادة رونقها ومنزلتها السامية في الفنون بفضل مساعي البابوات الذين قاموا بحفر الخرائب ونشلوا منها أعمدة الرخام المدفونة فيها وكل ماهو عظيم الأثر من المصنوعات القديمة الفنيَّة طوال مدة خمسمائة سنة . ولا غرابة في ذلك لأن الكنيسة التي تعني بصنع تماثيل القديسين لا تحافظ على الفن فحسب بل تعزّه وتفخر به ولأن حبّ الفنون بل عبادة الفنون وليدة في الطليانيّ سوآءً كان عاملاً أم مزارعاً أم شريفاً من الأشراف أم قسيساً أم بابوياً فضلاً عن ان الفن معناهُ التعبير عن الجميل وكلما كانت النفس طاهرة وراقية ومتنورة اشمأزّت أيّما اشمئزاز من كل فظ ٍ وهو أثقل ما يكون اذا تلطف لأن

النفس الطاهرة ونعني بها النفس المتدينة فانها في الصنع الجميل ترينا نوراً إلهيًّا يشع عنها وكفى الطليان فخراً بان مبانيهم وهيا كلهم أكثر عدداً وأبقى على الأيام أثراً من مباني وهيا كل أي شعبٍ من الشعوب فلا يعدم الصبور الظفر وإن طال بهِ الزمان ولن يفوز بالخير إلا عاملهُ

هذا مجمل ما يُذكر من تاريخ الطليان وما تقلَّبوا فيه من أطوار الحياة خيراً كان أو شرًّا

ولما بزغ النجم في الشرق ليُنير البشرية وينبئها بعصر جديد أفاض نوره الساطع سيلاً متدفقاً من الالهام والإيحاء جرى بين الفن وآداب اللغة . لقد وُلد المسيح في مدود البقر ببيت لحم فسادَ مولدهُ جميع ذكريات بني البشر في ظلمة هذا الشهر من الشتاء وأمَّهُ عدَّةٌ كثيرة من الشعراء والمصورين على حد مافعل حكماء الشرق ليُحققوا الرؤى المجيدة والمعجزات الباهرة التي بواسطتها أمدوا العالم بأعظم ثروة ولله درّ ملتون اذ يقول في مجيء المسيح وان نازعه فيه شك وحار بين المسيحية والاساطير الخرافية

The glorious Form, the Light insufferable,
And that far-beaming blaze of Majesty.

(الشكل المجيد والنور الغير محتمل — ذلك لهب الجلالة) الذى يسطع الى أمد بعيد وانَّا لمن قوم يؤمنون بالله والرُّسُل وكتبهِ ويحقّ لنا إذن الاستشهاد في هذا الصدد بما جاء بالقرآن الكريم (سورة آل عمران) «(٤١) واذ قالت الملائكة يامريم انّ الله إصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساء العالمين (٤٢) يامريم أقنُتي لربّكِ وأسجُدي وأركعي مع الراكعين (٤٣) ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليكَ وما كنت لديهم اذ يُلقُون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون (٤٤) اذ قالت الملائكة يامريم إنَّ الله يُبشّركِ بكلمةٍ منهُ إسمهُ المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين (٤٥) ويكلّمُ الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين (٤٦) قالت ربّي أنَّى يكون لي وَلدٌ ولم يمسسني بشرٌ قال كذلك اللهُ يخلقُ ما يشاء اذا قضى أمراً فانما يقول لهُ كن فيكونْ »

وقد رأينا أن نُطرف القرآء بالأبيات الآتية تعريفا بما تضمَّنتهُ من المعاني الرقيقة في أغراض الفن والعلم والدين سوآء كان في بلاد اليونان أو في ايطاليا مما تستنير به العقول وتنفسح لهُ صدور المطالعين وهي حريَّةٌ بأن تتجلَّى بدُور ألفاظها الأذهان

"Art"

Dream - sensed and gifted with the grace of touch,
The artist utters lofty speech of truth,
Translates the gracious words of Nature's Writ,
And meets the soul of man with visions fair,
Of mystic excellence of colour, form, and tone
He dwells apart in purest atmosphere,
A prophet of the spirit and the simple mind.
The stone, the canvas, pipe or string respond
With tense delight to hear his message forth
In universal language to the opened soul.
Beneath the skies of Greece or Italy
He cuts a Venus or a Faun, paints maiden fair,
Or master swart and strong, Madonna or the Man
In Farther Northland under fiercer force of heaven,
Tells tale of Holy Grail, Messiah, Lohengrin,
In splendid choral song and symphony,
His fellow men see Life and Nature then
With newer soul endowed with newer sense.

فى الفن اليكم ما ملخصه اتسم بالصدق و بليغ المنطق كل متفنّن اشتدّ حِسُّهُ ورقّ إدراكهُ وتمتّع بنعمة اللمس لأنهُ يُعبّر عن المعاني الكريمة المدوَّنة في كتاب الطبيعة و يقابل النفس البشرية برؤى لاذّة و إجادةٍ فائقة في اعطائها ما يناسبها من لونٍ وشكل ونغمٍ ويعيش فى أطهر الأجوآء مستأنساً بالوحدة و يُسمى نبي النفس والعقل الساذج ويجاوبهُ الحجر وقماشة التصوير والمزمار والوتر بأتم السرور ليسمع رسالته بلغة عامة كل نفس حرَّة وهو ينحت تحت سمآء اليونان والطليان تمثال فينوس أو تمثال فون (إلاهة الغابات والحقول عند الرومان)

ويرسم صورة فتاة هيفآء القوام أو صورة أستاذ أسمر اللون مُدمج الأعضاء أو صورة «مادونا» (مريم العذراء) أو انسان السيّد المسيح في البلاد الشمالية البعيدة تحت سمآء ذات قوة أشدّ قسوة و يقص حكاية الكأس المقدسة والمسيح وديوان لوهنجرين بالأغاني المنسجمة الشجية فيرى أتباعه الحياة و بالتالي الطبيعة بنفس جديدة و إحساس جديد



فى مدح الجمال البشرى

(تمة للفن)

Human Beauty

From harmony, from heavenly harmony
This universal frame began
From harmony to harmony
Through all the compass of the notes it ran.
The diapason closing full on man.

Dryden.

واليكم معناه يبدأ تركيب الأصوات العام من نغم الهرمونيا (النغم المتناسق) نغم الهرمونيا السماوي متنقلا في نغم متناسق الى مايماثله ومارًّا بكل العلامات حول دائرة فينوس دى ميلو (فى اللوفر باريس) البرجل حتى يصل الى نهاية أصوات السلم الطبيعي حيث يكون الانسان خاتمة الخلق

وهنا قد يعرض للمتأمل أن ينظر أين موضع الانسان من الجمال وما الذي ميزهُ عن الحيوان والنبات وما خلَّف في الكون من أثر . لقد جَبَل الخالق صورةً من تُربةٍ ونفخَ فيها من روحهِ فَمُثِّلَتْ إنساناً مُفرغاً في قالب الكمال فصيح اللسان حُر المنطق لا نهائياً في مزاياه عجيباً في شكلهِ وحركاتهِ وهو جمال العالَم بدليل أن أجمع قادة الفكر وجهابذة أهل النظر وعباقرة الفنون الجميلة على أن الجسم البشري الذي صاغهُ مُبدع الكائنات هو الجهاز الذي يتمثل فيه جمال الله وقد قضى لاقتار الخالق حقّ الشكر على إنعامه على الرجل بالجمال وجعلهِ المرأة رفيقته مسرَّة حياته وذلك في كتاب وضعهُ تحت عنوان « رسالة في الفِراسة » (An Essay on Physiognomy) أودعهُ من البينات ماجعل الانسان معروفاً حق معرفته وموضع الحب والتقدير وفقاً لما ذكرهُ جارت ولكنسون في كتابه الجليل الذي تحت عنوان « الجسم البشري » (The Human body) وحذا حذوهما هيجل بخلاف بارك فإنه أشاد بذكر جمال المرأة دون غيرها في كتابه المعنون « الرفيع والجميل » (The Sublime and Beautiful)وقد خالفه رسكن فقال أن أروع الجمال الجثماني مُفرغ في قالَب الرجل وحده . فقلْ لي بربِّك من يستطيع أن يصوغ مخلوقاً صيغةً أنيقةً متناسقةً حسنة التقويم

غير مهندس الكون الأعظم الذي لا يُدركه بُعد الهمم على أن قدماء اليونان امتازوا عن سائر الأمم بإعلاء مرتبة الجمال والولع بهِ حتى أنهم صوروا آلهتهم على شكل الرجال ولا غرابة فان الرجل الذي خلقهُ الخالق خلقاً سوياً لا يتوقع البتة أن يُخلق أي مخلوق آخر يكون أرقى منهُ في العالم لما أنَّ خلقهُ على ما أبانهُ آجاسير قد إستنفد مقدرة عُدة الخلق التي تجمَّعتْ فيه وتمَّتْ بواسطتهِ مع العلم بأن الخليقة على ما ذكره مستر داونس قد تدرَّجت صُعُداً على سُلَّم الرقيّ متخللةً بين الذرَّات والالكترون على أشكال متنوعة للحياة النباتية والحيوانية الى أن وصلت الى آنق الأشكال وأحسن التقاطيع وأجمل الصور ألا وهي الإنسان ولا بأس أن نذكر هنا شيئاً فيما كتبه ملتون الشاعر الإنكليزي في ديوانهِ الذي تحت عنوان « الجنَّة المفقودة » عن الفرق الكائن بين الطير والحيوان والانسان الذي اختصَّهُ الله بأكمل المزايا وأحسنها والذي صاغهُ صوغاً مخصوصاً لأسمى الاغراض وأعظمها شأناً

Two of far nobler shape, erect and tall
Godlike, erect, with native honour clad
In naked majesty seem'd lords of all
And worthy seem'd for in their looks divine
The image of their glorious Maker shone
Not equal, as their sex but equal seem'd
For contemplation he, and valour form'd
For softness she, and sweet attractive grace
He, for God only, she, for God in him.

واليكم ما معناهُ إثنان نبيلا المنظر رشيقا القدّ طويلا القامة شبيها الخالق مُنتصبان ومتقلّدان وشاح الشرف الأصلي — الجلالة العارية — ظهرا قابضَين على عنان كل الأشياء وجديرين بالاحترام لأن طلعتهما الوضاءة تشعّ عن صورة الخالق جلَّ جلالُه وهما غير متشابهين في الجنس لأن أحدهما اختصَّ بالتأمل والشجاعة والآخر برقَّة القلب وخفَّة الظل وروح الجاذبيَّة وبعبارة أخرى يكون هو لله فقط وتكون هي فيهِ لله.

وقد وقفت في مجلَّةٍ على كلامٍ في هذا البحث لمستر داونس فقال أن عظمة الانسان الأساسية مطبوعة على شكله ومحيَّاه وكلما كان وفقاً للقانون أوسع معقولاً كان الشكل الذي فيه إدُّخرت مزاياه أكثر تركيباً وأبرع ظرفاً وعلى الجملة فان الرجل جمال الكون وأرقى مرتبة من الحيوان وفي

هذا التميز الذي بين طبيعة الرجل والحياة المستهجنة الغير معينّة لعالمَ النبات والحيوان يجب طبعاً أن تتيقّن سيادة الروح ونعترف بهـا وذلك ما يدعو إلى اعطاء العيون البشرية والأيدي والأرجل السيادة والألوهية فالرجل حيوان لـكنّهُ أيضاً روح تقوم بخدمها أعضاء طبيعية لا نجد فيه رقّةً وتناسقاً وجمال هيئة فحسب بل حياة روحية تُشرِق خلال الهيئة مع العلم بأن الروح داخلة فى كل الجسد كما أن الجسد داخل فى الروح وهو مركب من لحم ودم آتيين من الأرض وكذلك من روحٍ آتيةٍ من السماء ومن الله – إن هي الاَّ نفخة حياة ليس للحيوان نصيبٌ منها ومن أحسن ما جاء فى جمال المرأة قول الشاعر

The light of love, the purity of grace,
The mind, the music breathing from her face,
The heart, whose softness harmonised the whole,
An oh! that eye which was itself a soul,

(هي نور الحب والعذوبة الطاهرة والعقل والموسيقى المنبعثة من محيَّاها والقلب الذي يُمازج الأرواح لرِقّته آواه ! هي تلك العين التى كانت نفسها روحاً)

فى الفن والشكل البشرى

الرجل الحقيقى والمرأة اللذان جَبَلَهما الخالق يُعدَّان أجمل الناس صورةً وألطفهم نشأةً والبرهان على هذا القول ما نراهُ من تمثيل الهيئة البشرية فى الفن على أتمّ وجه على أن الحفّارين من اليونان الذين نحتوا الرخام كما يُنحت الثلج فانهم مثّلوها فى التماثيل التى لا تزال للآن من عجائب العـالم فضلاً عن أن عباقرة الفن للقرون المتوسطة ولعهد النهضة الأوربية قلما كانوا يُعنون بتصوير مناظر الطبيعة وصُوَر البحار بل كان مدار عملهم على تمثيل الشكل الإنسانيّ بنوعٍ خاص باعتباره أجمل الأشكال وآنقها وقد إختصّ اليونان على ما قالهُ إمرسن بتسمية العالم بالجمال والغرض الذي كانت ترمي اليه باديْ بدء عبقريتهم فى الفنّ هو تمثيل الرجل تمثيلاً يرمز إلى الإعجاب والسرور والشجاعة ومما يزيد هـذا القول تأكيداً أن من تفقَّد الصُوَر التى رسمها جيوتو صديق دانت وفرا انجليكو القديس ومازاكيو ذو العين اليونانية النقّادة البصيرة وديورار نصير الحب الخالص وتيتيان الشديد المريرة العالي الـكعب وتنتريتّو الذي لا يُتّهم وُدُّه وميكلانج السبّاق إلى أبعـد الغايات ورافائيل الذي مَلكَ حبُّ المرأة عِنانَه يرى فيها الهيئة الانسانية ممثَّلةً كرمزٍ للجمال الأرضيّ الذي لا يُأفى

نظيرهُ وعلى الجملة فان الهيئة الانسانية هي المثل المركزيّ للفنّ الذي يُعبّر عن الذروة التي بَلَغَتْ إليها وفخرها وتفوّقها على سائر الهيئات المخلوقة فاذا تأملنا ذلك كلهُ وقَابَلْنا موضوع الجسم البشري عِلمًا لم يبقَ عندنا ريب في الاعتراف بأنه من صُنع يد خالق السموات والأرض التي اخترقت الطبيعة وخَلَقَتْ الإنسان خَلْقًا سويًا

That reach through nature moulding man

ومن بديع ما وقفنا عليه في مقال مستر داونس المتقدم ذكره شدّة تأثير جمال الشكل البشري على هين (Heine) الشاعر الألماني بدليل أن تمثال فينوس دي ميلو المعروض في متحف اللوفر بباريس أثار إعجابهُ وراعهُ ما رأى من جمال المرأة ولُطف دلها المُمثَّلين في الرخام الأصم الذي كاد أن يكون لهُ من الساجدين لِما تخيَّل فيهِ من حياةٍ وحركة وأبدع ما قيل من ذلك في الأساطير الخرافية أن بيجماليون الحفَّار القديم العهد فكَّر في هذا التمثال الذي صنعهُ بينما كان مشرفًا على الموت وغادَر مخدعهُ متثاقلاً على ما بهِ من ضعف بَصر وعَرَج قاصداً إلى المتحف ليودع لآخر مرَّة تمثال فينوس المُهشم الذي أخنى عليهِ الدهر ونَفَخَ فيهِ من روح الفن ما جعلهُ يفخر بهِ حتى قبل أن يلفظ آخر أنفاسهِ

في جمال المرأة

أفاض باسكال العفيف الإزار في محاسن المرأة فقال أنها أكمل خِلقةً وأجمل صورةً وأحسن تقويمًا من الرجل وأقوم شطاطًا وأبضُّ قِشراً وأشدّ حِسًّا وأعذب صوتًا وأخف حركة وأصدق شعوراً منهُ لا يُعزى سلطانها على الرجل الى العلاقة الجنسية فحسب بل الى فتنة جمالها التي تَستَهْويه وتجعلهُ أسيراً على حدّ قول ابن دريد

رشأٌ يقتلُ الأسودَ غريرٌ كيف يُردي الأسود ظبيٌ غريرُ

على أن تأثير المرأة الجميلة على الرجل ليس حديث العهد بل يرجع الى عصر هيلانة الأميرة اليونانية التي إختطفها باريس بن بريام ملك تروادة في غيبة زوجها منيلاس لما أنها لم تُفتح العين على أتمّ منها حسنًا واغترقتْ بصره وأشرب قلبهُ حُبَّها طبقًا لما قاله راسين

Une Hélène a soufflé une ardeur meurtrière
Racine.

وقد ذكروا من أمر جمالها أن أعضاء مجلس الشيوخ أصحاب اللحى البيضاء أقتُنِصوا بحبائل

فتنتها حتى أنهم إمتنعوا عن أن يحكموا عليها بتعويض ما جرَّتهُ من الخراب و نال الأهلين من مضار ومعاطب وأغرب من هذا ما أنشدهُ هوميروس الشاعر مؤلف الايلياد والأوديسية

Light of excessive beauty shines unveiled in every limb,
She is the day light of the place and all beside is dim.

وهاكم تعريبهُ (يسطع نور الجمال الرائع في كلٍ من الأعضاء بغير حجاب وهي ضوء النهار حيث توجد وبدونها يكون الظلام)

و بالجملة فإن جمال المرأة يمكننا أن نُنَدِّد بهِ بحجَّة أنه قشرٌ غُمَّتْ علينا معرفتهُ إلا أنهُ يأسر الفؤاد ويخلب اللُبَّ ومنذ سَلَبَتْ كليوباتره حيَّة النيل القديم فؤاد مارك أنطوان كم كان عدد الذين ضحُّوا شَرَفهم وألحقوا بأعمالهم ضَرَراً في سبيل ولعهم بالمرأة وأغرب من ذلك فان الملوك أنفسهم قد إنحنوا بين يديها واقتُنِص الحكماء بحبائل فتْنتها ولا عجب أن يُسحر الإنسان بحبائل شعرها الذهبي وبخدَّيها الورديَّين و بفتور أجفانها و بفتنة سحر عينَيْها وامتلاء ساعدَيها وطول جيدها و إستواء مَتْنَيْها و إحمرار شفتيها ولله درُّ الشاعر اناكريون الذي أنشدَ بالانكليزية

To woman, what? so slender, slim, and slight,
Mid coarse-grained things of masterdom and might,
She gave weak woman Beauty, with a power
More strong than fire or iron, as her dower.

ماذا أعطت الطبيعة المرأة النحيلة الظل المنقوفة البدن الضعيفة المهزولة بين الأشياء ذات السلطان والقوة الغير مصقولة ؟ أعطتها بمنزلة بائنة جمالاً وقدرة أقوى من النار والحديد –

تطلب البشرية الجمال

ألحَّ جون رسكن بشرف نفس في مطالبة المدنيّة بردّ الجمال الى الهيئة البشرية – الجمال الذي كان يرمي اليه الله تعالى – وأوضَحَ لنا أن فاتحة الفنّ تقضي بتنظيف بلدنا وصيرورة شعبنا جميلاً وقد قَدَحَ في أساليب العمل التى تعوق أولاد الفقراء عن النموّ وتشوه مناظرهم وأنحى على المدنية باللوم لأنها عبدت المال وأنكرت على العمال القيام بمراعاة القوانين الصحية التى ينتج منها الجمال فضلاً عن أنه احتجَّ عليها بأن السبب في عدم جمال الصناعة الشكاية يرجع الى الفقر الذي ينبغي للأغنياء أن يحاربوهُ بجميع الوسائل الممكنة التى منها مدّ يد المساعدة لمن قلب لهم الدهر ظهر

المجن ظلماً وكبح جماح النقائص بالقوة والمال وتطهير مدننا من المقعدين والمهزولين والمشوّهيّ الخلق الذين تنبو عن مناظرهم الأحداق والذين سبّبوا لنا العار والحزن وإذا تقرر ذلك أمكن الحكم بأن رحمة الضعيف والمسكين قربةٌ الى الله تعالى وأن انفراد أهل النعَم والثروة بالتمتع بملذّات الدنيا تحطّ من قيمة المدنية ولا تؤدّي الى الشرف فضلاً عن أن وجود الموائد الخصبة وفاخر الرياش في قصورهم الفخيمة وركوبهم الأتوموبيلات السريعة واحتفاظهم بالتُحَف والأواني الفنّية مما يُعدُّ جريمةً لا تغتفر وخيرٌ أن ينهار رخام فيدياس وتَبْهت ألوان صُوَر ليوناردو ويأتي على القصور الخراب والاضمحلال من أن تتشوّه محاسن النساء وتقبح صُوَر الرجال وتتخادل أعضاء الصبيان الأبرياء من جراء المرض والفقر والانحلال قبل الأوان لأن للفقراء نصيبهم من الجمال وهو حقٌّ لهم كالخبز لا ينازَعُونَ فيه ومن الغريب أن يستاء الأغنياء الرأسماليون من العمال ولا يُعيروا مطالبهم الحقّة أذُنًا صاغية ولله درُّ لوويل إذ قال

Have ye founded your throne and altars then.
On the bodies and souls of living men?
And think ye that building shall endure
Which shelters the noble and crushes the poor?
O Lord and Master, not ours the guilt,
We build but as your fathers built;
Behold Thy images how they stand,
Sovereign and soul through all the land.
The Christ sought out an artisan,
A low-browed, stunted. haggard man,
And a motherless girl, whose fingers thin
Pushed from her faintly want and sin.
These set He in the midst of them,
And as they drew back their garment-hem
For fear of defilement " So, here said He.
" The images ye have made of Me!"

هل أقمتم عروشكم وهياكلكم فوق أجساد وأرواح الرجال الأحياء ؟ وهل تظنّون أن البناء الذي يحمي النبلاء ويسحق الفقراء سيدوم ؟ أيها السيد وأيها المعلم ليست الخطيئة خطيئتنا نحن نبني كما بنى آباؤنا . انظر كيف تنتصب صُوَرك سائدة ومنفردة في كل أنحاء الأرض

قد فتّش المسيح عن صانع ضارع الخدّ ضئيل الأجلاد نحيف البدن وفتاةٍ يتيمة من الأمّ رقيقة الأصابع طرَدَ عنها الفاقة والخطيئة وأكرم نُزُلها بين الناس ولما أرخيا طرف ردائهما خوفاً من الدَنس قال لهما أُنظرا هُنا الى « الصُوَر التى كوَّنتماها منى »

مركونى



جوجليلمو مركونى

وُلد جوجليلمو مركونى في بولونيا سنة ١٨٧٥ من أب إيطالي من ذوي الأملاك في جريفور وأمٍّ إرلندية وبينما كان طالباً في ليجهورن إتجهتْ أفكارهُ نحو مسئلة نقل الإشارات التلغرافية في الفضاء بواسطة موجات أثيريَّة وقبل ذلك بزمن طويل عكف على عمل تجارب وأقام في أرض والده عمودَين لإرسال إشارات في الهواء على مسافة ميل ونيِّف وقد صرَّح قائلاً أن هذه الفكرة وُلِدتْ لهُ باديء بدء في ربيع سنة١٨٩٤ بينما كان يطالع مجلة كهربائية إيطالية للأستاذ هنريك رودلف هرتز وهذا الأخير مهندس كهربائي ألمانيّ وُلد في همبرج سنة ١٨٥٧ ومات في بون سنة ١٨٩٤ ولهُ في التموُّجات الكهربائية تجارب مشهورة أدَّت الى إثبات نظرية مكسويل وأبانت كذلك وحدة النقل بين الكهربائية والنور والحرارة المُشِعَّة وقد دُوِّنت نتائج إختباراته في سلسلة مكوَّنة من ١٢ رسالة نَشَرَتها مجلة « تواريخ ويلدمان » Les Annales de Wiedmann وجُمعت كلُّها سنة ١٨٩٨ في كتاب تحت عنوان

Untersuchungen über die Ausbreitung der elektrischen Kraft.

ويرجع اليه الفضل في الاكتشاف الخاصّ بمفعول النور فوق البنفسجيّ في المخالصات الكهربائية .

على أن التلغراف الكهربائي الذي لم يستعمل إلا في أثناء هذا القرن فان الفكرة فيه نشأت من قِبل التلغراف الهوائي وممَّن بحثَ في إستخدام الكهربائية في التلغراف لويس لصاج السويسري سنة ١٧٧٤ ودلومون الفرنسيّ سنة ١٧٨٧ وريزَر الألمانى سنة ١٧٩٤

وقد سأل ريموند بلاتوايت مركونى عما إذا كان اختراعهُ « التلغراف اللاسلكى » بمأمن من أن يسرق العدوُ الخبر في أثناء المسافة بين المركزين المتخاطِبَين في أثناء الحرب بمجرد وضعهِ سلكاً تحت الماء عند مرور الرسائل على حـدّ ما يفعل في البر فأجابهُ أن ذلك ممكن على صعوبة حدوثه إلاَّ أنهُ توصَّل بعد بحث طويل وامتحانات متعدّدة الى إحداث طريقة يكيف بها الأمواج الكهربائية الصادرة عن الجهاز المُرسِل بحيث لا يمكن أن تؤثر في الجهاز القابِل مالم يكن موقَّعاً على وجهٍ مخصوص يكون بهِ معدًّا لقبول تأثيرها وبهذه الطريقة مهَّد العقبة الباقية لتمام إختراعهِ وهي صيانة الأخبار من أن تصل اليها يد السارق وقد سهَّل هـذا الاختراع المواصلات بين البلاد وجعل مستوى الأجور أرخص من أجور شركات الأسلاك البرقية في البحر . وقد قاومت هـذه الشركات الأخيرة شركة مركونى في أول الأمر على حدّ ما فعلت شركات الغاز مع شركات النور الكهربائى في باب التنافس وأرْدَفَ المخترع قائلا انَّ ايطاليا كانت أول دولةٍ أمدَّتهُ بالمـال تشجيعاً لهُ على إدمان البحث العلميْ وأن برلمـانها قَرَّر صرف ٣٢٫٠٠٠ جنيه للانفاق على مشروعه تعضيداً للعلم فضلاً عن أنها وضعت تحت تصرُّفه طرَّاداً حمولتهُ ٨ آلاف طن لمدة ستة شهور تسهيلاً لامتحاناته بين كندا وانكلترا ويُعدّ مركونى أول مَن إستخدم موجات هرتز في الفضاء للإنباء بحوادث العالم لأن هرتز اقتصر على استخدامها خلال حجرةٍ ولم يَدُر فى خَلَدأيّ كان من علماء الكهرباء المجرِّبين استخدامها لمسافاتٍ بعيدة ولبث الأمر مقصوراً على مثل ما ذُكر والبرهان على ذلك أن البروفسور أوليفر لودج الذى عكَف على عمل امتحانات كثيرة طبقاً المقترحات التي إرتآها هرتز أورد في كتابٍ نشره سنة ١٨٩٤ بيـاناً لعدد التصميمات التى يمكن استخدام الأشعة فيها دون أن يُشير إلى ما يرمي الى استعمالها للتلغراف

وقد أنكر مركونى ما ادَّعاهُ ريجهي الأستاذ بجامعة بولونيا من أنه أول من إرتأى أمر إيصال الرسائل خلال الفضاء وفصَّلها لهُ وصرَّح قائلاً أن أول رسالة بُعث بهـا من طريق الكهربائية المُمغنطة سنة ١٨٩٤ كانت لهُ وحده وأنهُ هو الأول الذى أرسل إشارة تلغرافية من سفينة سائرة في البحر تحت امرة وزارة البحرية الايطالية سنة ١٨٩٧ وهو يعزو ما بَلَغ من نجاح الى الآلات التى أحدث فيها التحسينات التى استلزمها عمله بخلاف آلات السَلف التي بقيت على ما كانت عليـه على عدم وفائها بالمرام وحقَّ لهُ أن يغتبط بمـا كُتب لهُ من التوفيق وكانت انكلترا أول دولة استغلَّتْ هـذا الاختراع بواسطة مستر بريس أكبر مهندسيّ مصلحة البريد العمومية الذى قام

بالامتحانات اللازمة للتلغراف الهوائي وفي قليل من الزمن أُرسلت إشارات بين مصلحة البريد وشاطىء التاميز وسهل سلسبري وفي نهاية تلك السنة المشهورة ألقى مستر بريس محاضرة في توينبي هول Toynbee Hall تحت عنوان « التلغراف اللاسلكي » وفي ربيع السنة التالية طويَتْ مسافة أوسع بلغَتْ تسعة أميال ثمَّ دُعي مركوني الى إيطاليا ليرفع اكتشافهُ العجيب الى الملك والملكة ويُجري تجاربهُ فوق باخرتين حربيَّتين ولم يمض على ذلك بضعة شهور حتى تألَّفتْ شركة يقال لها بالانكليزية Signal Campany أي شركة الإشارات برأس مال قدرهُ ر ١ جنيه مع إقامة أول محطة دائمة في ألآم باي في جزيرة وايت ثم توصَّل الى إرسال إشارات تلغرافية من پول هربر الى جزيرة وايت اجتازت مسافة أربعين ميلاً وقد رأى عبور إشاراته الاطلنطي قريب المنال ويُروى عن ثورنتون هول أنه بينما كان في وسط هذا البحر دخل حجرة التلغراف اللاسلكي ورأى العامل يقرأ رسالة مهمة لديهِ فحواها أن باخرة تبعد نحو ثلاثين ميلاً عن الجهة الشمالية تُنبئهُ بأن مسيو دي بلهف قُتل في روسيا

وعلى الجملة فانَّ المخترع قرَّب المسافات الشاسعة وجعل أجزاء العالم النائية تَتَّصل ببعضها اتصالاً فجائياً وأنقذ من الغرق عدة أُلوف من الأرواح في البحر أما ما كان من أمر مستقبل التلغراف اللاسلكي فانهُ من التهوُّر أن يُتنبأ بتحديد الأمد الذي يبلغ اليه إلا أنه على ما بدا لنا من معجزاته لا يزال في دور الطفولة ومما لاريب فيه أن الشخص الجالس في مكتبه بلندن يستطيع أن يخاطب بسهولة وبصوت مسموع غالباً شخصاً آخر في نيويورك كأنهما جالسان في حجرةٍ واحدة . وأغرب من ذلك أن الواحد منهما يرى الآخر ومن بصحبتهِ وأبعد أمد وصل اليه هذا الاختراع الباهر لا يقلّ عن ٣٠ ميل وذلك حوالي سنة ١٩٢٧ الى أن عمّ المعمور وقُيض للإنسان أن يقبض على عنان البرق ويجعله رسول خواطره ومَراد أمانيهِ ويسمع موسيقات الأمم ومحاضرات خطبائها وحوادثها السياسية والاكتشافات العلمية ويرى بعينيّ رأسه العازفين والمطربين والممثّلين والممثلات فوق خشبة المسرح وهو جالسٌ في قعر داره . وكما استسلمت الطبيعة الى الانسان المخترع بأعنَّتها وتسنَّى لهُ نقل الصوت والبَصر أمكنهُ نقل القوة والطبيعة مليئة بالكنوز التي وراء الحجاب لم يُستغلّ إلا القليل منها ومن يعشْ يرَ .

ومن مزايا التلغراف اللاسلكي أنه يزيد إيمان الانسان بالخالق عزّ وجلّ على حدّ ما أبانهُ

أوليفر لودج عميد جامعة برمنجهام من أن في المراسلات اللاسلكية ما يجعل المملكة الروحية تخرج من سُترة الريب الى صَحن اليقين وتكون في حَيّز الإمكان فضلاً عن أنها تساعد على زيادة الثقة بالعالَم الغير منظور .

واليكم ما تعريب قولهِ بحروفهِ « قد اختصَّ هذا الفن الجديد بالتأثير الشديد في الأهلية العقلية والروحيَّة لجميع أهل المعمور وهو يرمي الى تقريب المسافات لرجل الشارع بين عالَمَيْ المنظور والغير منظور على أن الانسان النافع والغير ضارّ اعتبر لغاية الآن كل الامتحانات الروحيَّة التي عُمد اليها أقل قيمةً من أي بحث من الأبحاث المنتظمة للكشف عن الأرواح ودَفَعَ استدلال المناجين الروحيين كأنه ضرب من التخرّص أو حديث مُرجَّم حال كونهِ شكّ كل الشكّ في صحة ايمان عددٍ كثير منهم ولو أنَّ التلغراف اللاسلكي يُعدّ هذه المظانّ أمراً مُعضلاً فانهُ فتح على مصراعيهِ باب الحقل الواسع الجذَّاب للرقيّ العقلي لرجل الشارع البسيط الذي يُعدّ بعد كل شيء العمود الفقري للتقدُّم والنجاح وأوضح لهُ جلياً أنَّ الكون يستطيع أن يُظهر من مكنونات الأمور ما يقع وراء الحجاب من عالَم الحسّ الطبيعي ولا يتأتى لهُ ذلك إلا عند ما تُحلّ روابط الماديات ويتبارى الذكاء البشري والايمان البشري في ميدان الحرية المطلقة » انتهى

وسيأتي الزمن الذي فيه يُرغب عن الماديين أنفةً واستنكافاً ويُكال لهم كما كالوا للباحث في العلم الذي يضيء بمشكاتهِ ظُلمات خفايا عالَم الحسّ

وعلى الجملة فان كل خطوة يخطوها الانسان نحواً الرقيّ والتقدم تجعل بلا مراء تحقيق وجود خالق الكون على حبل ذِراعه وحسبك من ذلك أنه قبض على عنان البرق فجعلهُ رسول خواطره وطوى مسافات الأرض طائراً على مناكب الهواء وقرَّب ما بين أطرافها من الأبعاد ، وفوقَ كل ذي علمٍ عليم واللهُ يهدي من يشاء الى سواء السبيل ،

كتب بديع الزمان الهمذاني الى ابن أخته أنت ولدي ما دمتَ والعلم شأنُك ، والمدرسة مكانُك ، والمحبرة حليفُك ، والدفتر أليفُك — فان قصّرت ولا أخالُك ، فغيري خالُك والسلام .

قال الأحنف لأن أُدعى من بعيد أحبُّ اليَّ من أن أُقصى من قريب وقال : ما كشفتُ أحداً عن حالي عنده إلاّ وجدتها دون ما كنتُ أظن .

رأى نيولاند سمث فى الموسيقى القبطية

وقفنا على محاضرة في هذا المعنى للبروفسور سمث من إخوة الجمعية الكرملية ألقاها بكنيسة جامعة اكسفورد بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٣١ وبسط فيها سحر الموسيقى القبطية التى سمعها بكنيسة الأقباط الكبرى بمصر والتى يزعم أنها مقتبسة عن الموسيقى المصرية القديمة فأحببنا تعريبها لما حوته من الفوائد الفنيَّة .

وقد استهلَّها بما يأتي قيل أن الشرق شرق وأن الغرب غرب وهما ندَّان لايجتمعان أبداً إلا أنه إرتأى انهما بواسطة الموسيقى يتمكنان من انتظام الشمل وقال أن الموسيقى فنّ إلهي وأنها على ماذكرهُ كارليل توصلنا الى الحدّ الذي لا نهاية لهُ وتجعلنا نتأمل ملياً في ذلك برهةً من الزمن وقد وصفها براونتج بوميض إرادةٍ قديرة موجودة وراء كل الشرائع التى وضعتها والتى لا تزال موجودة للآن وأردف قائلا أن الانسان لا يستطيع أن يبلغ الى حقيقة أصحَّ من حقيقة تصدر عن الموسيقى بيّن أن الموسيقى في المدارس الحاليــة تسمَّى أحدث الفنون إلاَّ أنى أُفضل أن اسمي الموسيقى أقدم الفنون عهداً وبالحري الفن الأزلى الذي به خَلَق الكون الخالق عزَّ وجلَّ بدليل ما أبانهُ لنا شكسبير من أنَّ ما من سيَّار في الفلك يدور حولنا إلاّ وهو يغنى كما يغنى المَلك في السماء ويُخيَّل الى المحاضر أن البلاد العربية قد تشعَّبت آراؤها فى أمر الموسيقى الشرقية التى ارتأى الشبَّان فيها أنها مؤسسة على ضروبٍ من الأنغام التي تختلف عن أنغام الغربيين كل الاختلاف وأنه من المحال أن تقوم النوتة الافرنجية الحالية بتصوير أنغام السلم الموسيقيّ الشرقي .

أجل . أن هـذا القول أقربُ أن يكون بمعزل عن الشك إلا أننا عندما نفهم أن منهاج الدياتونيك يختلف تطبيقهُ في الشرق عن تطبيقه في الغرب مهما يكن هذا المنهاج مبنياً على السلم الطبيعي نفسه وعندما نتحقق وجود أسلوب قديم شرقي لمنهاج الخروماتيك الذي يحتوي على مالا يقل عن ٢٥٣ نغمة أصلية للسلم الموسيقيّ أمكننا أن نسير بتوأدة ونخطو خطواتٍ على حَذَر لأنه لا يمكن تقريباً أن نحصل على الزيادات الغير متناهية التى تميَّز بها السلم المذكور والتى لم يحلم بها الموسيقيون العاديون في الغرب واستطرد البروفسور سمث قائلا إذا تقرر ذلك كلهُ لا يكون موضع دهشة واستغراب قرآءَةَ ما جاء بالكتاب المقدَّس من أنَّ عند ما رَتَّلَ ١٢٠ موسيقياً من

اليهود ترتيلة « المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام » بلغ تأثير الموسيقى في المصلين داخل الهيكل مبلغاً أدّى الى عدم امكانهم مداومة العبادة فيه مما يدل دلالةً واضحة على أن الموسيقى المقدرة على هدم الحاجز القائم بين الروحيات والماديات وقد رأى بعينيّ رأسه يهودية انتحلت الدين المسيحيّ بمجرد سماعها الموسيقى من دون أن يُقال لها كلمة واحدة فيما يختص بالدين على أن قدماء اليونان كانوا يغالون في تأثير الموسيقى التى قدّسوها في هياكلهم وزاولوها في أثناء العبادة فمما يُروى في تاريخهم أن بندار الشاعر خلّد ذكر ميداس لحذقهِ النفخ في الناي في أغنيته الثانية عشرة وذلك بين سنيّ ٤٩٤ – ٤٩٠ قبل الميلاد وقد أُحْتُفِلَ بتتويجه بتاج الغار وأُنْشِدت هذه الأغنية في اجريجنتوم (مدينة قديمة بصقلية) باحتفال عظيم تقديراً لعبقرية ميداس عندما دخل المدينة ظافراً. وعن فرح الأهلين حَدِّث ولا حَرَج فانهم هرعوا الى استقباله بحماسة تفوق الوصف ولا يخفى أن نَبغَ في ذلك العصر عدّة عباقرة أمثال بندار الذي يُعدّ ثاني هوميروس الذي وُلد قبلهُ واشيلوس وسوفوكل وغيرهم ممن خلَّد التاريخ ذكرهم ، ويُظن أن هذه الموسيقى التى فُقدت حتى يومنا هذا يرجع أصلها الى مصر القديمة .

ومنذ عدَّة سنين تَصَفح المحاضر المذكور لحسن حظهِ رسالة بليغة في موضوع « أخوية الصليب الوردي » كان دأبُ أعضائها الاعتزال عن عالمَ الشخص العادي كما اعتزل هذا الأخير عن عالمَ الحيوان .

وهذه الرسالة دبَّجتْها يراعة مستر ويت – أحد أكابر علماء الانكليز المختصين بدراسة الكَبالة العبرية the Hebrew Kabala " وعلم التصوف على العموم ومع تحذُّره أمر الجمعية التى تُعزى أعمالها الى قوى الطبيعة وتحويل المعادن الى ذهب وغير ذلك من الأساليب التى كانت في طيّ الكتمان في الجيل الخامس عشر فانه أشارَ الى لزوم السكوت عن هذا الموضوع على حدّ رجل الشارع مُشفقاً من أن يسقط في هوة يحذر الملائكة أنفسهم الوقوع فيها . على أن سير هربرت باري أحد كبار حَضَنة العلم ورئيس قسم الموسيقى فيهذه الجامعة فانه طعن فيالموسيقى الغريغورية للكنيسة الكاثوليكية ناسباً اليها العَبَث والركاكة إلا أنه لم يُعرف رأيه تماماً في أقدم موسيقى في الشرق وقد أدخل مستر هايج جودنيان منذ عدة سنين الموسيقى الشرقية ضمن أعمال جلسات كوينس هول (Queen's Hall) وكانت آراؤهُ موضع نقاش وبحث دقيق وقد أنشأوا تحت عنوان « الموسيقى الغربية » مبحثاً خاصاً ليُنشر مع مواضيع مستر سترانجواي الاسبوعية في الأبزرفر " Observer "

ومما لاشك فيه أن هذا الموضوع ذو أهمية عظيمة ولا سيما من وجهة ترقية الفن الحديث الفائق وتقهقر موسيقى الانكليز الأخيرة روحياً وقد توصَّل المحاضر بعد إدمان البحث عدة سنوات في موسيقى مصر القديمة الى اكتشاف ذخيرة فنية عظيمة وأَزِمَهُ حقيقةً أن يحفر حفراً عميقاً لِما أن العنصر المصري الأصلي مدفون تحت الأنقاض المروعة للزخارف العربية إلا أنه بعد أن اخترق هذا الثوب الخارجي التعِس برَزَ الأَسلوب المصري الصحيح واتَّضح أن الموسيقى ليست عربية ولا تركية ولا يونانية بل هي مصرية قديمة على ما شهدت بصحتهِ التجارب وفضلاً عن ذلك فانها موسيقى عظيمة جليلة شجية سامية وروحانية الى أبعد غاية .

على ان هذا الرأي لم يعدم مناصرين لهُ من ثقات الفنيين وأرباب الرويَّة الثاقبة وزد على ما ذُكر فان الموسيقى قبطيَّة بدليل أنها لا يرجع تاريخها الى أول عهد المسيحية بل أنها ترجع الى أقدم منها عهداً .

وبقي هذا أمرٌ لابدّ من التنبيه عليهِ وهو أن القديس مرقس الانجيليّ أول بطارقة الكنيسة القبطية وان سلسلة متصلة الحلقات من هؤلاء لاتزال باقية الى اليوم يتوارث السلف عن الخلف بلا انقطاع . وغنيٌّ عن البيان أن الكنيسة القبطية اقتبست من هياكل العبادة المصرية القديمة كثيراً من العادات مثل الكساء الكهنوتي وحلق قمَّة الرأس للكاهن أما ما كان من أمر الموسيقى التى كان قدماء المصريين يزاولونها في هياكلهم في أثناء العبادة فانها نُقلت الى الكنيسة القبطية بدليل أن أحد التراتيل التى تُنشد الى يومنا هذا تحمل (كعنوان) اسم مدينة مصرية قديمة وقد ظهر أن الموسيقى القبطية لم تدوَّن في كتب بل نُقلت الينا من طريق السماع خلال عشرين قرناً بمعرفة موسيقيين عميان أرصدوا أنفسهم للخدمة الدينية في كاتدرائيات وكنائس الأقباط وقد ضيعتْ ويا للأسف الموسيقى المصرية الأصلية طابعها بما حُشرَ في صُلبها من أنغام غريبة خلال غزو العرب أدّت الى فقد مجدها القديم .

غير أنه يُحتفظ بالبقيّة الباقية منها وذكر المحاضِر أنه جمع منها ما لايقلّ عن سبعة مجلَّدات ضخمة تتضمَّن القداس الكبير ووعد بأن يقدّم نماذج مما يختارهُ من أهم مواضيعها في القريب العاجل .

على أن هذه المواضيع لا تخلو في كثير من المواضع من عذوبة وجلال وسمو وهي حريَّةٌ بأن تضاهي تلاحين أكابر أساتذة الموسيقى في التاريخ فضلاً عن ان بعضها يحتوي على المساوقة ويسمح لها من ثمَّ تركيبها بأن تقتبس الهرمونيا الحديثة وبالجملة فان هذه الموسيقى الشرقية في حاجة الى

طالب تنقيح كبير مادمنا نعتقد بناءً على معلوماتنا أن الموسيقى الحديثة هى أعظم قدراً وأشد تأثيراً في العواطف من سواها .

ومن غريب ما يُذكر هنا أن الموسيقى القبطية الكنسيَّة هي من أبعد الموسيقات مدىً لاحتوائها في طقوسها على تراتيل خاصَّة تُسمع في ظروف معينة مثل صوم الميلاد وعيد الميلاد والصوم الكبير وعيد الفصح وعيد العنصرة وعيد صعود المسيح ولمساء السبت من كل أسبوع ومنتصف الليل والقداس الغريغوري تراتيل مخصوصة .

وقد ارتأى مستر سمث على ضوء اختباراته أن كثيراً من الموسيقى الغربية يرجع أصله إلى الشرق وأن موسيقى الاسرائيليين التي يزاولونها في معابدهم هي بدون شك شرقيـة وذهب إميل نيومان في تأليفه المشهور للفنون « تاريخ الموسيقى » الى وجود مشابهة واضحة بين الموسيقى الدينية الشرقية و بين موسيقى الكنيسة الرومانية .

وذهب آخر الى أبعد من ذلك وقال ان الموسيقى الشرقية دخلت أوربا عندما كانت اسبانيا في حوزة المغاربة حتى ان الموسيقيين المشهورين من الغرب طبَّقوها برمّتها على موسيقاهم واتخذوا بعض أسمائها مثل چيجا و برابنـد وشاكون وزد على ذلك فان بين الموسيقى المؤثرة للهنغاريين المتجولين والموسيقى الشرقية نسَبًا على حـدّ الموسيقى الروسية التي تَمُتّ في الغالب إلى السلَّم الشرقي بقُربى .

أما الموسيقى الشرقية التي سمعها مستر سمث بالجراموفون فانه إثنى على أغانيها باللوم لأنها من أدنى طراز و ينبو عنها السمع هذا ما لاح للمحاضر الذي اجترأ على وصف الموسيقى الشرقية برجل باذخ الشرف أخملهُ الدهر وأزرى به الفقر حتى غدا رثّ الثياب مُرقع الجلباب ولا يخفى ما في هذا الوصف من الدقّة وشَبه الصحة إلاّ أن الموسيقى لو طُهِّرَت ولبست أحسن الجلباب لاستطاعتْ أن تتبوأ مكانها اللائق بها ولا يحقّ لها أن تطلب أن يُعترَف بقدرها إلاّ بعـد أن تدرأ عنها الدَرَن حتى أنها بفضل ألحانها الشجيّة وصِيغها والمساوقة التى تتضمّنها تستطيع أن تفتح فتحاً جـديداً ليُكاشَف الموسيقيون فى الغرب بما خَفِيَ عليهم والراجح فى الرأي أن توجد بهـذه الوسيلة مودّة وتتمكن بفضل الموسيقى بين الشرق والغرب الألفة و يُرفع من شأن اتحادهما .

ولا جرم ان نهض الشرق وثابت الهمم فيـه لتجديد ما اندرس من آثار عزّته الأولى ومما يؤسف له أنه اقتبس من المدنية الغربية كثيراً من تلك العوامل التى كان الأجدر به أن يجتنبها

لوجود أناس ممن يتخيَّل فيهم أصالة الرأى والحكمة بين ظهرانيهِ واستشهد بالبحوث الموسيقية الدقيقة التى تصدَّى لها الأستاذ راغب مفتاح قبل غيره فى الشرق الأدنى وهو من الأقباط الراسخين فى العلم وزائر من زوّار انكلترا الآن ولهُ من عظيم المواهب والروح الوثَّابة والتأهب لاصلاح الشؤون فى مصر ما هو كفيل بوجدان أسباب التفاهم بين المصريين والانكليز وبعد أن ذكر الأستاذ مفتاح أحسن ذكر لم يفُتْهُ أن ينوّه بالجهود الجبَّارة التى بذلها الأستاذ ميخائيل مدير قسم الموسيقى بكنيسة الأقباط الكبرى بمصر والحق يقال أنه وصل نهارهُ بليله خلال عدّة شهور فوق ظهر مركب فى النيل وهو يرتل بصحبة الأستاذ لطيف وآخر من زملائه أمام مستر سمث الذي دأب على تدوين ما عنَّ لهُ وهو من جِلَّة أهل النظر فى عالَم الموسيقى بيد أنه لابدّ أن يصرّح ضمنًا بأن دون الوصول الى محاكاة التراتيل القبطية الشجيَّة عقباتٍ قد لا تُجاز بالقياس الى حالة الموسيقى الغربية بدليل ما ذكرهُ فى نهاية محاضرته النفيسة من أن أحد المساعدين بفرقة الترتيل سأل عما اذا كان يمكن الاستغناء عن ترتيل قطعة موسيقية مهمة لصعوبة مخارجها وكثرة تعقيدها خيفةَ أن تكون مسقَطَة للغربيين من العيون فى حالة نقلها اليهم فهمس الأستاذ ميخائيل فى أُذنه قائلاً له لاتخَفْ يا أخي لأنهُ من المحال أن يقوم أحد الأوربيين بغناء هذه القطعة فى أوربا على أكمل وجه .

وجاء فى « الاكسفورد ماجازن » تحت عنوان الموسيقى القديمة للكنيسة القبطية الكلمة الآتية فأحببنا تعريبها إيثاراً للفائدة . قالت بعد أن قدّم الرئيس البروفسور جريفث البروفسور نيولاند سمث بكلمة مناسبة عَزَف هذا الأخير على كمانهِ قطعة رثاء عبرية " Hebrew Lament إحياءً لذكرى طالب شرقي توفاه الله حديثًا ثمَّ أخذ يشرح بالمجاز كيفية الأبحاث التى قام بها مع الأستاذ راغب مفتاح والغرض منها مدة الثلاث السنوات الاخيرة .

على ان سماع الألحان والتراتيل القبطية التى عَزفها المحاضر على البيانو كان مثار دهشة وموضع إعجاب ، زد على ذلك ترتيلة منتصف الليل الشجية التى تأخذ بمجامع القلوب وقد عمد الى ايضاح الصعوبة فى الوقوف على جِلّ هذه الموسيقى ودِقّها التى انحدرت وتناولها بالسماع الموسيقيون العميان سواءً كانوا من الترك أو العرب أو من أي قوم دسُّوا أنفسهم معهم وذكرَ أنه لَزِمهُ ما لا يقلّ عن سبعة مجلَّدات لاحصاء القدّاسين الكبيرين ونحو مئتى ترتيل مع الألحان الترديدية التى تعوّد المرتلون أن ينشدوها فى مناسبات متنوّعة .

ومن أعجب ما يذكر في هذا الصدد أن إنشاد مقطع من الترتيلة يستلزم عدة صفحات من الموسيقى وذلك بدون مبالغة بعيد المرام لأعظم المرتلين في أوربا اذا حاول مزاولته ويُعدّ من الأمور المستحيلة لِما فيه من معجزة في التركيب .

أما فيما يختصّ بالهرمونيا فاستطرد المحاضر قائلاً أن من الهمجيَّة المحضة محاولة وضع الهرمونيا مع الملوديا في بعض الأحوال وأما في حالات أخرى فان الهرمونيا كان مرغوباً فيها ولا مرجع عنها وانتهى بها الأمر الى بلوغ أوج الجمال ولزيادة الإيضاح فان مستر سمث عزف لحنين قبطيين مختلفين أولها في الملوديا ثم عَزَفَ على قالب هرموني وأبان أن اللحن الأول يتمشى بسهولة مع لحن بتهوفن الهادىء "Andante" والثاني مع عمل موزار

ولا يسعنا إلا أن نقابل جميل صُنع مستر سمث والأستاذ مفتاح مساعده بجميل ثنائنا لأنهما أرجعا الى العالَم كنزاً موسيقياً ثميناً وفتحا فتحاً جديداً لإدمان البحث والتنقيب مما يأول الى نشر سلام مستمر وتمكين الألفة والتفاهم المتبادل على أحسن وجه بين الشرق والغرب بواسطة الموسيقى التي هي أفصح جميع اللغات الدولية بياناً .

وقد أتت جريدتا المانشستر جرديان والدايلي تلغراف على ذكر هذه المحاضرة بالايجاز وأثنت على الموسيقى القبطية جميل الثناء اجتزأنا عن تعريب ما جاء فيهما اكتفاءً بما ذكرتهُ الاكسفورد ماجازن الذي عرَّبناه وذلك حبًّا للاختصار .

الموشح

جآء في قاموس المحيط للفيروزابادي أنَّ الوُشاح بالضم والكسر كرْسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يُخالَف بينهما معطوفٌ أحدهما على الآخر وأديمٌ عريض يُرصَّع بالجوهر تشدُّهُ المرأة بين عاتقها وكَشحِها وقد سُميت القصيدة المخمَّسة والمسبَّعة والمسجَّعة بالموشَّحة تشبيهاً بالمرأة الحسنآء الموشَّحة بقلائد اللؤلؤ وعقود الجوهر بخلاف القصيدة المشبَّهة بالمرأة الخالية من الحلي ومن هنا يتبيَّن للقارىء إيثار الموشَّحة على القصيدة لِما أنَّ الأولى أخفّ محملاً على الآذان وأقرب تناولاً للمعاني وأكثر تناسباً (والتناسب قاعدة الجمال) وأحلى مذاقاً وأبلغ تعبيراً وأوسعُ تفصيلاً وأبعد عن مَلَل السامع لتبدُّل قوافيها على حدّ الشعر الافرنجي فضلاً عن أنها تمتاز عن هذا الأخير بارتباط أجزائها

إرتباطاً يضمُّها الى سلكٍ واحد ويرجعها الى مقرّ معروف وكثيراً ما ترى الزجل العامي خيراً من الشعر الذي يتطرَّق اليه الخلل ويقيَّد فيه ناظمهُ بالوزن والقافية

وحسبك ما ترى لأسماط الموشّح وتغيير قوافيه من اللذّة في السمع والسهولة في إيضاح المعاني والتفنن في جمع شتيت الفوائد فضلاً عن شرف معانيه وجزالة ألفاظه وتوخّي الصُوَر المجازيَّة والغزَل والتشبيب بالمرأة

ومن أحسن موشَّحات الأندلسيين قول أثير الدين الجيَّاني الأندلسي

نصبُ العينين لي شَرَكا ۔ فانثنى والقلب قد ملكا
قمرٌ أضحى لهُ فلكا ۔ قال لي يوماً وقد ضحكا
أتجي من أرضِ أندلسِ ۔ نحو مصرٍ تعشقُ القمرا

كقول ابن زمرك في الزهريات

فالوُرق هبّت من السِناتِ ۔ لمنبر الدوح تخطبُ
تسجعُ مُفتنَّة اللغاتِ ۔ كلٌّ عن الشوق يعربُ
والغصن بعد الذهاب يأتي ۔ لأكؤس الطلّ يشربُ
وأدمعُ السُحْب في انسياحِ ۔ في كلّ روضٍ لها سبيلْ
والجوّ مستبشرُ النواحي ۔ يلعبُ بالصارم الصقيل

ومن محاسن الموشّحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبتةَ من بعدها فمنها قولهُ:

هل درى ظبيُ الحِمى اذ قد حَمَى ۔ قلب صبٍّ حلّهُ عن مكنسِ
فهو في نارٍ وخفقٍ مثل ما ۔ لَعِب ريحُ الصبا بالقبسِ

وقد نسج على منوالهِ فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصرهِ وقد مرَّ ذكرهُ فقال

جادَكَ الغيثُ اذا الغيثُ هَمَى ۔ يا زمان الوصلِ بالأندلسِ
لم يكن وصلُك إلاَّ حُلُما ۔ في الكرى أو خِلسةَ المختلسِ
إذ يقود الدهر أشتات المنى ۔ ينقل الخطوَ على ما يرسمُ
زُمَراً بين فُرادَى وثُنا ۔ مثل ما يدعو الوفودَ الموسمُ
والحيا قد جلَّل الروض سَنَى ۔ فثغورُ الزهرِ فيهِ تَبْسِمُ

وروى النعمانُ عن ماء السما كيف يروي مالكٌ عن أنسِ
فكساهُ الحسنُ ثوباً مُعْلَما يزدهي منهُ بأبهى ملبسِ
فى ليالٍ كتَمَتْ سرَّ الهوى بالدُّجى لولا شموسُ الغُرَرِ
مال نجمُ الكاس فيها وهَوَى مستقيم السير سعدَ الأثرِ
وَطَرٌ ما فيهِ من عيبٍ سوى أنَّهُ مَرَّ كلمحِ البصرِ
حين لذَّ النومُ منَّا أو كما هَجَم الصبحُ هجومَ الحَرسِ
غارت الشُّهْبُ بنا أو رُبَّما أثَّرت فينا عيونُ النرجسِ

وهذه الموشَّحة تزيد على أربعين بيتاً نجتزىء عنها بما ذُكر حُبَّ الإختصار وزَعموا أنَّ عبادةَ القزَّاز لم يسْبِقْهُ وشَّاح من معاصريهِ الذين كانوا فى زمن الطوائف

وذكرَ غيرُ واحدٍ من المشايخ أنَّ أهلَ هذا الشأن بالاندلس يذكرون أنَّ جماعةً من الوشاحين اجتمعوا فى مجلس باشبيلية وكان كلٌّ واحدٍ منهم إصْطَنَعَ موشَّحة وتأنق فيها فتقدَّم الأعمى الطليطليُّ للإنشاد فلما افتتح موشحتهُ المشهورة بقولهِ

ضاحكٌ عن جُمان سافرٌ عن دُرِّ ضاقَ عنهُ الزمان وحَواهُ صدري

صرف ابن بقي موشحتهُ وتبعهُ الباقون وذكر الأعلمُ البطليوسي أنَّه سمعَ ابن زهير يقول ما حسدتُ قطُّ وشَّاحاً على قول الاّ ابن بقيّ حين وقعَ لهُ

ما ترَى أحمدَ فى مجده العالي لا يُلحق أطلعهُ الغرب فأرِنا مِثْلَهُ يا مَشْرِق

وكان فى عصرهما من الموشحين المطبوعين أبو بكر الأبيض وكان فى عصرهما أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة انه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فألقى على بعض قينانهِ موشَّحتهُ

جرّر الذيل ايما جرِ وصِلِ الشكرَ منك بالشكرِ

فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصرِ لأمير العلا أبى بكرِ

فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح وأطرباه وشقّ ثيابهُ وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت وحلف بالايمان المغلَّظة لا يمشى ابن باجة إلى داره إلاَّ على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً فى نعاهِ ومشى عليهِ وذكر أبو الخطاب بن زهر أنهُ جرى فى مجلس

أبي بكر بن زهير ذكر أبي بكر الابيض الوشّاح المقدّم ذكرهُ فغصّ منهُ بعض الحاضرين فقال كيف تغصّ ممن يقول

ما لذّ لى شراب راح . على رياض الأقاح لولا هضيم الوشاح . إذا أسا فى الصباح أو فى الأصيل أضحى يقول . ما للشمول لطمت خدّى وللشمال هبّت فمالى غصن إعتدال ضمّهُ بردى ممّا أباد القلوبا . يمشى لنا مستريبا يا لحظهُ ردّ نوبا ويا لماهُ الشنيبا برّد غليل صبّ عليل لا يستحيل فيهِ عن عهدى ولا يزال فى كل حال يرجو الوصال وهو فى الصدّ وأشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف الدين قال الحسن بن دُوَيدة رأيت حاتم بن سعيد على هذا الافتتاح شمسٌ قاربت بدراً راحٌ ونديم وابن بهردوس الذى لهُ

ياليلة الوصل والسعود باللهِ عودى وابن مؤهّل الذى لهُ ما العيدُ فى خُلّةٍ وطاق وشمّ وطيبْ وإنما العيد فى التلاقى مع الحبيب وأبو اسحاق الرُّوينى قال ابنُ سعيدٍ سمعتُ أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنهُ دخل على ابن زهيرٍ وقد أسنّ وعليهِ زيُّ البادية إذ كان يسكن بحصن سبتة فلم يعرفهُ فجلس حيث انتهى بهِ المجلسُ وجرت الحاضرةُ فأنشد لنفسهِ موشّحة وقع فيها

كحلُ الدُّجى يجرى من مقلة الفجرِ على الصباح
ومعصم النهـــر فى حُلـلٍ خُضْرٍ من البطاح

فتحرّك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اختبر قال ومن تكون فعرفهُ فقال إرتفـعْ فواللهِ ما عرفْتُك قال ابن سعيد وسابق الحلْبَة التى أدركتْ هؤلاء ابو بكر بن زهير وقد شرّفتْ موشّحاتهُ وغرّبتْ قال وسمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك فى التوشيح قال كنت أقول

ما للمُولّه من سكرهِ لا يُفيق . يالهُ سكران . من غير خمر . ما للكئيب المشوق يندب الأوطان. هل تُستعاد أيامنا . بالخليج ولياليناِ . أو نستفاد من النسيم الأريج مسك دارينا . وادٍ يكاد حسن المكان البهيج أن يحيّينا وبهرظلهِ دوح عليهِ أنيق مورق فينان . والماء يجرى وعايم وغريق من جني الريحان .

وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوهُ من الموشّحات ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشّحة ابن سنا الملك المصرى اشتهرت شرقاً وغرباً وأولها

يا حبيبى ارفع حجاب النور عن العذار تنظر المسـك على الكافور فى جلنـار

ومن محاسن الوزير أبو عبد الله بن الخطيب إمام النظم والنثر في المِلَّة الاسلامية قولهُ في طريقة الزجل

امزج الاكواس واملالى تجدّد ما خلق المال إلاّ أن يبدّد

ومن قولهِ على طريقة الصوفية

بين طلوع ونزول اختلطت الغزول ومضى من لم يكن وبقى من لم يزول

موشحات حلبية شرقية

أصفهان صوفيان

ويلاه من نار الهجران طول الزمان من جور ذا الظبي المنصان ألفين آمان
يهزّ كالغصن المايسِ ويلاه عليه أهيف رشيق خدّه قاني جوري الجنان

دور

عارضت لهُ قال لي مالك خذ ما تريد العشق غيرّ أحوالك لأنك عنيد
ناديتُ لهُ قصدى وصالك ياذا الفريد يا قامة الغصن المايسِ والخيرزان

دور

يا فايق المنظر يا زين يا سكري يا مهجتي يا نور العيون يا عسكري
ما شاقني غير السكّين والخنجر ما عاد لي عنك سلوانُ طول الزمان
قد غرّد القمرى وصاحبَ الأطيار وزمزم الحادى فى روضة الأزهار
فقم ندير الكاس في غفلة الحرّاس فقد بدا الساقي وزالت الأكدار
يا منعش الأرواح ارحم مساكينك يكفى سبيت الناس حتى محبينك
يا عاطر الأنفاس ارفق بحال الناس الكل من أجلك قد هتكوا الأستار

دور

يا مخجل الأغصان بقدّه المزان الورد فى خدّك وخالك النعمان
كذا العذار الآس حقاً سبا للناس والكل قد تاهوا فى طرفك السحَّار

أوج صوفيان

هاتِ كاس الراح بدرى واسقني في رياض الآس والبان تحييي
بحياتك ياساقي الراح قم واجلُ الاقداح كى ننفى الأتراح املى دا الغـالي
يالا يسبيني املى دا الغالي لا يسبيي

حجاز: صوفيان دور

هيفآء ما مثلها فى عالم الأنسِ لما زها حسنها اخفى سنا الشمسِ
قم واغتنم وصلها في حضرة القدسِ واستجل من كأسها آيات بارينا
دور – اصبحت من لوعتي قيس الهوى الثاني والدمع من مقلتي يجـرى كغدرانِ
ناديت يا منيتى رقيّ لأشجاني وعاملي بالتى فاللثم يكفينـا
دور – أنسيةٌ قد سمتْ حسناً واحساناً من لحظهـا أرسلت رسلاً وايمـانا
وهى التى افتنت فى الخلد رضوانا فى الطور مذ أسفرت أضحى لها سينا

سيكا صوفيان

باهي السنا لمـا انثنى أذرى القنا ياعيون الغيـد كفى إذ رنا
دور – خيزران القـدّ أم أغصان بانْ اطلعت بدراً بليل الشعر بانْ
فيـه قلّت حيلتي والصبر بانْ وكساني البعدُ أثواب الضنا
دور – غنّي لي أيهـا الشادي الرخيم باسم من أهوى على الراح القديمْ
واسقني الصهبآء صرفًا يانديمْ مع حبيب ليس لي عنـه غنى
دور – يا شموساً أشرقت تحت الشعور لم تدَع يوماً لذي نسكٍ شعورْ
علمتني في الهوى هتك الستور وأنا قيسُ هواها وأنا
دور – جـلَّ ناري في الهوى من جلنارْ وجنةٌ تزهو بياضاً واحمرارْ
سيّج الوردُ بها آس العـذارْ عند عمّ الشقيق السوسـنا
دور – أقبلت والقـدّ منهـا باهتزاز ظبيةٌ تختـالُ في أبهى طرازْ
قل لمن منهـا بطيب الوصل فازْ طبْ لقد أدركت غايات المنى
دور – ذاتُ حسن لطف معناها البـديع قد تسامي عن مقامات البـديع
زرتُهـا والوقت في فصل الربيعْ مشرقٌ والطير يشـدو بالقنا

حجاز بكرك

يا غزالي كيف عني أبعدوك شتّتوا شملي وهجري عوّدوك

دور — يا غزالاً بالنقا ما أجملك يا ترى في قتلتي مَن حلّلك

كنتُ لأعشق خلاً ما خلاكْ علّموك الهجر حتى واصلوكْ

قلتُ رفقاً يا حبيبي قال لا قلتُ راعِ الودّ يا زين الملا

قال من يهوى فلا يشكو الفلا قلتُ حِبيّ مدمعي قال سفوك

قلت مولى قال هـذا شيء بعيد قلت عبداً قال لا أرضى عبيد

قلتُ عامل قال عندي اليوم عيد قلت واصل قال هذا في المنام

حجاز بكرك

أهوى الغزال الربربي باهي الجمال حلوُ المراشف سُكّري ريقه حلالي

أحوى أحوى كل المحاسن والكمالِ اذا تبدّى ينجلي مثل الهلالي

خانة — يا عاذلي أقصر ملا لك عن غزالي ما للعواذل في هوى روحي ومالي

دور — ساقي أدرْ كاسي وعاطيني المداما في روضٍ زاهٍ بالندى حول الندامى

من كفّ أهيفٍ سمهري يحلو كلاما إن طال هجره ذا الرشا بالله السلام.

وهنا نستأذن القارىء أن نورد ما كتبهُ الأستاذ احمد ابري فى مقاله الذي تحت عنوان « اسقِ العطاش » واليكم المقدّمة بلفظها الرشيق ومعناها الرقيق .

الحمد للهِ الذي تتغنّى الملائكة بمديح صفاتهِ وتترنّم الخلائقُ بتسبيح قدرتهِ والإشادة بآياتهِ حمداً نرفعهُ اليهِ على نغماتِ الناي والعود والقيثار ونقرات الطبول والدفوف والأوتار فى الآصال والعشي والأسحار سبحانهُ مبدع الكائنات الذي لا يُجارى والمتفنن الذي لا يُبارى

وبعد فهذا فصل « إسقِ العطاش » الشهير وهو نخبة مما جادت به قرائح أجدادنا الموسيقيين فى بدائع الفن الشرقي السوري شاهد حيّ على ما كانوا عليه من رقّة الشعور وسلامة الذوق ولطيف الخيال وعلوّ المنزلة فى فنيّ النظم والتلحين .

والفصل مأخوذ عن كتاب خطيّ قديم عنوانهُ « سلافة ألحان وسفينة الألحان » يقع فى مائة وخمسين صفحة ونيّف يرجع تاريخهُ الى أكثر من مائة سنة كلهُ بخط جامعه السيد محمد الورّاق مُنشد التكيّة الهلالية بحلب وقد كان رحمهُ اللهُ من هواة الموسيقيين وأئمة الملحّنين فى عصره مع

ما اشتهر به من العلم والصلاح وتخرَّجَ على يدهِ عددٌ كبيرٌ من المشايخ والمنشدين والملحِّنين الحلبيين . ولقد راعينا فيما أخذناه عن الكتاب لهذا الفصل ما شاعَ منه على ألسنة الحلبيين خاصَّةْ فى التواشيح والأغاني ضاربين صفحاً عما سواها اللهم الا ما لابدَّ منه لقوام الفصل أو لانتظام النغم على أننا نرجو ممن يقع فى مجموعتنا هذه على بعض السقطات وهي مما لا يخلو منهُ كتاب فني تقادم العهد بوضعه كهذا الكتاب أن يتفضّل فيرشُدنا اليها علّنا نوفَّق إلى إصلاحها فى الطبعة القادمة إذا أمدَّ الله فى أجلنا ، وإتماماً للفائدة رأينا أن نستهلّ الكتاب بمقال ممتّع أتحفنا به وطنينا الأستاذ الموسيقار السيد أحمد ابري أحاطهُ بتاريخ وضع هذا الفصل وحقيقته وما فيه من سموّ معنى وجمال فن وتلحين ، ولا غرو أن ينال هذا المقال استحسان الأدباء والملحّنين على السواء فالسيد الابري هو السبّاق فى حَلْبتيَّ الموسيقى والأدب .



الملكان يعزفان على القيثارة

هذا وفى مرجوّنا أن تجد مجموعتنا هذه لدى جماعة الملحّنين وهواة الموسيقى الشرقية ولا سيما لدى اخواننا الحلبيين مايكافىء جهودنا ويُحبب الينا المثابرة على العمل لابراز غيرها من آثار جدودنا النفيسة - تلك الآثار التي يحق للشهباء أن تنظمها فى عقد مفاخرها الشرقية العربية والله ولي التوفيق ،

فتح الله قسطون اسقِ العطاش لمحة فنية تاريخية بقلم الموسيقار الأستاذ أحمد ابري

كنا وكانت الموسيقى شعوراً يدفع صاحبهُ إلى الإفصاح عن جوارح نفسه وخوالج قلبه بنغماتٍ تلذُّ للسامع فينتقل معها من حال إلى حال : كنا وكانت الشهباء مهبطاً لوحي الفن الموسيقي ومَجلى القرائح الموسيقية ومنبتاً لنوابغ الموسيقيين الذين تركوا لنا من الآثار ما لو أبقاها لنا الزمان لكانت خير ذخر للفن فى الوقت الحاضر وأحسن مرجع لمن يود أن يكون على اتصال بين الفن القديم والفن الحديث .

يقولون : إذا أردت أن تعرف مكانة أمة من الرقي فابحث عن موسيقاها ونحن نقول إذا أردت أن تعرف روح أمة وما انطوت عليه من طبائع وسجايا فابحث عن مغناها فهو مسرح تظهر فيه ليعينيك ميول الأمة وأهواؤها بأجمل وصفٍ وأفصح بيان . إسقِ العطاش ! جملةٌ طالما ردّدتها الألسنة فتاقت النفوسُ إلى الاستماع إلى نغماتها وما تضمنتهُ من موسيقى حلوة لتجد فيها مبتغاها من سرور وطرب . إسقِ العطاش ! جملةٌ موسيقيةٌ بلفظهـا شعريّةٌ بمعناها موزونةٌ بقافيتها . ألا ترى شيخَ كتاب الفرنسيس أناتول فرانس يُطلِق على إحدى مؤلفاتهِ الشهيرة : الآلهة عطاش فمن هم هؤلاء العطاش ومَن يروى ظمأهم ولمَ سُمي هـذا الفصل الموسيقيّ – باسقِ العطاش ! ليس بين أيدينا من الوثائق والمراجع مايوضح لنا الغاية التى من أجلها سُمِّيَ هذا الفصل باسقِ العطاش فالكتب المبعثرة هنا وهناك والمخطوطات الحلبية في المكاتب حتى القديمة منها لا تذكر شيئاً عن هذا الفصل والأقوال فيه مختلفة فمن قائلٍ . ان قحطاً أصاب مصر ذاتَ سنة فقلّتْ فيها مياهُ النيل وجاعَ الناس فتضرّعوا إلى الله أن يسقى عطاشهم بقولهم :- ياذا العطاء . ياذا الوفاء . ياذا الرضاء . ياذا السخاء اسقِ العطاش تكرّماً – ومن مُدّعٍ أنّ الحادثة إنما وقعت فى حَلَب ودليلُه العادةُ المتّبعـةُ في هذا البلد حيث يجنح رؤساء الأديان المختلفة عند حدوث القحط إلى استمطار غَيثِ الرحمة من لدن القويّ العزيز فيذهب الأذى عن الناس ومن ظانّ أنّ (اسقِ العطاش) رمزٌ تصوّفيّ الى قول غزليّ وجه الى الذات العلية مجازاً وانه بمثابة دور يُتلى فى الأذكار والمقامات الدينية حيث لهُ القدح المُعلّى بين كافّة الأدوار ، ومن قائلٍ غير هذا ونحن لا يسعنا تجاه هذه الأقاويل والأقاصيص إلاّ الوقوف وقفة المتحير الذى لا يجد مشكاة يستضىء بنورها الى معرفة الغاية الحقيقية التى من أجلهـا أُلّفَ هذا الفصل فكل ما قيل فيه يمكن أن يكون صحيحاً لأن الطقوس الدينية المتّبعة في أكثر البلاد الشرقية وفى البلاد العربية خاصّةً لا تُنافى ما جاء عنهُ

ثم اننا نعلم أن القاء الأناشيد الدينية إنما يكون بالترنُّم والتنغيم وأن كل قول منه تضرُّع واستغاثة يُرفق بموسيقى لهُ خاصة تشتركُ فيها أصواتُ المغنّين دلالةً على امتزاجِ أرواح القوم بها وميلهم اليها .

هذا ومن جهة أخرى نعلم يقيناً أن المتصوفين كعُمَر بن الفارض والسيد الجيلانى وغيرهما قد نظموا أشعاراً وأقوالاً فى مدح الذات العليّة وفى مديح الأنبياء فى غاية من الدقّة والنعومةِ واللطف لا يتمالكُ من يفهمها عن نوبةِ سرورٍ وقشعريرةِ طربٍ تستولي على حواسّهِ عند الاستماع اليها

خُذْ لك مثالاً قول السيد الجيلاني يَصفُ مساجِدَ الله والوعّاظ ويصل قولهُ بآية قرآنية

« غواص الفكر ، يغوص في بحر القلب على دُرر المعاني فيستخرجها الى ساحل الصدر فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان فتُشترى بنفائس اثمان حسن الطاعة في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها إسمهُ يُسبح له فيها بالغدو والآصال رجال الله فهذا القول وغيرهُ كثيرٌ دليلٌ على ان منظومة اسقِ العطاش يمكن ان تكون تضرعاً او مديحاً او رمزاً تصوفياً غير اننا اذا بحثنا عن موسيقى هذه المنظومة والألحان التى تتضمنها والادوار التي تتخللها من تواشيح وتهاليل وتجاويد نجد انها اي النغمة حجازية الاصل سورية المنبت حلبية اللهجة والاسلوب والسطور لها طابعها الحلبي الخاص الذي تضاهي به بقية النغمات الشرقية لا تعقّد فيها ولا تكلُّف على جانب من الرقة والجمال تستهوي ألباب السامعين بسياقها العذب السيَّال الذي لا تأخذك فيه صدمة ولا رَقفة ولولا هذه المزايا لما طار صيتها وتردَّد ذكرها على الألسنة في كل مجلس طرب . اسمع في هذا الفصل نغمة الحجاز وما ادراك ما هي نغمة الفرح واللّذة والطرب والأدب أساسُها النوى وقوامُها العراق ونبتها سوريا وأصلها في الحجاز هي نغمة الحداء نغمة التضرع والاستغاثة اسمعها في الشام والحجاز والعراق على المآذن وفي الجوامع والكنائس وفي حفلات الاعراس والافراح انها كانت ولا تزال تسود اكثر الأغاني الشرقية العربية منذ مئات السنين وهي هي لم تتغير ولم تتحول بل ليس من نغمة شرقية على وجه التقريب الا وفيها عبارة او عدّة عبارات حجازية تزيدُها رونقاً وبهاءً

والنغمة الحجازية المستعملة فى هذا الفصل تختلف عن أُختها نغمة الحجاز المصرية فالاولى أي الحلبية طبيعية صافية القرار خالصة من الزركشة والتفنن الزائد لها جمالها الطبيعي تُعرف لأوّل وهلة لدى من لهُ المامٌ بالموسيقى بانها شهبآئية تمثل الحلبيّ بهدوءِ وسكونهِ ولطفه ولينهِ واختها المصرية حادّة اللهجة ذات أُسلوب مزركش وثوب مطرَّز مما يوافق اللهجة المصرية وأساليبها الغنائية ، لا شك ان من يسمع فصل إسق العطاش اذا قامت بادآئه جوقة كاملة الشروط والأوصاف يطير في جوٍّ من الانشراح والطرب فاولهُ تضرُّع يستدعي انتباه السامع ويقظه من غفلته ليلتجيء الى واحد الوجود الذي بيدهِ كل شيء وهو على كل شيء قدير ونغماتهُ في كافة مقاطيعه متراصَّة متناسقة متجانسة لا وحشة فيها ولا غرابة بل كلها أُنس وشجون وطرب ثم تسلسل دواره والحانه من طور الى طور ومن وزن الى وزن ينتقل خلالها السامع من يقظة الى نشاط ومن

نشاط الى حركة الى هياج ينتهي به الفصل الى مشهد من أجمل مشاهد الفن وأبدعها واعني به الرقص المعروف برقص السماح . والسماح لفظة شعرية بمدلولها موسيقية بمبناها ومعناها ، وهل من شيء أجمل من السماح والمسامحة في مقام البسط والطرب بل هل يكون بسط او طرب في حفلة انس وطرب اذا لم يسد التسامح بين المجتمعين فيها على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ، ان هذه التسمية تدلنا على لطف فى طبع الحلبي ورقة في شعوره ، وقد جرَتْ العادة عند الحلبيين فى حفلات الطرب الكبرى التي كانوا يقيمونها أنهم كانوا يجمعون مَهَرَة الموسيقيين الذين يحسنون العزف على آلات الطرب كالناي والعود والقانون والكمنجة و بصورة خاصة على الدفوف والنقاريات والمزاهر التي بواسطتها يضبط الوزن وعلى نقراتها تدور حركات الراقصين ويخصصون لهم في ساحات الدور أجمل المواقع ويجلسونهم على تخوت ممتازة في وسط الدار أو فى صَدر البيت فاذا اكتمل جمع القوم وانتظم عقدهم وشربوا القهوة المعتادة بدأت الجوقة الموسيقية باشارة من رئيسها بتوقيع المعزوفات ثم يتبع العزف غناء بطيء فخم ذو ضروب واوزان ثقيلة كالاوفر والزنجير والدور الكبير للدفوف في ادآئها دورٌ مهمٌ فاذا انتهت الادوار الثقيلة التي كانت تضم فى الغالب أناشيد وتواشيح من نوع المديح والمناجاة بدأوا بالأدوار الرهجية المنعشة كالدور الهندي والاقصاق الخفيف والمربعً وفي خلال ذلك ينتقل السامع من طور الخشوع والتأمل والزهو الى طور التيقظ والاستمتاع حتى اذا جآء دور الاغاني القصيرة المفرحة كالاكرك والمصمودي والضربة الواحدة قامت جماعة من الفنيين أو المتفننين الغاوين فاصطف ضمن حلقة مناسبة الشكل والظَرف واخذت برقص السماح ولا تسل عما يداخل نفس السامع المتفرج من الطرب حين يرى حركات الراقصين والضاربين على الدفوف تنسجم انسجاماً تاماً يُخيل الى الرائي ان القوم يُحركهم مُحركٌ صناعي لا تختلّ دوراته مقدار شعرة واجملُ من هذا كلهِ ان حركات الراقصين تختلف باختلاف الضروب والاوزان ولذا فإنهم ينتبهون كل الانتباه الى إختلاف ورن التوشيح أو النشيد الذي يقضي بتغيير حركات الرقص لا سيما عند بدايته وترى ايديهم وأرجلهم تروح وتجيء بمثابة واحدة ومسافة واحدة ووجوههم شاخصة الى اعلى حتى إذا تغيَّر وزن الرقص إتجهت الى أسفل لتوحيد الحركة فبينما يكون الدور حلقة اذا به إنقَلَبَ فصار شبكة فمن حركة خلفيَّة الى وثبة أمامية ومن مقابلة سجعيةٍ الى مباعدة آتية

ولا تَسلْ أيضاً عما أذا كان يقع أحياناً من المنافسة بين الراقصين وضاربيّ الاوزان فقد كان كلٌّ من الفريقين يتفنَّن بحركات وزنية وضروب إيقاعية يمتاز بها الطبَّال والراقص ويتحيَّن الفُرَص

لايقاع رفيقه في فخ ينصبهُ لهُ مستفيداً من غفلته أو غشمه في الصنعة اذا كان ضعيفاً . من ذلك ما حكي لنا الاستاذ كبابة (عوّادٌ معروفٌ في حلب) ان جوقته دُعيت مرّةً الى بيت من بيوتات العزّ في حلب للعزف والانشاد فطُلب منهم اثناء الغناء ان ينشدوا (إسق العطاش) فاجابوا الطلب وقام في خلال الفصل جماعة من الماهرين في رقص السماح ونثروا الزهور على المطربين اشارة الى طلب الرقص ويظهر انهم كانوا اكثر خبرة في التفنّن بالضروب والحركات الوزنية ولم يكن اذذاك في الجوقة الغنائية طبّال ماهر فاخطأت الجوقة الضروب ووقعوا في الشرك وأصابهم من الخجل ما أصابهم فنظر صاحب البيت الى السيد كبابة نظرَ اللائم فاعتذر هذا وأفهمهُ أنهُ لم يكن يعلم ان المطلوب من الجوقة فصل إسق العطاش وان في الحفلة قوماً يجيدون رقص السماح فيستعدَ لهُ وطلب منهُ موعداً لاجتماع آخر فكان لهُ ذلك وحضر القوم الحفلة الثانية وبينهم جماعة الراقصين وكان صاحبنا كبابة قد استصحب معهُ طبّالاً ماهراً يلقب بأبي قلاووس وبدأ الفصل وقام الراقصون وأخذوا في التفنن واشتدّ الوطيس وأبرز كل من أفراد جوقتيّ المغنيين والراقصين ضروب الحركات وأخذوا وردّوا وصالوا وجالوا وما هي إلا لحظة حتى كان النصر بجانب أبي قلاووس وجماعته فيبدأ الراقصون ينسحبون واحداً بعد آخر لان العادة كانت تقضي بالانسحاب والجلوس على من يفلت منه الوزن وليس فينا من يشك بان وضعية الاستاذ كبابة في هذه المعركة الانتصار وكانت غيرها في حفلة الفشل والاندحار

ولنعلم ان أناشيد القوم وتواشيحهم كلها كانت خالية من الفاظ التهتك والابتذال ومعاني السقوط والفجور فلم يكن يسمع فيها ، يا منعنسة يا بتاعة اللوز لا ، ما تخافش عليّ أنا واحدة سجوريا ولا التاكسي واقف على الباب ، بل كنت تسمع من القصائد والتواشيح والقدود والادوار ما لم يكن يحوي من الكلام الا ما هو بسيط شريف كقولهم

كللي يا سحب تيجان الربى بالحلل وكقولهم ان انعمت ليلايّ بالقرب يا بشراي وكقولهم أهوى قمراً سهامهُ عيناه بالنبل يصيب قلب العشاق وكقولهم ، حبذا الدوكاه يحلو في اصول الجتبر من رخيم الصوت يحلو ذو الغناء المسكر وصدا الطنبور يجلو كربة القلب الحزين سيما والوقت يخلو من رقيب مفتر ، الى غير ذلك من الاقوال والمنظومات اللطيفة التي لم تكن من خطر على أخلاق سامعيها وقد كانت النغمات الموقعة على هذه المنظومات كلها من البسيط السهل مما ينطبق على الآلات الشرقية التي ذكرنا بعضها ، هذا شيء من فصل إسق العطاش أو بعبارة أخرى عن الموسيقى الحلبية

فى الجيل الماضي ولعل كثيرين من شيوخنا الافاضل سمعوا عنها الشيء الكثير وحضروا من الحفلات غير اليسير فأليهم نعتذر إذا كان فيما سردناه ووصفناه شيء يخالف الحقيقة والواقع فيما مضى لاننا لم نعتمد فيما قلناه الا على موسيقى الفصل .

وقد شاهدنا عياناً في سنة محل بمدينة غزّة (فلسطين) رؤساء الأديان الروحيّين من المسلمين والنصارى واليهود يذهبون الى أكمةٍ شرقيّ المدينة يُقال لها المنطار (تحريف لفظة مطران) ليتوسّلوا الى الله أن يأتيهم بالغيث رحمةً بالعالمين وكثيراً ما كان الله يقبل دعواتهم فيرسل اليهم الأمطار الغزيرة بعد أيام معدودات

على أن من عادات العرب انهم كانوا قديماً يعقدون في سني الجدب السَلَع والعُشَر (وهما نوعان من الشجر) في أذناب البقر الوحشية وبين عراقيبها ويطلقون فيها النار لكي يرحمها الله وينزل المطر لاطفاء النار عنها

والاغرب ما رواهُ السيَّاح في البلاد المتوحشة على ماذكرهُ أحد السيَّاح الانكليز يقال لهُ المستر رَلف مور وهو انه بينما كان في بانين بالقرب من خور غينيا رأى امرأة مصلوبةً في الجوّ فدهش من ذلك ولما سأل عن السبب قيل لهُ انها ضحية مقدّمة للآلهة إستدراراً للغَيث لِما أنَّ عندهم للجوّ والمطر آلهةً على حدّ قدماء اليونان الذين لهم آلهة مخصوصة للحرب والخمر والعشق والشعر والموسيقى والريح والبحر ومثل هذه المرأة تُترَك مصلوبة الى أن تموت

(تنبيهٌ) منعاً للَبْس واصلاحاً لفساد معنى ما جاء بصفحة ٢٨ سطر ١ نلفت نظر القارئ الكريم الى أنَّ هين الشاعر هو الذي غادر مخدعهُ على ضعف بصره وما بهِ من عَرَج قاصداً الى متحف اللوفر بباريس ليشاهدفيهِ قبل ان يلفظ نفسهُ تمثال فينوس المهشَّم الذي نفخ فيهِ بيجماليون الحفار من روح الفنّ وسموّ الخيال وروائع الجمال ما جعلهُ موضع إعجابهِ وفخراً للعالمين .

قال أبو هريرة (رضه) عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم انه كان يقول اذا أوى الى فراشه اللهمَّ ربّ السموات وربّ الارض وربّ العرش العظيم ربَّنا وربّ كل شيءٌ فالق الحبّ والنوى ومُنزل التورات والانجيل والفرقان اعوذ بك من شرّ كل شيءٌ أنت آخذٌ بناصيته اللهم أنت الاول فليس قبلك شيءٌ وأنت الآخر فليس بعدك شيءٌ وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ أقضِ عنا الدَّين وأغننا من الفقر » خرَّجه مسلم

موشحات مصرية

موشح كردان ضربه سماعي ثقيل

نجوم الليل تشهد لي بأني لا أنام الليل
ونيران الحشا تصلي وعشقك هدّ مني الحيل
وغرامي طال والهوى قتّال ودمعي سال يحكي السيل
دور سألتك يا رشيق القدّ بوصلك للشجي تسمح
وقبلة فوق ورد الخد والاّ من فمك أصلح
سلسلة فانثنى يختال كالقنا العسّال وعني مال كل الميل
وقد زدت عليه قولي
حبيبي لا تطل هجري وعاملني باحسانك
وجُد لي واغتنم أجري فكم أجري على شانك
سلسلة ريقك الجريال ورده سلسال
وغيري نال منك النيل
سلسلة عنبري الخال شغل به خال وبلبال زاد الويل

موشح سيكاه ضربه نوهت

على ابش يامنى قلبى ترضى بالصدود
وتشمت بتعذيبي عذولي الحسود

موشح سيكاه سماعى دارج

هات ايها الساقى الاقداح واملا لى كؤوسي
نغتنم أنسها حين صبحي لاح وانجلت عروسي
في ربى زهرها مبتسم ياصاح نزهة النفوس
والهزار فوقها ياندیمي صاح اذا بدت شموسي
خانه كلما تصيح بالالحان اطربت حلالي

صحبتي بصبها في الحان شربها حلا لي
خمرة المدامة والنديم وبنت الدوالي
اسقني السلافة كي أهيم ففيها الدوالي

سلسلة ساقيها غزال يفوق الهلال راخي الدلال
ألحاظكال ترمي بالنبال خذ روحي ومالي

الوصلة العاشرة جهاركاه موشح ضربه رقم ٢٤

كللي ياسحب تيجان الربى بالحليّ
واجعلي سوارك منعطف الجدولِ

خانة أولى

ياسما فيكِ وفي الارض نجومٌ وما كلما أغربت نجما أشرقت أنجُما
وهي ما تّهطل الاّ بالطلا والدما

قفلة فاهطلي على قطوف الكرم كي تمتلي
وانقلي للدن طعم الشهد والنوفلِ

خانة ثانية تنقد كالكواكب الدُّر للمرتصد
يعتقد فيها المجوسي ما يعتقد

قفلة فأتني يا ساقي الراح بها واعتمد
وملى حتى تّراني عنك في معزلِ
قَالِّ فالراح كالعشق إن يَزِدْ يقتلِ

خانة ثانية من ظلم في دولة الحسن اذا ماحكم
فالدم يحول في باطنه والهندم
والقلم يكتب ما سطر فوق القمم

موشح حجازي ضربه سماعي ثقيل

قدّك الميَّاس يا بدري لغصون الآس قد يُزْري
ان فيك الكاس والخمري والرحيق أجناس يا عمري
انت أحلى الناس في نظري زلّ من لك قاس بالقمرِ

قلت لما طال بي سهري يا حبيبي لا تطل هجري
دور قد سباني لحظك التركي وضناني خالك المسكي
ورد خدك هو سبب سبكي انني في الحب ما أشكي
يا غزالاً رام بي هلكي في غرامي قلّ مصطبري
قلت لما طال بي سهري ياحبيبي لا تطل هجري

موشح من السيكاه

هات أيها الساقي بالاقداح واملى لى كؤوسي
واغتنم أنيسها حين صُبحي لاح وانجلت عروسي
في ربى زهزها المبتسم ياصاح إذ بَدَتْ شموسي
خانة كلما تصيح الألحان مطرباً حلالي
صحبتي بصهبات ألحان شربها حلالي
خمرة المدامة ونديم وبنت الدوالي
فاسقني السلافه كي اهيم ففيها الدوا لي
سلسلة ساقيهاغزال يفوق الهلال راخي الدلال
الحاظ الكحال ترمى بالنبال خد روحي ومالي

موشح عشاق

يامخجل الاقمار بالحسن والانوار الى متى اعذار قلبى اشتعل بالنار
دور ثغرك شهي خالي فى اللثم يحلى لى عطفاً على حالي وارعى جوار الجار
دور خالك هو العنبر والخد ورد احمر هيا بنا نسكر كي ننتفي الاكدار

وقال الشيخ على الليثى شاعر الخديوي اسماعيل هذه الأدوار من الحجازي ضربها مصمودي

مذهب ثغر المسرات ابتسم قم يا نديمي للسرور
هذا ثنا حلو الشّيم فاق الأهلّة والبدور
دور الزهر يبدي بهجة والزهر في سعد السعود
كل يحاول عطفة من عين انسان الوجود

دور قاني القوام عنّي انثنى وعاذلي نال المرام
فيا فؤادي للضنى واصبر لك حسن الختام

وقال ملحناً من الحجازي في وصف سراي توفيق باشا بالقبة ضربها سماعي خفيف

مذهب روض المحاسن والصفا في بهجة القبّة صفا
توفيقها كنز الوفا بالانس فيها شرّفا
دور ياروضة الحسن الاجلى انس التهاني فيك عجب
فيك السراية تنجلي من حسن آلات الطرب
مذهب يا ناس حبيبي له لحظ تركي ونور جبينه للبدر يحكي
أهيف مهفهف والغصن قدّه والخدّ جنّة والخال مسكي
دور من نار غرامك ياما جرى لي انظر بعينك وارأف بحالي
داوي فؤادي من شهد ريقك ياحلو يلّي ريقك حلى لي
دور حبي من الله ما هواش بايدي وحياة جمالك ترحم ياسيدي
واصل محبك وارأف بحاله وصلك مناي ويوم وعيدي

وقال ملحناً من الحجازى ادواراً في وصف سراي توفيق باشا وهي السراى المشهورة بنمرة ٣ بالاسكندرية

درو في مجلس الانس الهني طاب السرور وقد صفا
والغصن في الروض انثنى طرباً لتوفيق الصفا
دور انعش فؤادك بالطرب ومحاسن الصوت الرخيم
والعود بانغامه عجب والقلب من حسنه يهيم
دور نمرة ثلاثه في ضيا من نور توفيق الكمال
والروض أضحى زاهياً تحلو مناهله الزلال
دور يامن سمى كل الورى بالحكم والكرم المزيد
فمثال عدلك لم أرَ يا صاحب الرأي السديد

وزاد عليه السيد ابو النصر

دور أصل الهوى سحر العيون والورد فى روض الخدود

كيف احتيالي في العيون والوجد لي فاق الحدود
حسنك سباني والجمال اسمح بوصلك يا جميل
واحنا رضينا بالدلال للهجر هل عندك دليل

وقال الشيخ على الليثي أيضاً من الحجازي وضربها مصمودي

مذهب آه من قلبي المعنَّى من تباريح الغرام
مني وانا والله سقامى أصلها هذا المرام

وزاد عليه السيد ابو النصر

مذهب زارني المحبوب ليلاً وملالي الكاس وراح
وسبى الاغصان ميلاً وهو سلطان الملاح
دور قام يسعى بالحميا وهو في تيه الدلال
ذبت وجداً حين حيَّا وانثنى عني ومال
دور قم بنا يا نور عيني نجعل الشك اليقين
واوفِ لي بالفضل منك والعواذل شاهدين

وقال تهنئة لقدوم مولانا العزيز من الآستانة سنة ١٢٩٠ هجرية ضربها مصمودي

مذهب انس العزيز بدا فينا يوم المنى لما اقبل
الدنيا في بهجه وزينه حتى الدعا منا يُقبل
دور بشرى بدا فينا الاسعاد لله ما أحلى البشرى
تحكي التهاني والاعياد لعزيزنا العالي قدرا
دور مصر السعيدة فى إقبال والثغر يبسم عن جوهر
أضحت بعزّه في إجلال والنيل فيها كالكوثر
دور لولاه ما زهت الانوار منشي التمدن والتنظيم
عمَّتْ عدالته الاقطار وامدّها فيض التكريم
دور لا زال في حفظ الرحمن بعُلا الكمال مدى الدهر
ما صاح قريّ الاغصان في يانع الروض الزهري

دور يارب فاحفظ أنجـاله بمحمد كنز الاسرار
وكذا الحسـين بكماله ثم الحسن نور الابصار
دور بمقـام خليلك ابراهـيم اجعل ثاني فيه محمود
وأدم له منح التعظيم مالاح كوكبه المسـعود

وقال مهنئاً الخديوي حين قدومه من الآستانة سنة ١٢٨٩ وصلة جهاركاه ضربها مصمودي

مذهب حـل الصـفا والعـز دام واستبشرت كل الانام
والأنس قال مؤرخاً فيكم أتى بدر التمـام
١٥٠ ٤١١ ٢١٦ ٥١٢

١٢٨٩

وقد نظم أيضاً تهنئة بمولد عباس بك حلمي نجل الخـديوي توفيق سنة ١٢٩١ هـ الموافق ١٨٧م دوراً من الجهاركاه مطلعهُ

طلع البـدر المنـير نور الاكوان وبان
ربّ بالهادي البشـير تحفظـه طـول الزمان

وقال الشيخ احمد الزرقاني هذه الأبيات من الجهاركاه ضربها مصمودي

شـوف حالي يا هـاتك حالي يامدلّع يا شـاغل بالي
دور يا قاسي يا مصـعب قلبـك عقبـالي مثلك عقبـالي
دور يا ناري من ورد خـدودك ياذلي من كتر صدودك
ارحمني من بُعدك عني دا العـاذل بعـدك مارثى لي

وقال الشيخ احمـد وهبه من الراست ضربهُ مصمودي وقد سمعناه من عبده الحمولي وهو من تلحينه خاصّة

مذهب الورد في وجنات بهي الجمال وعنبرى الخـد سـبى مهجتي
أهيف شغل بالي بتيه الدلال ما حيلـتي في الحب يامنيـتي
دور يامن أخذ روحي وأضنى الفؤاد وحرّم الاجفـان لذيذ الرقاد
إعطف علي حِبّك بحفظ الوداد واترك صدودك والجفا يا منيتي
دور يامن سبى عقلي بورد الخدود اسمح بوصلك لي وضم النهود

اسمح لا تسمع كلام الحسود حبك ضناني والغرام ماحيلتي

دور من نور جبينك يارشا لاح الهلال والحسن كله من جمالك يا غزال

والغصن أضحى من قوامك في اعتدال والدر ثغرك واللمى فيه راحتي

وقال الشيخ علي الليثي مهنئاً توفيق باشا بعيد الفطر

(موال) هلال سرورك زها والسعد لك هنّى والعيد اقبل يرى أُنسك ويتهنّى

والبشر قال يامعالي انهضوا معنا نسير الى أنس توفيق العز يزفي الحال

نروي حديث الصفا باللفظ والمعنى

وقال محمد الدرويش هذه الادوار ضربها مصمودي من الحجازي

مذهب فريد المحاسن بان وكان احتجب عني
فشافه غُصين البان فقال يا حمام غنّي

دور وكل الغصون ان ماس قوامك يعاملهم
وياما سبالك ناس وهيّج بلابلهم

دور وفين الحبيب يا ناس يجي يشوف حالي
بقى له زمان ما جاش بالي معاه بالي

وقال الشيخ علي الليثي الموّالين الآتيين

الاول إن ماس قوامك قوامك يزدري بالآس عامل كعامل بقلبك ما رأيت له آس

من قاس لحاظك بهنديّ السيوف ماقاس يامفرد الحسن سقمي مارأيت له طب

الا رضا بك رضابك فانعطف يا ناس

الثاني ريحان عذارك وتفاح الخدود وارد وسحر عينيك خلّى الصب في وارد

لو كان محبك على كوثر لماك وارد ما كان يغدو الليالي في انتظار وعدك

من كتر شوقه اليك باسمك يبات وارد

تلحين عبده الحمولى

مذهب شورى حبيت جميل طبعه الدلال بالبدع والتيه أفناني
قصدي يتوب عن الخصام واقول حبيبي هَنَّاني
دور– لو كان وفاني بوعده يوم أو في المنام زارني طيفه
ما كان جفاني لذيذ النوم لكن دا كلُّه على كيفه

مذهب سيهوند يا منية الأرواح جُد لي بوصلك يوم
العقل مني راح وهَجَرْ عيوني النوم
والمدامع مطر يا شقيق القمر
والقلب إنفطر وازداد عذولي لوم
دور– دا الهجر يا روحي زاد الفؤاد أشجان
إرحم بقا نوحي واسمح يا غصن البان
إنعطِف لي وميل والنبي يا جميل
وإشفي صبّ عليل في محبتك حيران

مذهب بياتي دوكا غنّاه أحمد حسنين على اسطوانة لشركة أوديون

فضل زماني يواعد ، أنا وحبيبي يجمعنا ، وأفضل أعاتب ، حتى تفضّل وساعد ، بس العذول مالوش معنى ، يا ناس عجايب

دور أول – روحي وروحك حبايب ، من قبل دي العالم ، والله صدق حبيبي ، أهل المودّة قرايب ، شرَّف بقا واملا كاسي ، واطفي لهيبي ،

دور ثاني – فى صحتَّك يا حياتى ، من الضنى أشرب كاسي ، وأسأل خيالك ، ما ملاك جمالك جهاتي ، بس انت من لطفك ناسي ، خلّي لي بالك ،

مذهب عشاق – ما حدّ مثلي شاف أمور في العشق يا أهل الغرام ، ما فيش وفا والودّ زور ، وعشرة الخاين حرام

نهوند نوى أثر – الصبّ من أول نظره ، قلبــه سلّم لأهل الجمال ، والحب يحسن مرّة ، للي تكلم لكان يقال حبيت أشوفك ما تيسر ، والشوق غالب والقلب

دور – ودينك تقول الحق ، الحق ما فيهش جميلة ، وان كان سكاتك عشق والاّ عامل دي حيلة ، عشقتك بميل القد ، ولك عيون خلقه كحيلة ، بس آه من الوعد الوعد لياليه طويلة

مذهب رصد غناه عبده – يا هل ترى تيــه دلالك ، مفرد الحسن غيّــ والاّ على شان جمالك ، انت بتصحك عليّ

دور ثاني – احب يا حلو ليلي ، تحكم وتأمر بقلبي ، وأنا أتوب من دى النوبة تغفر ذنوبي يا ربّي

مذهب دوكه – بدع الحبيب كله يطرب ، إن كان دَلَع والاّ غيّــة ، وكل أحو تعجب ، بس الجفا والأسيّة ، والتيه يحليه مش عارف ليه ، ودا إيه يرضيه يا قلبي علي

دور – على هواك تعرف شغلك ، إن كان تسيء والاّ تحسن ، عبدك أنا راجي عفوك لمودّتي إن كان يمكن ، إنعم بوصال هوا جرى إيه ، والصدّ دا حال ما اقدرش عليه

وقال الشيخ أحمد وهبه من الراست ضربها مصمودي وقد غنّى هذا الدور عبده الحمولي

مذهب – الورد في وجنات بهيّ الجمال وعنبري الخد سبى مهجتي ، أهيف شغل بالي الدلال ما حيلتي في الحب يا منيتي

دور– يا من أخذ روحي وأضنى الفؤاد وحرم الأجفــان لذيــذ الرقاد
اعطف على حِبّك بحفظ الوداد واترك صدودك والجفا يا منيتي

دور– يا من سبى عقلي بورد الخــدود اسمح بوصــلك لي وضم النهود
اسمح ولا تســمع كلام الحسود حبك ضنــانى والغرام ما حيلتي

دور – من نور جبينك يا رشــا لاح الهلال ، والحسن كله من جمالك يا غزال والغصن أضحى من قوامك في اعتدال ، والدر ثغرك واللمى فيه راحتي

مذهب رصد – فؤادي جد به حالات ، لمين يا حلو أشكيها ، وتحكم لي أنا ساعات ، أشاهد موقفي فيها

دور – حياتى بعد بعدك نوح ، ووعدي ضيَّعك مني ، وهوّ انت الفدا للروح ، أوليه ترضى البعاد عني

وتتمةً للقصائد التى غنَّاها المتقدِّم ذكرها بالجزء الأول نذكر قصيدة للإمام العارف بالله الشيخ أبى حفص شرف الدين عُمَر بن الفارض رضي الله عنهُ وقد وُلد فى الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة وتُوفي بها يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ودُفن في اليوم التالي حسب وصيّتهِ بالقرافة في سفح الجبل المقطَّم تحت المسجد المعروف بالفارض وهاكم القصيدة برمَّتها

غيري على السلوان قادر	وسواي في العشاقِ غادرْ
لي في الغرام سريرةٌ	والله أعلم بالسرائر
ومشبه بالغصن قلـ	ـبي لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وإنها	لحلاوة شقت مرائرْ
أشكو وأشكر فعله	فاعجب لشاكٍ منه شاكرْ
لا تنكروا خفقانَ قلـ	ـبي والحبيب لديَّ حاضرْ
ما القلب إلا داره	ضربت له فيها البشائر
يا تاركي في حبه	مثلاً من الأمثال سائرْ
أبداً حديثي ليس بالـ	ـمنسوخ إلاَّ في الدفاترْ
يا ليل مالك آخرٌ	يُرجى ولا للشوق آخرْ
يا ليلُ طُل يا شوق دم	إني على الحالين صابرْ
لي فيك أجر مجاهد	إن صحَّ أن الليل كافرْ
طرفي وطرف النجم فيـ	ـك كلاهما ساهٍ وساهرْ
يُهنيكَ بدرك حاضرٌ	يا ليت بدري كان حاضر
حتى يبينَ لناظرى	من منهما زاهٍ وزاهرْ
بدري أرق محاسنًا	والفرق مثل الصبح ظاهرْ

ابراهيم القبانى

ابراهيم القباني مربوع القامة قمحيّ اللون حُرّ الخلال مُتطأمِن النَّفْس مُلحن مشهور وعوّاد قَد زَاوَل مهنتهُ زمناً طويلاً متنقلاً في أنحاء الوجه البحري إلى أن أقام أخيراً بمدينة الزقازيق حيث عُهِدَ إليهِ في العزف والغناء منفرداً بدون تخت في قهوة سماع يقال لها قهوة جورجي بالقرب من محطة البضائع القديمة للسكك الحديدية المصرية وهو ولا جرم يعدّ من نصراء الموسيقى القديمة في عصر عبده وعثمان ولهُ أدوار كثيرة تَشْهدُ لهُ بطول الباع في ضروب التلحين وحفظ طابعها الشرقي ومما يجدر ذكره أنهُ قام بتلحين بعض أدوار من نظم المرحوم اسماعيل باشا صبري مثل الفؤاد مخلوق لحبّك ويا قمر داري العيون أصل جرح القلب لحظك والكمال فى الملاح صُدف . وهذه الأدوار على مضي مديد الزمن عليها لا تبرح تُذَكرنا ما كان عليه الفنّ القديم من عذوبة المشرب وحسن الانسجام ومحكَم النسج مما يفعل بالألباب فعل السُلاف وأعظم شاهد على حسن تقدير الراحل أن عبده الحمولى تناول بعض أدواره التى من ضمنها الكمال في الملاح صُدف وغنَّاها مختاراً ويُروى أن الأخير طلب منهُ دوراً من تلحينهِ فأخذهُ عنهُ وغنَّاهُ فوق تختهِ غير مرَّة مرتاحاً لتلحينهِ المتين بدليل أنهُ كان كلما وردتْهُ سهرة غناء فى الجهات الريفية مثل بلبيس وهيها ومنيا القمح قام بنفسهِ بتحرير عقد الاتفاق باسم القبَّاني ليقوم الأخير بالغناء فيها بالأجر الكامل جزآء إملائهِ الدور الغنائي لعبده فتأمل ! وبالجملة فأدوار القبَّاني خالدة تزداد حسناً وبهاءً كلما تقادم العهد بها والدنيا خُدَع والناس بِدَع لو بُعِثَ من رَمسهِ وسمع أغانيّ بعض المجددين لآثرَ الموت على الحياة فلا حول ولا

المختار من ألحانه : مذهب بياتى رصد – يا قلب مالك صبحت تشكي . ما كنت قلت العشق حرام . إن كنت تنوح والاّ تبكي . سلّمت روحك للغرام جفاك حِبَّك ورضيت هجرك . يا قلب ليه ترضى الملام

دور – سهدك والنوح ما بقاش ينفع يا ما كنت أقول لك توب لك يوم تركت نصحي ولم تسمع . وصبَّحْتْ عرضة لأهل اللوم . رضيت ذلك قول لي إيه قصدك . ضيَّعت مني يا قلبي النوم

مذهب نوا أثر – يا قمر داري العيون ، أصل جرح القلب لحظك ، واللي زاد عندي الشجون ، يا حبيبي ورد خدك ، فى هواك الروح تهون . نور عيوني قلبي حبك

دور – العذاب فى الحب هين ، بس لو يرضى الحبيب ، أما هجره دا شيء يجنن ، شيء يزيد النار لهيب ، إن شكيت نار المحبة ، وقت هجران الحبيب ، الوفا من بعد بعده ، هو دا أحسن طبيب

مذهب سهونه جديد – وصل الحبيب كان مني قريب ، واليوم بعد وصبحت غريب ، فى أرض أشجان وبحر أجفان ، والوجد فرحان فى قلب حزنان ، غدر الملاح مش أمر غريب ، ولكل حي قسمه ونصيب

دور – مين كان يصدق بعد صفاك ، وعرض وصلك للي هواك ، تصد وتخون وودنا يهون ، وكل دا يكون ، ما كانش مظنون ، إغتر قلبى فيك ووفاك ، وكان جزاه غدرك وجفاك ،

مذهب – الكمال فى الملاح صُدَف ، لكن مالك روحي ملك ، والهيام فى هواك شرف فيا عذولي أسألك بالحق شوفتش كده ، ولا محاسن بعد دِدَه ، لا شيء رأيته ولا صَدَف

دور – العشق كله حِكم والصب يصبر لو عَرف أمر المحبة مُحترم إن جار حبيبك أو عَطف قدم حياتك له فِدا واصبر على كيد العِدَا

مذهب – الفؤاد مخلوق لحبك ، والعيون على شان تراك ، والنفوس تحيا لقربك ، والملوك تطلب رضاك ، راع ربك رق قلبك ، إشفِ صبك من لماك

دور – الجمال منسوب لشكلك ، والقمر محسوب ضياك ، مين يطول في الملك وصلك ، وانت في ياهي عُلاك ، مين يماثلك مين يعادلك ، مين يليق لك في سماك

(**مذهب راست**) – البلبل جاني وقال لي ، اسمح بوصلك يا خِلي ، فقلت له إبعدْ عني ، البلبل على الحبيب زعلان ، يا ما انت ظالم ، والقلب مشغول بالمحبة ، والا إنت عامل ، ليه كده زعلان ، انا من غرام محبوبي ، طول ليلي سهران ، من غرامك عاشق جمالك ، البلبل على الحبيب فرحان .

دور – ليه يا حمام بتنوّح ليه فكّرتني بالحبايب ، يا هل ترى نرجع الأوطان ، والاّ نعيش العمر غرايب

مذهب راست – حبيت فؤادي أنهو يوم ، طلبت وصلك في العشّاق حتى تقول من باب اللوم ، هو الوصال م الباب للطاق

دور – ملكات قلبي اوعى له ، واحفظ ودادي ودادي ، واترك عذولي وافعاله ، شمّت فيّ الاعادي

مذهب حجاز – وحياتك أنا أهواك ، وانت يا جميل تعرف ، هو العذول أساك ، على عبدك فما أنصف ، لكن أنا أصبر لما يجي كيفك ، هَلْبَتّ يوم تعذر ، واشوف جمال طيفك

دور – وصالك حياة الروح ، و بعدك يوم على عيني خليتني انا مجروح يا قلبك ، يا عزيز عيني ، يكفي بقى تهجر ، والاّ على كيفك

مذهب سيكاه – يا قلب ما كنت تايب ، وارتحت من دي الأسية رجعت تهوى الحبايب ، يا قلب حقّك عليّ

دور – شربت كاسي في بعدك ، والهَجر زوّد لهيبي ، شرفت بالأنس عبدك ، والله زمان يا حبيبي

مذهب صبا – اسمعوا مني وارحموا حالي ، دا البعد جننّي والوصل يحلى لي ، أصحى من نومي افتكر حِبي ، أبكي من لومي وغرام صبي ، واقول حبيت والوقت ما صفالي

دور – أهدي لك روحي وانت لم تعلم ، والهجر زاد نوحي والقلب فيك مغرم ، لو تزور مرّة تعرف الطالع ، وان رضيت بالوصل ما هناك مانع ، واقول جيت والوقت دا صفالي

مذهب بياتي نواه - من قبل ما اهوى الجمال ، كنت ألوم العاشقين ، وانكر وجود المحبّة ، وحين رأيت الغزال ، صبحت ضمن المغرمين ، اعذر جميع الأحبة

دور – يا قلب مالك والهوى ، ما كنت خالص في نعيم ، وكنت قاعد مستريح ، دا العشق ما لوش دوا ، يصبح المغرم سقيم ، و يترك العاشق جريح

مذهب عراق – نظير القلب ما يعشق يقاسي ، ويستاهل محب العشق ذُلُّه ، صَبح في حال وصبره طال ، ولكن كل ده من حكم خِلّه

دور – نصحتك يا فؤادي ما قبلتش ، وطاوعت الغرام وازداد لهيبك ، وزاد وجدك أسيت هجر اللي صدّك دا كلّه من الهوى شيء مش بايدك

تلحين محمد عثمان

مذهب نواه رصد سماعي دارج – انا يا بدر لم بنظر مثالك . في جميع الناس ولم يعهد نظيرك انا يا بدر يحلى لي جمالك . ومن لطفك صبح قلبي أسيرك

دور – زماني بالوصال يا بدر سامح . ولكن انت خايف من عذولك أشوف البدر فيه منك ملامح . واعمل إيه لو يطلع قريبك

مذهب بياتي نواه – ان كان كدا والآ كدا ، إصبر على حكم المليك . حيَّرتني في دا ودا ، يا قلب من دا ايش يجيك برضاك وهواك الحب سباك

دور أول – اهواك انا وانت كدا ، عامل عليَّ عند الفؤاد . يا منيتي ما فيش كدا ، يا وجد زيد دا وجد زاد . من جفاك ما بنام الهجر حرام

دور ثاني – لحد إمتى دى البكا ، والسهد دا يا هل ترى اشمعنى قلبي ما اشتكي . واللي جرى لي ما جرى . إن نلت لك ساعة صفا ، أهيًّا من حظَّك تكون . وان كنت موعود بالجفا ، بالصبر ما يصعب يهون . على إيه جرى إيه الهجر دا ليه

دور ثالث – شفت الجميل صدفه قدر ، بالكاس يميل ساعة القمر . هيا السلام بالاحتشام ، والابتسام زال الكدر . روح يا عذول بلاش فضول ، دا ما هوش اصول تعمل كدا

مذهب حجاز كار – غرامك علَّمنى النوح ، يا حبيب القلب شوف ، مع طيفك ارسلت لروح ، اترجَّاك تعمل معروف

دور – حبيبي شوفوه لي يا ناس ، شرد مني وفي يده الكاس كوى قلبي دا يصح يا ناس اترجّاه يعمل معروف

مذهب عراق – البخت ساعدني وشفتك، وشفت روحي مهنّيه ، كؤوس تهاني تشريفك، تحكم دواعي صحيًّة ، تدوم صفاتك تحييني ، وحياة حياتك هنّيني

دور – في ساحة العفو الشامل ، اشرب على صحة ودك ، وفى صفاك كدر العاذل ، حَكَم تمام سعدي وسعدك ، من نوح وصالك طاب كاسي ، وانا لفصالك مش ناسي .

مذهب رصد بستان جمالك من حُسنه ، أبهى وأجمل من بستان ، وان ماس قوامك على غصنه ، يعلًّم البلبل الحان ، سمح زماني واتلطّف ، وشفت حِبي في البستان ، فقلت له لما شَرَّف ، والله زمان يا حلو زمان

دور – سمح زماني واتلطّف ، وشفت حِبّي في البستان فقلت له لما شرَّف ، والله زمان يا حلو زمان

مذهب بياتي – قدّك أمير الاغصان من غير مكابر (سبق ذكرهُ بالجزء الثالث)

مذهب صبي دوكاه – عهد الاخوة تحفظه (سبق ذكرهُ بالجزء الثالث)

مذهب شوق افزا – اليوم صفا داعي الطرب ، والراح حلي ويا الوصال والقلب ده ان كان عجب ، انا أهادي به الجمال ، وأسوح وأنوح ، وأحضر وأروح

دور – ما احلى المدام ويا القمر ، في الروض انا ويا الحبيب ، حتى اذا سمح القدر ، بالوصف ده ويكون قريب ، لأكيد بأكيد من لام وأزيد ، في غرام وهيام ، ما اقبلشي ملام

مذهب أوج – فؤادي أسالك قول لي ، تعلمت الهوى ده منين ، وتاه فكري معاك قول لي ، أديني حاضر وانت فين

ومثلهُ أيضاً – لسان الدمع أفصح من بياني ، وانت في الفؤاد لا بدّ تعلم ، هوينك والهوى لاجلك هواني ، ولكن كل ده ما كانش يلزم ، أطيع أمرك وتتجنى ، وتهجرني وتتهنى

دور – أدِيني صابر على ناري ويمكن ، يصادف يوم ونتعاتب ونشرح ، وده يوم صفا

لو كنت تحسن ، وصبك بعد طول الوجد يفرح ، وظني فيك جميل مثلك ، ومتمشم أنا بعدلك

مذهب نواه – تلاتين يوم ما شفت النوم ، غاب النوم من عينيَّ ، إمتى يجيني ويفضّ بُعده ، وأشرب مدامي من صحن خدُّه ، من يوم عرفته وشفت قدُّه ، ملك فؤادى من حسن قدُّه ، يا سيدي علشانه غاب النوم عن عينيَّ

مذهب – أصل الغرام نظره، يا شبكتي م العين، والحب دا قبل ما يجرى كان لي غايب فين،

دور – يا اللى كويت الفؤاد ارحم ، أسباب ضنايا العين ، والحب دا لم كان يرحم ، كان لي غايب فين

المهدى وجاريته جوهر

كان المهدى يحب القيان وسماع الغناء وكان مُعجبًا بجارية يقال لها جوهر وكان اشتراها من مروان الشامي فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي وجوهر تغنّيه فقال مروان :

أنتِ يا جوهرُ عندى جوهره في بيـاض الدرَّة المُشتهَرَه
فاذا غنَّت فنـارٌ ضَرَمَتْ قَذَفَتْ في كل قلبٍ شَرَرَه

فاتَّهمهُ المهدى وأسرَّ بهِ فَدع في عنقه الى أن خرج . ثم قال لجوهر أطربينى فأنشأت تقول :

وأنتَ الذي أخلفتني ما وعدتني وأشْمَتَّ بي من كانَ فيكَ يلومُ
وابرزتني للنـاسِ ثم تركتني لهم عَرَضًا أُرمى وانت سليمُ
فلو انَّ قولاً يـكلمُ الجسم قد بَدَا بجسميَ من قول الوُشاة كلومُ

فقال المهدي

ألا يا جوهر القلب لقد زدتِ على الجوهَرة وقد أكملكِ اللهُ بحسن الدَّلِ والمَنظَره
إذا ما صُلتُ ما أحسن خلق الله بالزهره وغنّيت ففاح البيتُ من ريقكِ بالضيرَه
فلا واللهِ ما المهديُّ أولى منكِ بالمِنبرَه فان شئتِ ففي كفِّكِ خلعُ ابن ابي جعفَره

الشيخ يوسف المنيلاوى

كلٌ يعلم منزلة صاحب الترجمة من فنّ الغناء والطرب لِما لصوتهِ من لين وعذوبة على ما ذكرناهُ في الجزء الأول من كتاب « الموسيقى الشرقية » تأليفنا فانهُ وأيم الحق يمتاز عن سائر المطربين بالأدب الجمْ وصدق المعجم وهو يُعدّ بعد موت عبده وعثمان العندليب الأوحد في كل وادي النيل وكان سامعوه من كبار القوم يؤمون مجلسه فوق تختهِ الكامل تحت رئاسة المرحوم محمد العقاد الكبير الذي ملك ناصية العزف على القانون ومعاونة ابراهيم سهلون الكماني العظيم وأمين البزري وغيرهم وهم جميعاً يدينون الى طرائق فقيد الفنّ « عبده الحمولي » وقد اشتهر بانشاد قصيدة « تِهْ دلالاً فانتَ أهلٌ لذكَ » من نظم عُمر بن الفارض وهي التي أنشدها في حضرة السلطان عبد الحميد خان سنة ١٣٠٥ هجرية وقد إستعادها منهُ هذا الأخير مراراً واقترح عليهِ أن يقيم بالآستانة فاعتذر بحجّة أنهُ صمم على السفر الى الحجاز لتأدية فريضة الحجّ وزيارة قبر النبي (صلعم) واليكم القصيدة العامرة المنقطعة القرين في باب الغَزَل التي إختارها الشيخ يوسف ليُتحِفَ بها السلطان بصوتهِ الحنون



الشيخ يوسف المنيلاوي

تِهْ دَلالاً فانتَ أهلٌ لذاكَ	وتحكَّمْ فالحسنُ قد أعطاكَ
ولك الامر فاقضِ ما أنت قاضٍ	فعلى الجمالُ قد وَلاَّك
وتلافى إن كان فيهِ ائتلافي	بك عجّلْ بهِ جُعلتُ فداكَ
وبما شئتَ في هواكَ إختبرني	فاختياري ما كان فيهِ رضاكَ
فعلى كل حالةٍ أنتَ مِني	بيَ أولى إذ لم اكن لولاكَ
وكفاني عزّاً بحبِّك ذُلي	وخضوعي ولستُ من اتهاكَ

واذا ما إليك بالوصلِ عزَّتْ نسبتي عزةً وصحَّ ولاكــ
فاتهــامي بالحبِ حِبي واني بين قومي أُعــدُّ من قتْلاكَ
لك في الحيِّ هالكٌ بكَ حيٌّ في سبيلِ الهوى إستلذَّ الهلاكَ
عبدُ رقٍ ما رقَّ يوماً لعتقٍ لو تخليتَ عنــهُ ما خلّاكَ
بجمــالٍ حَجَبْـتَـهُ بجـلالٍ هام واستعذب العذاب هُناكَ
واذا ما أمن الرّجا منهُ ادنا كَ فعنهُ خوف الحجبي أقصاكَ
فبـا قدام رغبـةٍ حين يغشـا كَ باحجام رهبـةٍ يخشـاكَ
ذاب قلبي فاذَن له يتمنّـا كَ وفيهِ بقيـــــةٌ لرجاكَ
أو مُرِ الغمضَ أن يمرَّ بجفني فـكأني بهِ مطيعاً عصـاكَ
فعسى في المنام يعرض الوهـ مُ فيوحى سراً اليَّ سُراكَ
واذا لم تنعش بروح التمني رَمَقي واقتضى فنـآئي بقاكَ
وحمت سُنةُ الهوى سِنة الغمــــضِ جفوني وحرَّمتْ لقياكَ
إبقِ لي مقـلةً لعليَ يوماً قبل موتي أرى بها من رآكَ
أترى من أفتاك بالصد عني ولغيري بالود من أفتاكَ
بانكســاري بذلَّتي بخضوعي بافتقـاري بفاقتي بغنــــاكَ
لا تـكلني الى قوى جَلدٍ خا نَ فاني أصبحت من ضعفاكَ
كنتَ تجفو وكان ليْ بعضُ صبرٍ أحسن الله في إصطباري عزاكَ
كم صدودٍ عساك ترحمُ شكوا يَ ولو باستماع قولي عساكَ
شنَّع المرجفونَ عنك بهجري وأشاعوا اني سـلوتُ هواكَ
ما باحشـآئهم عشقتُ فاسـلو عنك يوماً دع يهجروا حاشاكَ
كيف أسـلو ومقلتي كلما لا حَ بريقٌ تلفتتْ للقـاكَ
إن تبسَّمتَ تحتَ ضوءِ لثامٍ أو تنسمتْ الريحُ من أنباكَ
طبتُ نفساً اذ لاح صبح ثنايا كَ لعيني وفاحَ طيبُ شذاكَ
كل من في حماك يهواك لـكن أنا وحدي بكل من في حماكَ
فيك معنى حلّاكَ في عين عقلي وبـهِ ناظري مُعنّى حـلاكَ

فُقتَ أهل الجمال حسناً وحسنى فيهمُ فاقة الى معنـاكَ
ما ثنائي عنك الصنا فماذا يا مليح الدلالِ عني ثناكَ
لك قربٌ مني ببعدكَ عني وحُنوٌّ وجدتهُ في جفاكَ
علَّم الشوقُ مقلتي سهر الليـل فصارت من غيرِ نوم تراكَ
حبَّذا ليلة بها صدتُ أسْرَا كَ وكان السهادُ لي اشراكَ
بات بدرُ التمام طيفَ محيا كَ لطرفي بيقظتي إذْ حكاكَ
فترآيتَ في سواكَ لعينٍ بك قرَّت وما رأيت سواكَ
وكذاك الخليلُ قلَّب قبلي طرفَهُ حين راقبَ الأفلاكَ
ومتى غبت ظاهراً عن عياني ألقهِ نحو باطني ألقاكَ
أهل بدر ركبٌ سريْتَ بليلٍ فيه بل سار في نهار ضياكَ
واقتباسُ الانوار من ظاهري غـير عجيب وباطني مأواكَ
يعبقُ المسكُ حيثما ذكر اسمي منذُ ناديتني أقبِّلُ فاكَ
ويضوع العبيرُ في كلِّ نادٍ وهو ذكرٌ مخبرٌ عن شذاكَ
قالَ لي حسنُ كلِّ شيءٍ تجلى بي تملى فقلتُ قصدي وراكَ
إن تولَّى على النفوس تولى أو تجلَّى يستعبدُ النُسَّـاكَ
فيه عوَّضت عن هداي ضلالاً ورشادي غيًا وستري إنتهاكَ
وحَّد القلب حُبهُ فالتفاني لك شركٌ ولا أرى الإشراكَ
يا أخا العذل فيمن الحسن مثلي هام وجداً بهِ عدمتُ إخاكَ
لو رأيت الذي سباني فيهِ من جمالٍ ولن تراه سباكَ
ومتى لاح لي اغتفرتُ سهادي ولعيني قلتُ هذا بذاكَ

وقبل أن نمسح القلم من هذه الكلمة آثرنا أن نتحف القارىء بالنادرة الآتية تفكهةً لهُ وتبياناً لما كانت عليه مهنة الغناء في عصر الخديوي اسماعيل من الاحتقار والازدراء كان للشيخ يوسف المنيلاوي عربة فاخرة فأهداه المرحوم باسيلي بك عريان صديقه فرساً ليجر عربته وحدثَ ذات يوم بعد إنفضاض حفلة غنائية أن طلب منه محمد العقاد السماح له بركوب العربة معه ومعه

قانونه فأبى الشيخ ذلك أنفةً واستنكافاً بحجة ان الآلة التي معه تكون مبعثاً للسخرية وقبل أن يصحبه منفرداً بدونها فما كان من محمد العقاد إلا أن نازقه وقال له « اشحال لو ما كانتش الفرس دي شحاته كنت تعمل إيه يا خي » وما كاد يصل الشيخ الى بيته حتى أمر خادمه برد الفرس الى باسيلي بك معتذراً من عدم قبول الهدية أجل كانت هذه المهنة الشريفة في الغرب حقيرة الشأن في الشرق وهي أقل من لا شيء عند المغفلين ولذا كان عبده يرغب عن الغناء ولا يزاوله إلا اذا أعوزته الحاجة ولم يكن الازدراء مقتصراً على الغناء فقط بل جاوزه الى فن التمثيل الذي كان موضع سخرية عند عامة الناس حتى المحيطين بأطراف العلم والمدّعين في انفسهم الحكمة وسمو المدارك فانهم كانوا يُسمُّون الروايات التمثيلية بالروايات التياترية و يصفونها « بالسافلة » فسبحان الذي يغير ولا يتغير وهو على كل شيء قدير ؟

محمد سالم

(عَودٌ الى ما هنا لك) ذكرنا في ص ١٢١ من الجزء الأول بعض ما إتفق لنا العثور عليه من وصف صاحب الترجمة خُلقاً وفنّاً ونحن موردون هنا أمثلة من الأدوار التي إعتاد غناءها مصدّرة برسمهِ واليكم البيان


محمد سالم

مذهب بياتي قديم – الله ع (الدمهوري)

يا دمهوري يا دوا عيوني

دور قديم – أقوم من النوم تسبقني الدموع على غزال شردْ منّي وكان ماكي ، أكلمه بالأسيّه لم يدور يشكي ، يضحك ويلعب وساعة يختلي يبكي

سمعنا الراحل في أخريات أيامه بعد إنصراف عبده الى جوار ربّهِ فألفيناهُ على تقعقع أحياه من الكبر هزاراً مطرباً وعوّاداً مجُيداً ذاهباً مذهب عبده الذي شهِدَ بأن صوتهُ أحسن أصوات الرجال فى مصر وكفى باعتراف شيخ المطربين لهُ دليلاً على رخامة صوتهِ واحسانهِ الذى

لا يغمطهُ إلاَّ كلُّ متشيِّع كذوب ولما كان المرحوم داود حسني يتجافى عن قول الزُور لا يروي الأخبار عن مجازفةٍ وخبط وكنا لا نبخس الناس اشياءهم فان صاحب الترجمة على ما أبانهُ لنا داود حسني كان مساعد فرَّاش يحمل «الطبليات» فوق رأسهِ فى الأعراس الكبيرة والحفلات الرسمية والأعياد وكلُّهُ أُذُنٌ صاغيةٌ لأصوات عبده وعثمان وخليل محرم فتعلَّمَ منهم بجدِهِ ونشاطهِ ما عجزَ عنهُ أرباب الحرفة وخيرٌ للانسان ان يكون عصامياً يبني صرح مستقبله بعرق جبينهِ ويُقارع حوادث الدهر ويَربأ بنفسهِ عن الدنايا مِن أن يكون عظامياً يُطلق لنفسه عِنان هواهُ ويركن الى مجد أسلافه لا يبالي بالضَراعة ويُصبح متعطلاً بطيءُ الحركة طول حياته . وقد كانت مهنتهُ البسيطة ذريعةً لتحدّيهِ عبده وعثمان فى ضروب التفنُّن والإبداع والتنوُّع ولزوم المساواة فى غنآئه الساحر الذي كساهُ من اثواب الحسن والبهآء ما جعلهُ مجلبةً للغبطة ومثاراً للإعجاب فلا جُناح عليهِ من أمرها ولهُ فيها فخرٌ عظيم وذكرٌ جميل لا تلحقهُ منها أقلّ غضاضة ومن آثاره عندنا اسطوانة عبأتها لهُ شركة الجراموفون ليمتد الانكليزية في الصفحة الاولى منها موال جميل « يهتف عليَّ خيالك مع مسايرتك ، ينسرّ قلبي ويفرح من مسايرتك ، لما رأيتك خفيف الذات سايرتك ، شرَد مني وإيهْ حظَّك يا غزال ، باللهِ واصل محبَّك من مسايرتك وفي الثانية موشَّحة « قدّك المياس » وكلما أسمعنا أنصار الموسيقى الشرقية هذه الاسطوانة القديمة استمطروا عليه سحائب الرحمة والرضوان واستحثوا الشبَّان والشابَّات والجامعيين على شدّ ساعدنا في الحرص على موشَّحاتنا وأغانينا التي هي كنز ثمين وذخيرة نادرة وهي خير ما يُشَنَّف به الآذان

للشيرازى — لا تستهزىء بالمال وتنميته ، فان المال آلة للمكارم وعون على الدهر وقوة على الدين ومألفة للإخوان ومعين على حوادث الزمان وبهجة الدنيا وزينتها قيل لحكيم لِمَ تجمع المال وأنت حكيم ؟ قال لأصون به العرض وأؤدّي به الفرض واستغني به عن القرض وفقد المال يصحبه قلة الاكتراث من الناس وتتبعه قلة الرغبة فيه والرهبة منه ، ومن لم يكن موضع رغبة أو رهبة استخفَّ به الناس .

قال تعالى :- واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين

ترجمة الشيخ أحمد أبى خليل القبّـانى

وُلد صاحب الترجمة في مدينة دمشق (سوريا) سنة ١٢٥٨ هجريّة وتَوَجّه منذ نشأتهِ الى تحصيل العلم حتى بلغ منهُ أوفر قسط وهو كاتب مُجيد وشاعر بليغ حاضر الذهن واسع الحِفظ لأشعار العرب سَهل لأخلاق جَرِيء الصَدْر طلْق اليدين ويعرف فضلاً عن العربية اللغتين الفارسية والتركية حق معرفتهما ومما عُرِف به ألشغف بفن التمثيل العربي والموسيقى الشرقيـة الساحرة حتى نبغ فى تلحين الأغاني التمثيلية والموشحات العربية وله أناشيد خالدة تشهد له بالعبقرية ومن أجلّ مزاياه تَفَرُّدُهُ بنوع من الغنآء إعتاد أن يُلقيه على الحاضرين بعد انتهاء كل رواية فيسحر به الألباب ويذهل العقول وقد شَهِدَ لهُ عبده الحمولي بالنبوغ في ضروب التلحين المسرحي على ضعف صوتهِ وذلك عند ما نزل مصرنا التى تدين لهُ بما أحرزته من التلاحين



الشيخ أحمد أبى خليل القبّـانى

الساحرة والأناشيد المطربة التي قدرها أئمة فن التلحين وفحول الموسيقيين حق قدرها. ولما عهد مدحة باشا والي بيروت الى المرحوم اسكندر فرح في تأليف فرقة للتمثيل إتفق هذا الأخير مع المرحوم الشيخ أحمد أبي خليل على ما ذُكر مفصلاً فى الجزء الثاني من كتاب « الموسيقى الشرقية » على القيام بتدريب فرقة التمثيل التى أمدّها الوالي المشار اليه بعشرين ألف قرش من عملة دمشق لتشتري بهـا ملابس للممثلين وأشيآء اخرى (ولزيادة الايضـاح راجع ص ١٧٠ و ١٧١ من الجزء الثانى)

ومما يؤثر عنهُ رحمه الله أنه كان يقوم بنفسه بتمثيل دور المرأة لرغبة النسوة عن الظهور على خشبة المسرح أَنَفَةً واستنكافاً زعماً منهنّ أن التمثيل مَسقَطَةٌ لهنّ من العيون ومزري بالحَسَب ولا عجب من ذلك لأنَّ نساء انكلترا كنَّ لعهد الملـكة اليزابيت مُتـكبرات يأبين تمثيل دور المرأة فى روايات شكسبير الجليلة الخالدة ولذا كان يقوم بذلك الغلمان أليفعة بدلهنَّ وكانوا

يرجعون من المسرح الى هوايتهول متأبطين الغيار من ملابسهم مرزوماً ومحزوماً واليكم ما جاء من مختار تلاحينهِ وأناشيدهِ

(نوخت) اسمح وجُد يا منيتي يا مفرد الحسن البديع
إن كنت تطلب مهجتي إني أنا العبد المطيع
دور — يا حلو يا زاهي الجبين يا من سبيت كل الملاح
يا من خديدك يا سمين والثغر راحاتي وراح
(مصمودي) العيون النرجسية تورث القلب السقام
والثنايا اللؤلؤية زانها حسن ابتسام
(خانه) سيدي لي فيك غيّه هي قصدي والمرام
امزج الكاسات هيَّا واسقني صافي المدام

(من نغم السيكاه بدنة أولى) أهدي قمراً مشيَّد القدّ حُليّ ، قد سلَّطَهُ الغرام والوجد عليّ ، خذ روحي فقال يا عجباً ، الروح لنا فهات من عندك شيء

(بدنة ثانيــة) يا غصن نقا مكللاً بالذهبِ ، أفديكَ من الرضى بأبي وأُمي إنْ كنتُ أسأْتُ في هواكم أدبي ، العصمةُ لا تكون إلاّ لنبي

(بدنة ثالثة) الغصنُ إذا رآك مقبل سَجَدَا ، والعينُ إذا رأتْكَ تخشى الرَمَدَا ، يا مَن بوصالهِ يداوي الكبِدَا ، ما تفعلهُ اليوم تلقاهُ غدا

(أقصاق) حب سلمى قد دعاني أركب الأخطار وغدا قلبي يُعاني أعظم الأكدار (خانة) ليت لا كان غرامي ليتهُ ما كان ، فهو قد جَرَّ هيامي واصطباري بان

(دارج) اليوم يا بدر نزيل الهموم ، ونجتمع مثل القمر والنجوم ، ونحتسي صرفاً كؤوس الهنا ، بين الندامى في ظلال الكروم ، صهباء ، كانت قبل خلق الوجود ، تجلى لدى خطَّابها بالعقود ، لها صبا آدم وموسى وهود ، ونال ابرهيم منها العهود

(سيكاه شنبر) إشفعوا لي يا أهل ودّي عند حبي باللقا ، علّ يسمح بعد بعدي ، ويزول عنَّا الشقا .

(دارج) إنما أنت قمر ، لاحَ في داجي شعر ، فوق غصن يانع من ذَهَبْ بين طول وقِصر وبلوغ وصغر ، زاكي الجدّ شريف النسَبْ

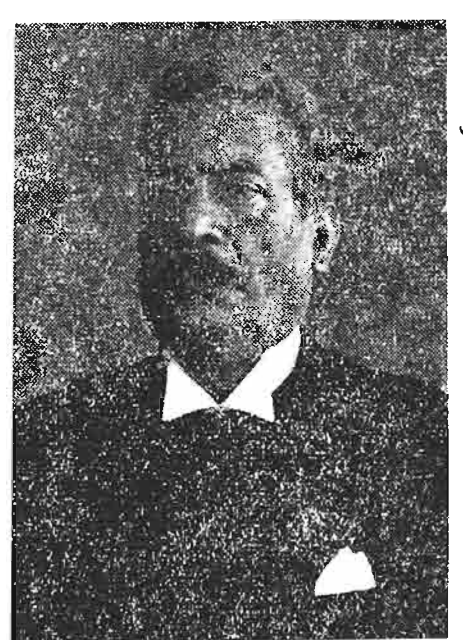
(خانة) ما أحسنك تمسى نديمي ، أو شريكي في نعيمي ، في دجى الليـل البهيم أيها الشادي الوسيم ، (قفلة) هكذا العشق قَدَرْ ، كل من هام عَذَرْ

رب ربح لا يجي بالتعب

وقد نَزَلَتْ بهِ صَرْعةُ الموت بدمشق في ٢٧ رمضـان من سنة ١٣٢٠ هجرية ولا تزال فنونهُ يردِّدُها المطربون والممثِّلون ويترنم الشرقيون بذكر محاسنه في المجالس

بعض أدوار داود حسنى

مذهب جهاركه — وهو أحسن ما لحَّنهُ منها - أسير العشق ياما يشوف هوان ، وراضي الحب من طبعه يهان ، يا فؤادي كان إيه جرى لك ، انشغل بالحب بالك ، وانسقم بالوجد حالك ، حاكمك خصمك وكيف يصفى الأمان


داود حسني

دور — ضناني البعـد أشكي لمين هواني ، وأنا في الحب لوَّعني زماني ، الحبيب قلّـل ودادي والزمان حلَّل بعـادي ، والهوى لوَّع فؤادي ، وقلبي في الغرام ياناس غواني .

(**مذهب بياتي شورى**) سلمّت روحك يا فؤادي للغرام من غير ما تعلم .وصبحت عرضة للهوان والملام خايف لتعدم ، يا قلب تعرف خلاصك

دور — الأمر أمرك مش قايل لك من زمان شوف الأذلَّـة ، روحي في ايدك وهبتها لك بس الأمان من دي المذلَّـة ، يا قلب تعرف خلاصك

(**مذهب راست**) يا طالع السعـد إفرح لي دا الحب راح يوفي بوعده ، تاب عن جفاه وح يسمح لي بالوصل والقلب يساعده

دور — من شوق أنا قلبي يهواك ، على شان كده طالب وصلك ، وفيت بوعدك جود بصفاك

وان كنت تنسى انت وأصْلك ، زال الجفا آن الصفا ، حِبّي وفى ارتاح قلبي ، سـعدي عجب فرحي وَجَب ، أُنس وطرب شرَّف حِبي .

(**مذهب سيكاه**) عزيز حُبَّك أديني فُتُّه وكنت أهواه ويهواني ، وودَّعني وودَّعته وبكيته وبكاَّني ولوامي عليك جُوني وصافوني وهنُّوني وهنُّوا القلب يوم جاني

دور – أفوتك ليه تشاغلني وإيه خاطر على بالك ، تقابلني تحاورني ويبقى القلب يصفى لك علي حالي انشغل بالي يروح مالي ويهنى لي وألوذ بالعشق من تاني

(**مذهب حجاز كار**) دع العذول ده من فكرك ، دا الميل اليه مس ح يفيدك ، إن كنت أخالف يوم أمرك بالطبع أهي روحي في ايدك

(دور) العشق ما كان ليش على البـال ، أصل الهوى هوًّا عيوني مسكين يا قلبي دا صبرك طال ، خليِّت عواذلك لاموني ، يا أهـل الغرام والله الملام ، مش على الملام إنصفوني ، زاد بي الأنين أروح لمين ، أنا مسكين يا منصفين اعذروني .

(مذهب عشّاق) القلب في ودَّك مشتاق ، وبس تيهك وصدودك ، يعمل له إيه ، من يوم ما جاك البدر سياق ، احتار يكرَّر أوصافك ، حلمك عليه .

(**دور**) الغصن في قدَّك لو مال ، شكالك يماثل أوصافه ، والهجر ليه ، إرحم متيَّم له أحوال، لما التقاك تهوى خلافه ، صعبان عليه

(**مذهب حجاز**) دليل الحب في قلبي تحكَّـم ، وأنا ما عرفتش ليـه ما أقدرش أُعاتبك ، أعيش بالطبع في حبَّك متيَّم ، ويحكم بالبعاد والهجر قلبك

(**دور**) حياة القلب تسليمك عليَّ ، وأوصاف الدلع أحوال تليق لك ، وقصدي من هواك تنظر إليَّ ، وتنسى الهجر لا العشّاق يمِلَّك

(**مذهب نهاوند**) حِبّي عزم الوصال ، دا كان دلال ولطايف ، عن البعاد سألته قال ، من العذول كنت خايف

(**دور**) شرَّف حبيبي بالإنصاف ، والبدر لاح يوم أعياده ، وفي الدلال حلو الأوصاف ، الله يجازي حُسَّاده

(**مذهب كرداه**) فؤادي أمره عجيب ، في العشق مالوش مثال ، يهوى الغَزَل والغزال ، ويميل كتير للجمال ، ياهل تَرى يحتار ، و يبات يقاسي النار ، من دي الدلال

(**دور**) قلبي كواه البعاد ، وفكري مشغول عليك ، لما منعت الوداد ، شكيت غرامي اليك ، وليه تزيدني نوح ، مادمت أنا والروح ، ما بين يديك

(**مذهب بياتي نواه**) بلبل زمانك صاح لما ظهر ، وطالع جمالك لاح زيّ القمر ، القلب زاد أفراح في يوم صفاك ندرن عليه يرتاح بعد الكدر

(**دور أول**) حلو الدلال والخصال حاله عجب ، حرَّم عليَّ الوصال من غير سبب ، صدَّق كلام عزّال مالوا عليه ، يبقى ملام وملال ده دا الطرب

(**دور ثاني**) يا قلب وقتك صفاك وانتم الحَكَم ، بالوصل خلّك وفاك شوف دي الحِكَم أما العذول يوم رآك مال به الهوى ، وبلغت أحسن مناك ده دا الكرم

(**مذهب صبا**) حبّك ياسلام بيآلم قلبي ، إنْ جُدت بوصالك ده يكون من سعدي ، على إيه يا روحي بتعاند فيَّ ، أسهر مشغول بك بس إبقى إعرف دي وأصبح مُغرم بك معرف إيه ذنبي

(**دور**) فرحان بدلالك عقبال مفرح بك ، وأفوز بجمالك واتهنّى بقربك ، ترضى انت بهجري ومين بدا يحكم لك ، يا ريتك تعرف مقدار نار حُبي ، طبعك دا يجنّن يعمل إيه قلبي .

من خطبة الامام علي عليه السلام ليتأسَّ صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين يتفقّهون ولا عن الله يعقلون كقيض بيض أداحٍ يكون كسرها وزراً ويخرج حضانها شراً

قال الله تعالى (٣٣ ٧٠ يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ٧١ يُصلح لكم أعمالكم ويغفرْ لكم ذنوبكم) وقال تعالى (٢ ٢٠٠ فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً)

الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب

هو محمد عبد الرحيم المشهور « بالمسلوب » قمحيّ اللون طويل الامّة ما كاد يبلغ سنّ الرشد حتى أدخلهُ والدهُ الازهر الشريف حيث أدرَك شـداً من العلم ولما آنس في نفسهِ الميل الى فنّ الغناء خرج منهُ وعَـكَفَ على درس الموسيقى الشرقية القديمة وخاض عُبابها وتضلَّع من أصولها وفروعها حتى بلغ محفوظهُ الى ١٢٥ نغماً شرقيـاً ممَّا أدَّى إلى إحسانهِ صياغة الأدوار والموشَّحات العربية فضلاً عمَّا إختص بهِ من مزيَّة الإجادة والإتقان في تلحينها على الطريقة الشرقية وحسب الذوق السليم . وقد أخذَ عنهُ عبده الحمولي في صدر أيامهِ الشيء الكثير وممَّا رواه لنا عنهُ أن الأخير جاءه يوماً حينما كان يزور السيدة نفيسة ليشكو لهُ سوء معاملة محمد المقدَّم لهُ وتغاليهِ في استغلال موهبة صوتهِ الرخيم وطلب منهُ المساعدة على الحصول على ملابسه وأثاث حجرتهِ ليخلو عنهُ وينفرد بعملهِ شخصياً فقال لهُ : الأنسب يا بنيَّ أن تطلب حضور والدك من طنطا لأني بدونهِ لا



محمد عبد الرحيم المسلوب

أستطيع أحميك من جشعهِ وأبذل العناية اللازمة لك فذهب عبـده الى طنطا وقصَّ على والدهِ الحالة التي هو فيها وما قالهُ له الشيخ محمد عبد الرحيم في ذلك . ولما حضر والدهُ وقابل هذا الأخير رضي بأن يكون ولدهُ في كَنَف الشيخ المسلوب وتحت إشرافهِ فأرسل هـذا الأخير الى المقدَّم يطلب منهُ ردَّ ملابس عبـده وأثاث حجرتهِ اليهِ ولما استلمها منهُ أسكـنهُ في حجرةٍ خاصَّةٍ وقام بارشادهِ وتوجيه مواهبه إلى ناحية الفنّ . ومما رواهُ لنا أن نزل مصر أحد أعيان الشام قصد سماع عبـده في الزمن الذي ترادفت فيهِ على الأخـير الأوجاع ولما سمعهُ دَهش من رخامة صوته وقوَّتهِ وعند ذلك صاح الشيخ المسلوب قائلاً لهُ

لا تدهش ياسيدي الضيف لأنَّ الذي سمعتهُ منهُ هو سبع صوتهِ الأول والستة الأسباع الباقية أذهبتها عِلَّة داء الصدر

ولما طلب سعيد باشـا صدر الدولة العثمانية الأعظم حضور عبده والليثي العواد والشيخ محمد عبد الرحيم من مصر سَافَرَ كلُّهم في الحال الى الآستانة ولما مثلوا أمام السلطان عبد الحميد وغنُّوه فوق التخت سُرَّ منهم كثيراً وأسنى لهم من الصلات ما رطَّبَ ألسنتهم بشـكرهِ وقيل أنه أهدى الشيخ المذكور نيشان «الـكرك» جزآء سعة علمـه وكثرة محفوظه للألحان الشرقيـة والموشَّحات العربية والأذكار الصوفيَّة التي اشتهرَ بانشادهاَ في المولد النبويِّ وكان من عاداتهِ ركوب الحمار كلما طلبهُ المغفور لهُ السلطان حسين الى قصر عابدين للغنآء وكان من عادة الحمار أيضاً أن ينهق عندما يقترب من القصر وكلما سمع نهيقـهُ السلطان حسين كان يقول للمرحوم أحمـد باشا زكي السـكرتير الأول لمجلس النظار هـذا نهيق حمار الشيخ وهو يضحك وها هو حاضر فكان مطرب السلطان وجليسهُ وكان لهُ مُزاح يُضحِـكُ الحزين ويُحرِّكُ الرصين ولا غرابة من أن الملوك والسـلاطين كثيراً ما يحتـاجون إلى التسلية والمزْح استجماماً لقرائحهم وترفيهـاً عن نفوسهم مصداقاً لما قالهُ صاحب التاج بنصِّهِ وانَّا نرى الملك يحتاج الى الوضيع للهوه كما يحتاج الى الشجاع لبأسهِ ويحتاج الى المُضحك لحـكايتهِ كما يحتاج الى الناسك لعظتهِ ويحتاج الى أهل الهزل كما يحتـاج الى أهل الجد والعقل ويحتاج الى الزامر المطرب كما يحتاج الى العالم المُتْقِن وكان أبو جعفر من بين خلفآء بني العبَّاس الذى جَعَلَ للمغنين مراتب وطبقـات على ما وصفهم أزدشير وأنو شروان وكان ابرهيم وابن جامع وزلزل في الطبقـة الأولى وكان زلزل يضرب ويغنِّي وكـذلك كما فَعَلَ بعضُ سمَّار ملوك الأعاجم وما صَنَعهُ مازيار المضحك مع أحد ملوكهم. أظهر الملكُ لهُ جَفوة المَلالَة فقط فلما رأى ذلك تعلّـم نُباح الـكلاب وعُوآء الذئاب ونهيق الحمير وصياح الديوك وشحيج البغال وصهيل الخيل ثُمَّ إحتـال حتى دَخَل موضِعاً يقرب من مجلس الملك وموضع منامهِ وأخْفِيَ أمرُهُ فنَبَحَ نُباح الـكلاب فلم يشُكَّ الملك أنهُ كلب وابن كلب فقال:

انظروا ما هـذا؟ فعوى عوآء الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمـار ومرَّ الملك هارباً وجآء غلمانهُ يتبعون الصوت فلما دَنَوا منه أحدث معنى آخر فأحجموا عنهُ ثُمَّ اجتمعوا فاقتحموا فأخرجوهُ وهو عريان مختبىء فلما نظروا اليهِ قالوا للملك هـذا مازيار المضحك فضحـك الملك حتى تبسَّط وقال. ويلَكَ ما حَملَكَ على هذا قال

إن الله مَسَخني كلباً وذئباً وحماراً لما غضب عليَّ الملك فأمرَ أنْ يُخلعَ عليه ويُرد الى موضعه

وكان المغفور له السلطان حسين على ما أوضحنا في غير هذا الموضع بشوش الطلعة رحب الصدر سبط الكفَّيْن وقد ولع على حد الخديوى اسماعيل أبيه بالموسيقى الشرقيـة وأعزّ أربابها نذكر في مقدمتهم عبده الحمولي – أنيسهُ ومطربهُ – وكان مجلسه الخاص حافلاً بهم وبرجال الأدب. ورُوي أن « عبده » حاول مرة أن يدفع الى « الجرسون » وهو في حضرة الأمير حسين أثمان الحلوى والمرطبات التي تناولها سموه وحاشيتهُ في النادي فأبى الأمير ذلك أما عبده الذي كان في مثل هذا الموقف أحيا من عذراء فانه بادر الى الاعتذار قائلا له يا أفندينا ! الخادم يحمل مال سيده مما أثار اعجاب الأمير بحضور ذهنه وفرط أدبه وحداهُ على أن يملأ يديه بجوائزه

ولما تبوأ عرش السلطنة المصرية لم يفته أن يطلب الشيخ المسلوب لانشاد الموشحات والأدوار الشرقية – موضع اعجابه وقبلة رجائه ومما يجدر ذكره أنه رآه مرة راكبًا حماره وهو عائد بالاتوموبيل الى عابدين وأراد معاكسته ترفيهًا لنفسه فأمر السائق أن يزاحمه عمداً في أثناء مسيره حتى صعد بحماره فوق التروتوار تفاديًا من التصادم ولم يمضِ على ذلك أيام قلائل حتى دعاهُ الي المثول أمامهُ ولما رآه في القصر بادره بالقول يا شيخ محمد ، لا تعد تسير بحمارك فوق التروتوار لأني رحمتك من العقاب بأن منعت هرفي باشا من تحرير محضر المخالفة ضدك لسبب مزاحمة الطريق واياك أن تفعل ذلك مرة أخرى ففطن الشيخ لما سبق حدوثه وأيقن أن سائق أوتوموبيله هو الفاعل الذي يستحق دفع الغرامة وأردف قائلا « نعمل إيه يا مولاي في اللي بيتحرشوا بالناس و بيتعمدوا مزاحمة الركاب حتى يجبروهم يمشوا فوق التروتوار » فلما سمع منه ذلك ضحك حتى دمعت عيناه وقد مات هذا المنشد العظيم قرير العين بما منَّ الله عليه من النعم ورزقه من البنين ولهُ من العمر مئة وخمس سنين

تلاحينه المختارة

(دور جهاركاه) الحب صبحني عدم ، والجسم مني زاد سـقام ، شوف يا جميل ، ارحم محبك بالوصال ، واترك بقى هذا الدلال واصنع جميل (دور) يا منيتي إيه السبب في دي الخصام اللي جرى قول لى عليه هوا عذولي جالك ولام ، على شان كدا عامل خصام ، وأنا ذنبي إيه

(مذهب حجاز دوكه) حبيت جميل حرَّم وصلي يا عاشـقين ، وفي الهوى حال قتلي دا شرع مين ، (دور أول) يا طول بكايا وتعذيبي بتحب مين يا خوفي لا تلوف بغيري أشكيك لمين ، (دور ثانِ) أهلاً وسهلاً بحبيبي حلو القوام الشهد من ريقـه يحلى من شرب المدام

(دور ثالث) العشق فيك غيَّر حالي ليه يا بديع ، إن كان مرادك تعذيبي أمرك مطيع
(دور رابع) الهجر قاسي يا عيني وأنا أعمل إيه يا منيتي إرحم قلبي أنا ذنبي إيه

(مذهب راست) في هواك أوهبت روحي ، وبقيت أسير لحظك وخدك ، ومن جفاك زاد نوحي ، وسقم جسمي يشهد لك (دور) في الغرام قضيب حيانك ، يا قلبي اصبر أحسن لك ، تترك ودادي وحياتك ، أسى الحبيب أم أحسن لك

(مذهب راست) مثالك ما رأيت يا فريد عصرك والنبي حبيت يا جميل حسنك ، لحظك في الفؤاد حرمني السهاد قل لي إيه المراد واعفِ عن عبدك (دور) يا فريد الغيد يا حبيب قلبي ، اسمح لي يا سيد يحفظك ربي ، والنبي يا جميل انعطف لي وميل تشفي صبّ عليل وانعطف قربي

(مذهب نهاوند) أنا من هجرك أحكي خصرك ولي أنت الآمر والناهي ولحظك صاحي زادت اجراحي ما يوريني غير داجي الساهي

(دور) أحب أعرض لك واطلب وصالك جفاني نوم وانت لايم ، قل لي انت وصالك إمتى واديني مستنظر والشوق حاكم

(مذهب بياتي) على شان ما احبك تهجرني في شرع مين تهجر مسكينك قاضي الغرام لو ينصفني لكان حكم بيني وبينك (دور) أروح لمين أشكي هجري يا منيتي إرحم تعذيبي ، يا عاذلي إقبل عذري واترك لقلبي حبيبي

(مذهب أوج) الحب يلعب بالارواح ويخلّي دمع العين يجري ، اللي يحب منين يرتاح انا ذبت وتُهت وزاد فكري (دور) في صحتك اشرب دا الكاس واقول محبة في عيونك ، وأفرح بوصالك يا مناي ، رفقاً وارحم مجنونك

(مذهب حسيني دوكاه) أفراح وصالك تدعي الناس بالائتناس والخير على قدوم الواردين ، الكاس من يده ينباس راح بالحواس يا مثبت العقل والدين (دور) منّي على نور الاعيان ألفين سلام مع التحية والتسليم ، سافر وأودعني أسقام والقلب هام يارب عجِّلْ بالتسليم

كان مالك بن الأخطل قد بعثهُ ابوه يسمع شعر جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر فقال الذي يغرف من بحر أشعرهما

المختار من تلحين سيد درويش

مقام كارجينار – ضيَّعت مستقبل حياتي في هواك وازداد عليّ اللوم وكتر البغـدَدَه حتى العواذل قصدهم دايماً جفاك وأنا ضعيف ما اقدرش أحمل كل دَه . ان كان جفاك يرضي علاك وأنا في حماك عفو الحبيب ما يكونش أحسن من كِدَه

دور – علَّمتني يا نور عيوني الامتثال واحتار دليلي بين تيهك والجوى كنت أفتكر حُبّك يزوّدني كمال خيبت ظني والهوى ماجاش سوى تبقى سبب كل التعب وتزيد غضب واللي انكتب فوق الجبين مالوش دوا

مذهب جديد – أنا عشقت وشُفت غيري كتير عِشق عمري ما شفت المرّ إلاَّ في هواك وكام صبرت ما كانش في يوم نتّفق مع أن قلبي كان أسير يطاب رضاك . خُنت الوداد من غير ميعاد إن كان ده عناد بلاش تغير لما تشوفني مع سواك . يا ما شربت وكنت أقول صبرك عليه يمكن في يوم يرجع لعقله يمتثل لكن دَه طبعك كده وأنا أعمل إيه قلبي ما عادش يرقّ بعد اللي حصل غيرك هويت قوام سليت حُبك يا ريت كان من زمان ولا كُنْتش حالي دَه وَصَل خنت الوداد من غير ميعاد إن كان دَه عناد بلاش تِغير لما تشوفني مع سواك

مذهب نكرز – يا اللي قوامك يعجبني ليه بس ترضى لي صدودك يا هل ترى بتأدبني إكمن عذّالي شهودك داشيء كتير بُعدك عني والقلب ميال لوجودك

دور – أروح لمين أشكي حبيبي والدهر والعذال حُكام أحب أشوف في النوم طيفه ألقاه يمشي مع الأخصام والقلب دا راح يحمل إيه حتى العواذل في الأحلام

طقاطيق سيد درويش

طقطوقة رصد – يا بابا ليه ما تدلعنيش واللي أحبه دا ليه ما يجيش

وطقطوقة حُسيني – يا لابس عَ السترة نجمة من فضلك إسمح لي بكلمة

وطقطوقة سيكاه – يا نا يا إنت يا واد يا مأطأط ياخفيف طول عمرك ومزأطط وطقطوقة عشاق – عرفت أخرتها و يا حبّي خلاص دا كان شيء مضى وراح وله طقطوقة مطلعها سيبوني يا ناس في حالي وأخرى مطلعها يا زهرة الفُتنة الزكيّة روّقي المحبوب شويّه وأخرى مطلعها يالون الفُل يا حبيبي ورد خدّك جنّنّي .

المواليا العربيـــة

إنا نقدم للقارىء الكريم المواليا الآتية كنموذج وهي مرتبة على عشرة أحرف من الحروف الهجائية وغير متسلسلة ممـا أمكننا العثور عليهِ وأكثرُها سمعناه من كلٍ من عبده وعثمان وداود وعبدالحي ولو أردنا جمع كل ما قيل من هذا النوع لما أمكننا جمعها إلا بعد زمن طويل وعناء جزيل من عدة كُتُب ومخطوطات موسيقية قديمة وهي كما ترى منظومة على غِرار الموشَّح المخمَّس ينطوي تحتهـا الغَزَل والتشبيب وذكر إبنة الكرم ووصف المعشوقة الحوَراء العينين التي تفضح قدّ البان وتُزري بجمال القمر الى ما شاكل ذلك من الأوصاف الرائعة والأغراض السامية والتصورات المغربة والطرائق الشرقية التي جرى عليها أساتذة الفن من أسلافنا النوابغ مما يعذب ورودهُ على الأسماع ويُطلق نَفس المطرب من عقال السَأم

تلك عادة إنفرد بها المغني المصري في الجري عليها قبل ولوج باب الموشَّح والدور ثُمَّ القصيدة. أما مواليا فهي كلمة فارسية ومعناها « ياسادة » والمواليا أفضل من الشعر من هذه الوجوه لأنهـا أقرب تناولاً للمعاني وهي أشبه بالشعر الأفرنجي من حيث عدد الأشطر وتفوقهُ لما بين أجزائها من الارتباط وما تجري عليه من التناسب وسموّ الخيال وروائع الجمال

ولو تركنا عوائدنا وأهملنا الأصول والقواعد التي وضعها لنا أئمة الفن الشرقي لقضينا عليه قضاءً مُبرمًا لأن في التقليـد الإنتحار على ما قاله إمرسن وفقد روح عروبتنا إلاَّ أن الشرقيين ولله الحمد لا يزالون ثابتين على عوائدهم وحريصين على ميزَّاتهم لا يُطأطئون رؤوسهم لأجنبي ولا تلينُ قناتهم لغامز علمًا منهم أنَّ الفن كاللغة عنوان عصَبيتهم ورمز وحدتهم يُمثِّل ما لهم من مفاخر مجيدة ومآثر خالدة وعلى الجملة فان الموسيقى ترجمان القلوب ولسان العواطف ورسول الخواطر ولا حياة لأمَةٍ فَقدت موسيقاها وخَمدت نار عواطفها وتنكَّرت ميزاتها

حرف الألف – إصبر تنول المرام الوعد دا جاري . والجسم مني إنتحل والدمع أهو جاري . وليلي انبدل بنهار والحب مش داري . اسمح وواصل ولا تبخل باحسانك . واعلم بأني أديني صابر على ناري .

إن كنت تحكم بطبع الحسن كن عادل . واطلب شهود المحبة يا قوام عادل . يا بدر خصمي عذولي وانت لي عادل . هجرك سبب هتكي وانجرح قلبي . سَلّمت لك روحي احكم قوام عادل .

إمتى الحبايب يجو ونشوف لواحظهم . من يوم غيابهم وانا قابي ملاحظهم . يا هل ترى إيه . بدا لهم من لواحظهم . حتى جفونا وخلّونا عدمنا النوم . الله يجازي العذول اللي ملاحظهم

أنا الجسد وانت روحي لا غِنى عنَّك . غني عن الناس وماليش غنى عنك . من قبل ما أنظرك جاني الخبر عنَّك . انت ظريف الشمايل بس الأسى عبيك . ما ليش جَلَد أنظرك واقعد بعيد عنك

أهل السماح الملاح دول فين أراضيهم . سبق ذكره في الجزء الأول (ص ٦٩)

الليل أهو طال وعرف الجرح ميعاده . وجفّ دمعي وجفني من دمي عادُه . عجبي على القلب في حُبه وأوعادُه . لا نار أقول نار . وهي في الفؤاد أبرح . وان باح بشكواه لا زارُه ولا عادُه

إنْ إدّعيت ان حبك مي ولا مين . انت السبب في احتجابك عني ولا مين . أهم عدانا بفرح الصدّ ولا مين . لكن أنا لي أمل إن شاء إلهي يكون . والكيد يرتد للحسّاد واللايمين

أصل الوداد المحبة كل شيء مكتوب . وغلبت أسطَّر بدمعي كل يوم مكتوب عجبي على ناس يقولوا يامتيَّم توب . يا شبكتي باختياري عند ماحبيب . لو كان خلاصي بايدي لأمنع المكتوب

حرف الألف – إن غبت تعتب و إن صنت الوداد مليت وغلبت ا كتب وحين كلّ القلم مليّت و إن جُدت للصب بالوصل الهني مَليت ما بت شاكي من فرط الغرام باكي ولا الكاس الجفا من مجمعي مَليت

إن ماس قوامك قوامك يزدري بالآس عامل كعامل بقلبك مارأيت له آس ، من قاس لحاظك بهندي السيوف ما قاس ، يا مفرد الحسن سقمي ما رأيت له طب إلا رضا بك رضا بك فانعطف يا ناس ،

حرف الباء – بالبخت كنت افتكر بالأنس ودا جالي . وشمس راح انجلت بالكاس ودا جالي . يعني حبيبي أنا بدر الدُجى المشهور . وسيف لحاظه رَفَقْ بالحال وكان مشهور . يا ما صبرنا على مرّ الملام شهور . والصدّ والوصل دا يصدي ودا جالي

بدل بلامك لأهل العشق علّلهُمْ والا انت دَعْهم يقاسوا الوجد علّلهُمْ وان حط منهم أمل للقرب علّلهم دول مجاريح وداعي الشوق خلاَّهم على الأسى والصبابة زاد وعاد ليلُهم

حرف الحاء – حبك شغلني عن الخلّان ولهاني ورقّ لي بُعدك الحزنان ولهاني والنفس ويلها ضياع ودّك وحقّ من ملّكك جسمي وصبَّرني في أي يوم قلت انظر فيه ولهاني

حرف الراء – ريحان عذارك وتفاح الخدود وارد ، وسحر عينيك خلّى الصبّ في وارد ،

لو كان محبك على كوثر لِمَاكْ وارد ، ما كان يفدي الليالي في انتظار وعدك من كثر شوقه اليك بامك يبات وراد .

حرف القاف – قم في دُجى الليل ترَ بدر الجمال طالع معجب بتيهُه وسعده في العُلى طالع يا مدّعي الحب خد لك في الهوى طالع واحسب حساب العذول من ضمن أشكالك وان زاد بك الشوق في كُتُب الغرام طالع

حرف اللام – ليه حاجب الظرف يمنعني ونا مدعي (سبق ذكره في الجزء الأول ص ٥٩)

حرف الميم – من حقّ سود العيون يابو خُديد وردي قالت أنا أجرح بلحظي من جنى وردي أنا شفايا بنظرة يا ترى وردي ما فيش كده حسن لاقبلك ولا بعدك ولا خلافك يطول العمر في وردي

حرف العين – عواذلي فيك اطالوا اللوم وعيوني ما يعلموا اني افتديك بالروح وعيوني ضيَّعتْ مني حواسّي الخمس وفنوني وشهدت الناس بتعذيب المتيَّمْ فيك ونبل عينيك أصاب القلب وعيوني

حرف الميم – مَرّ الغزال الفريد من بعد ما سلِّم . شاكي سهام اللواحظ يا سلام سلم فيانسيم الصبا روح للحبيب سلم وقول له عبدك المضنى تعالى شوفه من يوم فراقك وهو بالروح بيسلم .

ما حدّ زَيي على خِلُّهْ إنضنى حاله والحب راخر عليَّ ربنا حالُه يا أهل المودة أنظروا اللي صبح في حال غير حاله انا عملت إيه أتجازى بدا كله الله يجازي قليل الأصل بافعاله

حرف الواو – وحق من أطلعك يا فجر متحني تخلي قلبي على المحبوب مهني سايق عليك النبي ياليل تحوش عني آدي انا والحبيب وآدي المدام والكاس وآدي زمان الصفا بنقول عنه حاس لو كنت تعرف مقام الحب يا ابن الناس ما كنت تجري على التفريق متعني .

وحيد الحسن يا اللي كل الجمال منك شبكت قلبي بحبك ويجرى كل دا منك ما كنتش اعرف العشق بل خت الغرام عنك الروح فيك أخاف لِتظهر أموري و يكون السبب منك

حرف اليآء – يا عاذلي في الهوى لك بالتُـهم أوزار . في ظبي شارد منَّع ما سمح أوزار له ثغر مسكَّر وله منطق نغم أوتار . ولحظه شاهر على العشَّاق حسام فاتك . كان بيني و بين الحبيب نغم مع أوتار .

يا بدر من كتر تيهك كم حملت أوصاب . وما رأيت مثل جفنك سيف جراح أوصاب . سل الدُجى هل رأى مثلي ولوع أوصاب . جرحت قلبي ولكن حَسبي الرحمن قلي وشا لك وخلَّي الدمع مر أوصاب

يا دايق النوم إوصف لي أماراته وسلوا جفني حكمت فيه أماراته يا عاذلي في الجميل عينك أماراته ما في ملوك المحاسن حد مثاله ينسى الحكيم في حِكَمُهْ وأمثاله دا القلب بالطبع أصبح له وأمسى له صابر على الهجر ما تحكيه أماراته يا اللي القمر طلعتك يا بو قوام عادل يا بهجة الروح يا غصن النقا عادل يجوز في شرعك بنار البعد تلويعي حرام عليك والنبي احكم وكن عادل

يا بدر داري عيونك وخلي البدر باين لى وارحم بقلبك لأن الغدر باين لي . أنام بالليل أرى شخصك يخايل لي أقوم من النوم أرى نفسي فريد وحدي وانا عملت إيه يا وعدي يا ذلي يا بدر إيه العمل حيرت أفكاري حرام عليك يا جميل دمعي صبح جاري أنا أحبك وانت والنبي داري إوعه تصدق كلام عاذل وتهجرني أخاف عليك إن جفيتني تحرقك ناري

يا بدر تمّ الجميل واطلع لنا بدري يا اللي ملامح جمالك من جمال بدري أمسيت يا بدر لا أعلم ولا أدري إن كان حبيبي يوافيني أطيب وافرح وإن ما وفاني أجدّد بالنواح بدري

حرف اليآء — يا مفرد الغيد ياسيد الملاح يا سيد يا فرحة العيد عيد وصل المُـتيَّم عيد يا ناعس الجفن كم لي فى النجوم تعديد بِعِدْتْعي وسلَّطتْ القوام يجرح الله يجازي قوامك ما فعل يا بعيد يا حادي العيس خليني أسير وحدي للي جفوني وخلوني فريد وحدي كم أسهر الليـل واستنظر وفا وعدى ألقى غرامي يطول شرحه أجد النوح وأقول لعيني إسعفيني بالبكا وحدي

خواطر وحكم (تعريب المؤلف)

قيل لأعرابي في شكاته كيف تجدك ؟ قال أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد وانا في زمان من جاءَ لم يجد ومن وجَدَ لم يُجد

الكبرياء وحُب الملاذ يلدان الجنون — رو

التقليد ضرورة من ضروريات الطبيعة لأننا نقلد سوانا فى إبان الشبيبة ونقلد أنفسنا فى زمن الشيخوخة — رو

مَثَلُ الرجل الثرثار مثلُ الحيوان المفترس الذى لا يصبر على من يفترسه حتى يموت — ج . مرديت

قال رجل من بني تميم لصاحب لهُ صاحب مَن يتناسى معروفه عندك و يتذكر حقوقك عليه .

يشتدّ تأثير الشعر على الدوام في النفوس الغير مصابة بالتخمة — رو

المعارف كنوز لا تُـقدَّر بثمن وليس لها فناء قط — غلادستون

التلفزة أو التليفزيون

تسير التلفزة سيراً وحيا نحو هدفها الخاص بنقل الأشعـة الضوئية والصوتية في وقت واحد ليتسنى إمكان سماع الصوت ورؤية المتكلم عن بعد ولا ريب أن سرّ هذا الأمر كان في العصور الغابرة من أغمض الأسرار التي حارت دون استبطانها بصائر الباحثين من علمآء الطبيعة مما لو وُجد أقلُّه في مضي الزمان يُعد من الطُّلسمات أو ضرباً من السحر إلا أنَّ روَّاد البحث والمخترعين صَرفوا طوال عدة سنين وقتا طويلاً من اهتمامهم في بحث هذا الموضوع الى أن توصلوا بما أوتوه من الذرائع والاختبار الى الحصول على منافع جزيلة ونتائج مُجدية .

ومن أغرب ما قرأناه في ذلك أنهم اخترعوا جهازاً يُرسل بواسطة الراديو الى المنازل أشعـةً تصدر عن محطة مركزية و بفضل هذه التجربة التي أُجريت في شنكتادي والتي استُعملت فيها أجهزة قابلة مخصوصة أمكن ثلاث عائلات رؤية وسماع متكلم من المحطة المركزية ومما لا شك فيه ان ما يجري عليهن يجري بالمثل على ما لا يحصى تعداده من سكان الأرض الذين يستطيعون أن يروهُ و يسمعوهُ في المكان نفسه

وهـذا الجهاز مؤلف بادىء بدء من رسم مربع الشكل يبلغ قياسه نحو ثلاثة قراريط وقابل الاتقان لا يستطيع أحدٌ في هذا العصر أن يشك في الحقيقة التي سيكشفها المستقبل وماسينجم للعالمين من فوائد التلفزة الآخذة في التقدم والانتشار إذ الطبيعة تشتمل على أمور جمَّة مجهولة يَظن كثيرٌ منا أنها من المحاليات التي سيحققها العلم فيما بعد وإذا كانت التلفزة لم تخرج الى الآن عن كونها تُستخدم للتسلية واللهو الا أن الأعمال التي يمكن استخدامها فيها في المستقبل كثيرة جداً

على انَّ من اطَّلع على ما وصلت اليه الاختراعات العلمية والاكتشافات الجغرافية من العجائب الباهرات وتأمل ما بلغ اليه الطيران في الجوّ من الاتقان والسرعة في اجتياز أبعد المسافات في قليل من الساعات وما أدّى التلغراف الذي بدون سلك الى النوع الانساني من باهر الخِدَم في ابَّان السلم والحرب بقبضه على عنان البرق طاوياً القارات والأوقيانوسات وقف حائراً دَهِشاً يتأمل فيما ادَّتْ اليه مباحث العلمآء المحققين وأُولي العرفان من الفوائد الجمـة في الكشف عمّا ورآء الحجاب من أسرار الطبيعة التي لم يُتصفَّح سِفرها بعدُ بكماله وتفسير ما في هذا الكون العظيم من ألغاز وطلاسم

سبحان ربّ السموات والأرض الذي أرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ما لا تدركه الأفهام وهو على كل شيء قدير

بقي أن نتكلم في هذا الباب عن علاقة التلفزة بالموسيقى فهي ولا جَرَم وثيقة العُرى وسيزيدها تتابع السنين ارتباطاً وقوة اذ انه لم يكد يمضي عليها بضع سنين حتى اتسع نطاقها وعمّ استخدامها في أمريكا حيث وُلدت ونَمَتْ وترعرعت وقد أصبحت من أبرز مميزات الحياة الاجتماعية فيها ومن ألزم ضروراتها وأجمل مظاهرها .

بيد أن الصلة التي بينها وبين الموسيقى لا تقتصر على مجرّد نقل الصوت فحسب على حدّ صلة الراديو بالموسيقى بل تتعداها الى نقل صُور مصادر الصوت مع الصوت وفي ذلك ما يستفز مخيلة السامع الى الامعان في التنقيب ويُقْدرها على تصور ما يمثل لعالم الحسّ وادراك مشخصاته مما يؤدي من دون شك الى زيادة الاحساس بسموّ الموسيقى والإحاطة بمميزات الاداء جملةً وتفصيلاً وقصارى القول فقد صار من المتوقع اذا عمّ انتشار التلفزة في قطرنا السعيد في القريب العاجل أسوة بالولايات المتحدة ان لا ينتهي كبير زمن حتى تتحقق الأماني من جميع هذه القوى بحيث نتحدّى الأمريكيين والأوروبيين جميعاً في شدة الحواسّ وصدق الشعور ولطف الملكة وتقوية المشاعر الانسانية العليا وشتان بين استماع الموسيقى وحدها واستماعها مع رؤية العازف الذي يؤديها وما يوحيه للرائي من مشاعر التأثير في الاداء والتعبير

وقد أصبح الاهتمام بالتلفزيون شغلاً شاغلاً للمشتغلين بالحقائق العلمية من الاميركان والاوروبيين فلم تبقَ والحالةُ هذه مملكة من الممالك المتمدنة إلاّ قامَ فيها من يزاول الامتحانات والتجارب في أزمنة مختلفة وعلى وجوهٍ شتى طلباً لادراك تمام النُجح فيه ورغبةً في تعميم استعماله ليصبح في مُتناول الفقير الذي له الحقّ في طلب الجمال كطلبه الخبز لأن التمتع بالسعادة لا يتوقف على الغنيّ وحدهُ بل للفقير حق التمتع بجميع مرافق الحياة في القرن العشرين الذي يُعدّ من أعظم القرون آثاراً وأجلها شأناً وأكثرها اختراعاً . ومما يؤسف لهُ أنّ الشرقيّ تخلّف عن أن ينشيء لنفسه فيه فخراً يثبته له التاريخ أو أثراً يبقى ذكرهُ في الأعقاب لانقباض ذَرعهِ عن الاضطلاع بعظائم الأمور وتوجيه العزيمة الى الاكتشافات العلمية والغوص على أسرار الطبيعة مما يرفع شأن الشرق في عيون الأمم بأسرها ويجدّد ما اندرس من آثار عزّته الاولى ومجده العظيم وشتّان بين الغرب والشرق والتحوّلُ المرجوّ موكولٌ الى العصور الآتية

ويتألف التلفيزيون من جزءين رئيسيين أولهما المُرسل الذي تتحال فيه المرئيات الى عناصر ضوئية متواصلة بحيث تتحوَّل الواحدة منها بعد الأخرى الى قوىً كهربائية طاردة متماثلة من حيث قوة الاندفاع وتعظم قوتها لفورها ملايين المرّات ثمَّ تنتقل هذه العناصر الدافعة الى القابل البعيد بواسطة أحد الطرفين السلكيّ أو اللاسلكيّ

والثاني القابل – وهو جهاز يماثل الى حدّ بعيد -- جهاز الراديو الحالي إلا أنه يختلف عنه بستار تظهر عليه المرئيات المنقولة من مسافة بعيدة وتقتصر وظيفته على قبول المرئيات المنقولة اليه وتمثيل عناصرها الواحدة تلو الأخرى بالتعاقب مع تكبيرها ملايين المرَّات بالنسبة الى حجمها الأصلي وتحويلها لفورها الى ما كانت عليه بادىء بدء من عناصر ضوئية متماثلة الحجم والقوى ومنتشرة على ستار المرئيات حسب نفس الترتيب والوضع اللذين أُجريَت عليهما عند ارسالها وبذلك يتسنّى للسامع أو بالاحرى للمشاهد مشاهدة المرئيات على اختلاف أنواعها وذلك بعد أن تتآلف عناصرها وتتألف منها صورة واضحة متماسكة الاجزاء

تلك صورة صغيرة للاجزاء التي يتألف منها التلفيزيون مع شرح طريقة عملها وعلاقتها بعضها ببعض وما يتعلق بهذه العلاقة التي يصدر عنها هذا النقل الصوتي الذي وصَفهُ جمهرة العلماء بأنه أعجوبة القرن العشرين وذلك فضلاً عن كونه طفلاً لم يبرز الى حيّز الوجود إلا من عهد قريب وهو حريٌّ بأن يعمّ استعماله في كل مكان

على أن من الناس من ذهب الى أن هذا الاختراع كان بادىء بدء مناط النجم أو أبعد حال كونه أصبح الآن من المشتغلين بالحقائق العلمية على حبل الذراع وقد أجمع العلماء بناء على ما أوصل اليه البحث على أن التلفيزيون من أعظم غرائب الاستنباط التي افتُتِح بها تاريخ الاختراع في هذا القرن

أَجَلْ . لم يكن الغربيون أرقى عقولاً وأكمل ادراكاً من الشرقيين بل يرجع سبب ذلك الى تفوقهم واضطلاعهم بخدمة العلم منذ نعومة أظفارهم وجعلها قِبلة عزائمهم ومعقد أوطارهم حتى ظفروا بأمنيتهم المنشودة وسبروا غور ما وراء الطبيعة من السرّ المكتوم وأصلحوا شؤون الجامعة الانسانية من طريق العلم الذي هو ضياء البصائر وساعد القوة ورائد فلاح الأمم وبفضل مزاولة تكرار الامتحان والاختبار على أنه كلما تقادم الزمن على الغربيين كثرت تجاربهم وزَخَرَ في كل وادٍ تيار معلوماتهم وانتقلت من السَلَف الى الخلف مما أدى الى تسلسُل عناصر نفوسهم النبيلة وأذهانهم النيّرة

في دماء ذراريهم فما علينا نحن الشرقيين إلا أن نتحدَّاهم في مضمار العلم ونشدّ حيازيمنا المباحث العلمية ولسان حالنا يردّد قول الشاعر

فتشبَّهوا إنْ لم تكونوا مثلَهمْ إنَّ التشبُّه بالرجال فَلاحُ

ولما كان أكثر الاختراعات والاكتشافات العلمية يتأتى عفواً على غير انتظار لما أن مصدرهُ اتفاقيّ أمكن التسليم بأن الفكرة التي تُوصِّل بها الى اختراع التلَفيزيون أو بعبارة أخرى فكرة النظر عن بُعد انما نشأت عند ما شاهدَ رجلٌ هولانديّ عن بُعد في القرن السابع عشر بوجه الصُدفة من خلال عدسة مكبرة طائراً معروفا بصِغر جسمهِ كبير الحجم فكان هذا الأمر الحادث على غير انتظار مدعاةً الى اختراع التلسكوب الذي اشتقَّ منه بعد مضي زمن طويل اختراع التلَفيزيون الذي لَعِب في وقتنا الحاضر دوراً عظيم الأهمية من الناحيتين الماديَّة والعلمية في حياتنا الاجتماعية

بيد أن فكرة نقل المرئيات بالتلغراف الذي بدون سلك بالكيفية التي اجريت الآن لم تدُرْ في خَلَد مبتكريها إلا عقب استخدام التلغراف الذي بدون سلك في نقل الاشارات الى أبعد المسافات واختراع التلفون لنقل المخاطبات على أنه بفضل ما أوصل اليه البحث وأمكن الاستدلال عليه من طريق المعاينة والحَدْس قد وُفق المستر ابرتون والمستر بيري من مشاهير علماء الطبيعة الى جواز ابتكار عين صناعية تقوم بوظيفة العين الطبيعية ما دام التلفون الذي تم اختراعه يؤدي وظيفة الاذن التي بها تُدرك الاهتزازات الصوتية التي يحملها الهواء ويؤديها إلى الاذن أي الى المحارة ومن هناك تنتقل في عدّة مسالك الى الاذن الباطنة وهي محل إدراك المسموعات على أن هذه الفكرة التي سَنَحَتْ لهما قد دفعتهما الى دراسة تكوُّن العين البشرية فاتضح لهما منها أن المنظورات الخارجة تنعكس على شبكيّة العين وهي جسم حساس رقيق متصل بالمخ بواسطة عصب الأبصار بحيث أن كل دقيقة من دقائق الجسم المرئي ترتسم صورها على الشبكية وتنتقل منفصلة عنها الى المخ الذي يجمعها بوضوح تام وقد أجْريا تجربتهما الخطيرة بمعاونة عالم ثالث يقال له «كاري» الذي اتخذ مقامه بمدينة بوسطون باميركا أما ابرتون وبيري فأنهما أقاما بانكلترا جاعلين حلقة الاتصال بينهم ألواح خلايا السلينيوم وهي مادةّ معدنية تختلف فيها قوة المقاومة للتيار الكهربائي الواقع عليها باختلاف مقدار الضوء. والذي عليه هؤلاء العلماء الثلاثة اتخاذ هذه الألواح لتأدية وظيفة شبكية العين

البشرية وايصالها بأسلاك كهربائية لتكون بمنزلة العصب البصري الذي يصل بين الشبكية والمخ وينتهي الى الجهاز القابل المجهز بعدسات وآلات ومولدات كهربائية خاصة

ولم يمض طويل زمن حتى توصل هؤلاء العلماء إلى نقل المرئيات فيما بينهم على شكل ذرات متكاثفة تكاثفاً شديداً تبدو للعين المجردة بهيئة صور واضحة متماسكة الأجزاء.

على أن هـذا الجهاز الذي توصّل علمـاء الطبيعة إلى اختراعه كان جهازاً أولياً بالنسبة إلى ما أوصل إليه بحث فن نقل المنظورات في العصر الحـديث من تقـدم ودقة ويرجع الفضل في إحسان صنعه وتهذيبه إلى جهود جمهرة من العلماء وقفوا عليه أيامهم وقصروا اهتمامهم على متابعة السير في نفس الطريق التي سلكها أسـلافهم لتطهيره من شوائب النقص والخروج به عن حد المظنونات وسعوا في ذلك على قدم الثبات حتى ظفروا بالنهوض بالتلفزيون إلى أبعـد مدى من التقدم وليس أدل على ما يُتوقّع له من إطراد التقدم والرقيّ ممـا ذكـره العالم المدقق المستر لي دي فورست في كتابه النفيس الذي تحت عنوان « التلفزيون حاضرهُ ومستقبلهُ » ومحصله ان ماضي هذا الاختراع لم يخلُ من حوادث كثيرة بعضها طريف يشرح الصدر وبعضها مثير للألم إلا أن البذرة التي زرعها روّاد البحث أخذت تنبت الآن وتنمو مما يبشر بجني ثمرها في المستقبل القريب ولا أدري ماخطّ في هـذا الاكتشاف قلم الغيب من غرائب حدثانه وليس في استطاعة الانسان التكهن عليه مهما أُوتي من واسع العلم وبعد المدارك فضلا عن أنه على أثر ذيوعه في أمريكا وانكلترا وسائر البلاد الأوربية كان له عظيم الأثر وكبير الأهمية من الوجهتين الاقتصادية والأدبية أضفْ إلى ذلك ما انطوى تحت انتشاره وذيوع نتائجه من وجود حركة اجتماعية رشيدة أدت إلى ابتكار الوسائل الفنيـة والأدبية التي هي لا جرم كفيلة ببلوغ ما في النفوس من آمال والفوز منه بنُجح الأعمال.

وليس بخافٍ ما كان من وراء هـذه الحركة المباركة من ارتفاع مستوى التأليف الأدبي والموسيقي اللذين روعي فيهما الملائمة لطبيعة النقل الضوئي والاحتذاء على طريقته وفقاً لمقتضياته الفنية وفضلاً عن ذلك فان الحياة الاجتماعية ارتفع مستواها وبلغ الانسان ما في نفسه من جميع الوجهات الخُلقية والأدبية والفنية والعلمية في البلاد الأوروبية عموماً وبالأخص في أمريكا مهد الحرية ومصدر الابتكار الذي كان سبباً في وجدان النهضة الأدبية التى تقتاد الأمم في طريق سعادتها وفلاحها وباعثاً على هذا الانتقال السريع العديم النظير في تواريخ الامم مما يقرّب الأمم بعضها لبعض

مهما إختلفت عقائدها وتباينت أوطانها ورسوخ قواعد المودة بينها فالمخلوقات اخوان على القرب والبعد تجمعهم نسبة الأدب وتضمهم رابطة الانسانية .

ولعلنا ازاء هذا التطور العظيم بانتشار التلفزيون في أنحاء العالم نجدد ما عفا من آثار الموسيقى الشرقية الخالدة تراثنا الذى خلفه لنا السلف الصالح ورمزقوميتنا ونتذرّع بالتلفزيون إلى إذاعة أغانينا وموشحاتنا العربية في جميع الأقطار إحياء للفن العربي وتطهيرا له من شوائب التجديد في ظل مليك البلاد الفاروق المفدّى نصير العلوم والآداب ومحيي الفنون الجميلة

خواطر وحكم (تعريب المؤلف)

(١) السماء مرتع الأمن والسكينة والأرض ميدان للنزال بين عاملي الأمن والخوف ومن أوجب الواجب أن نرى الأمل أعظم قوة وأبعد مدى من الخوف إذا اعتبرنا قوة الله العظمى التى نستعين بها سبحانه وتعالى وهو عضدنا وناصرنا وبه نحول وبهِ نصول وبه نجاهد

(٢) يتركب الحسد من الأنانية والكبرياء وحب الذات – هو خصلة رديئة صاغرة يأبى الحاسد أن يسمع ذكر أي إنسان بخير وما أعدلَ الحسد فانه يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود

(٣) يتوقف النجاح فى كافة الأمور على أن يتزين الانسان بزينة الايمان بالله ويكون وفياً بالعبد لأخيه كما يكون وفياً لنفسه - تلك صفة مهمة يُتَذَرَّع بها للحصول على الخُلُق الكريم والصدق والاخلاص والثقة بكل أحد ، هو راس بوشنل

(٤) ليُنقش في صفحة ذهنك على الدوام قبل كل كلام وكل عمل هاتان القاعدتان الفكريتان وهما كما يأتي أن تضع نفسك في موضع غيرك وأن تعامل الناس مثلما تريد أن يعاملوك به أيضاً .

(٥) الحياة مع وجدان الحقائق الراسخة والشرائع الأبدية وبذل القياد للمُثُل العليا الدائمة يحدوان الانسان أن يكون واسع فناء الصدر عند ما يجهل العالَم أمره ورابط الجأش وخافض الجناح إذا أُثني عليه ونُوِّهَ بفضله .

ف ج بيوي

نوادر تاريخية وفكاهات مستملحة لعبده الحمولي ومَن في منزلته

ذهب سليم سركيس الصحفيّ المعروف الى أحد مكاتب التلغراف في مصر ليُرسل تلغرافاً الى صديق له في الاسكندرية تهنئةً بزواجهِ وكان يصحبهُ عبده الحمولي صديقهُ الحميم فأخذ الأول في تنميق تهنئتهِ فِقَراً موزونة ومكث برهةً يراجع فيها كلمتهُ ويشطب منها الفاسد فتأفف عبده من ذلك وكتب تلغرافاً مركبًا من ثلاث كلمات جَمعتْ فأوعت وهي « تعيش وتتهنى وتفرح » ووافق عليها سركيس في نهاية الأمر وهي مقتطفة من دور غنائي وضعهُ الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب — هذا كلام ما لحسنهِ نهاية يرجع الفضل فيهِ الى عبده الذي اجتزأ بيسير الإبانة عن عسير الإطالة

أمين البزري سلطان الناي ابن اسكندر بك البزري رئيس الأقلام في وزارة الخارجية وحفيد الطبيب الخاص للمغفور له محمد على باشا الذي يُقال له جواني وقد حضر الى مصر الأخيران معاً على ظهر باخرة واحدة . وتخرَّج أمين في النفخ في الناي على صبحي بك كما تخرَّج ابن الأخير في اللغة التركية على اسكندر بك الذي كان موظفاً في سراي عباس باشا الأول

طلب تهامي باشا الجيلاوي، حاكم مراكش في المغرب أمين البزري ليسمعهُ ولما سمعهُ سرَّ منه كثيراً وملأ كفَّيهِ بعطائهِ

واجتمع بالمغفور له عبد الخالق باشا ثروة في حفلة أُنس وطرب أيامَ كان وزيراً للحقانية وحينما كان يتكلم عن الموسيقى ويفيض في وصفها قال له البزري وهو مزَّاح شهير : القانون الخشب يا باشا ! أحسن من قانون العقوبات

لما سمع عثمان باشا مرتضى السيد أحمد الليثي وهو يعزف على العود تأثر لدرجة أنهُ لم يملك سوابقَ عَبرتهِ وإن سمعهُ أحد الناس وقال له . « انت كُويِّس » إعجاباً به يجيبهُ الليثي قائلا يعني (إيه كُويس) واذا حضر مع رجال عبده الحمولي فوق التخت يُفضِّل الحاضرون سماع عزفه على العود على سماع غيره من العازفين على أي آلةٍ كانت

جَرتْ العادة أن يُكلَّف « القانونجي » مثل محمد العقاد الكبير تصوير نغمات عبده الحمولي في الليالي والمواليا والأدوار والموشحات والقصيـدة لما أن القانون أعلى صوتاً وأشد رنيناً من العود إلا أن عبده يؤثر تقاسيم السيد احمد الليثي على تقاسيم العقاد احتراماً لشخصـهِ واعترافاً بعبقريتهِ

مهما بلغ العقاد من النبوغ وحلاوة الأصابع واذا قسنا مهارة محمود الجركشي بقيراط فان احمد الليثي تُقدَّر مهارتهُ بأربعة وعشرين قيراطاً

وكان للبرنس حسن باشا ابن الخديو اسماعيل « أغا » يقال له فضل الله وكان يُحسن العزف على العود وكلما لتمي البرنس أحمد الليثي فى الحفلات الغنآئية كان يكلفهُ بعد سماعه أن يعطي العود الى فضل الله ليُسمعه إياهُ وكان احمد الليثي جميل المنظر قصير القامة صغير الأصابع وحلوها وكان المغفور لهُ الخديو اسماعيل يقول لأعيان القطر إعجاباً به اعلموا ان احمد الليثى العوّاد لا يأتى نظيرهُ . ولما سمعهُ الشيخ علي الليثى شاعر الخديوي قال له مداعباً أنت عوّاد وغيرك عَوَى وكان فوق تخت « عبده » متبوعاً وليس تابعاً أميراً وليس مأموراً سائداً وليس مسُوداً وقد أنجب ولدين السيد ومحمد أمين مات الأول وأبوه في قيد الحياة وعاش الثاني وورث عن والده خمسين فداناً من جيد الأطيان ومنزلا بشارع الصنافيري ورآء قشلاق عابدين بلغتْ مساحتهُ ٢ متر مربع ودخل محمد أمين مدرسة البوليس وكان له إلمام بالعربية والانكليزية وتوصل آخراً الى درجة مأمور قسم لبندر الزقازيق وكان مدمناً الخمر ورُفت في عهد حسن باشا حسيب مدير الشرقية ومات فقيراً لتبديده تركة والدهِ في الدنايا التي غَشِيَها والمخزيات التي جآء بها رحم الله والدهُ وغفر لهُ

كان سعد بك مخائيل عبده أول كتبة الخاصة الخديوية لعهد الخديو اسماعيل وآخراً رئيساً لقسم الموازين بوزارة المالية وكان صديقاً لبطرس باشا غالي ومخائيل بك تادرس وعبده الحمولي وكان من عادته اقامة حفلات طرب بداره الكائنة بعطفة البتانوني (حارة السقايين) كل ليلة من دون انقطاع وكان بها جنينة تتوسطها فسقية مآء ويصطف حولها المدعوون من أصدقائهِ وكانت تعوم على سطحها صينية مملوءة من مختلف أنواع الشراب وكان يدفعها بيده كل واحد منهم بعد أن يتناول كأسهُ منها لتصل الى الآخرين وكان عبده وجورج مطران المتوظف بوزارة المالية (ابن عم خليل بك مطران) من ضمن الحاضرين ولما علم عبده ان جورج حسن الصوت طلب منهُ أن يغنّي الحضور فأبى على شدة الالحاح وما كادت حُمَيَّا الكأس تمشى فى عبده حتى وقف فوق حافة الفسقية وبيده العود وأخذ يطرب الحضور دائراً حولها الى أن شابت ناصية الليل ولمناسبة زواج حنا بك باخوم من ابنة سعد بك عبده يجدر بنا أن نورد ما يأتي نقلاً عن الاهرام الغرآء بتاريخ ١٥ / ٧ / ١٩٣٦ بامضآء الصحفي « العجوز » توفيق حبيب « سعد بك عبده مخائيل سيِّد حارة السقايين وكبير أعيانها كان سلا مالك سعد بك من أكبر أندية الفنّ يجتمع فيه كل ليلة عبده

ومحمد عثمان واحمد حسنين والجركشي وسهلون وغيرهم من موسيقيّ العصر وتبقى فيه السهرة « صباحي » »

كلٌ يعلم أنَّ عبده وچاك رومانو أخوا صفاء وأليفا مودّة وأن الأول يُقلده الثاني في بعض المقامات على نغم « الباص » فلذلك كان عبده يقول له قول لنا شويّة من « سي عبده » وحياة أبوك تقول لي « عبده » وفي نهاية التقليد يقول لهُ « عفارم عليك »

وُلدت السيدة اللاوندية بطنطا واحترفت الغناء عند ما بَلغتْ سنّ الرُشد على أثر سماع عبده الحمولي في سراي المنشاوي باشا ليلة عرس ولده احمد وكوّنتْ لها تختاً من محمد الصغير القانونجي والسيد الصغير العواد المعدودين في مقدّمة العازفين وزاولت الغناء مدة طويلة في طنطا وبرحتها قاصدةً الى الاسكندرية وغادرتها بعد مضي زمن الى القاهرة حيث استقرَّت بها آنيًا.

وقد روت لنا الواقعة الآتية نَصبَ اسماعيل باشا يكن لمناسبة زواج ابنهِ أو ابنتهِ - هي لا تتذكَّر ذلك بالضبط - سرادقين أمام سرايه في أول شارع شبرا اختصَّ بأولهما وهو الأوسع عبده الحمولي للغناء فيهِ واختصَّ بالثاني محمد عثمان ولما آن وقت الغناء وبعد أن أكل المدعوون ما لذَّ وطاب حضر عبده وقد أخذَ منهُ الشراب فألقى على مقعدهِ أرواقهُ وغلبهُ النوم ولما استبطأهُ الباشا طلب من محمد عثمان أن يعلو تخت عبده ليقول وصلة تفاديًا من ملل المدعوّين من علية القوم الجالسين في سرادقهِ الى أن يستيقظ من منامهِ فأبى ذلك أولاً خوفًا من عبده إلاّ انهُ إرضاءً للباشا نهض ودخل سرادق عبده وما كاد عثمان يجلس فوق التخت بعد أن قدَّم رجلاً وأخَّرَ اخرى حتى هبَّ عبده من نومه وسرعان ما اختفى عثمان عن الأنظار تخلصاً من موقفه الحَرِج الذي نالتهُ عنهُ روعةٌ شديدةٌ والذي يُعدّ في عُرف المحترفين تعديًا وافتئاتًا على حقوق الغير فانبرى عبده يطرب سامعيهِ بصوتهِ الساحر حتى جذب اليهِ مَن كان بسرادق محمد عثمان وجعلهم جميعًا يتلوون تلويّ الأغصان اذا حركتها الرياح من شدة تأثير ما نالهم من ذهول وطرب

كان لحسن عبد الرحيم صاحب وابور طحين في أول شارع الجميل بالفجالة ابنة عزيزة عليه فدعا عبده الحمولي للغناء في ليلة « الحِنَّاء » بداره المجاورة لدار اسكندر فرح الممثّل الشهير وصديق عبده الحميم وبينا كان عائداً بعد التمثيل الى داره وجد عبده فوق التخت يُغنّي فعرَّج على المكان ليسمع منهُ وصلةً ولما انتهى منها دار الحديث بينهُ وبين « سي عبده » الذي ذكر لهُ الكبيبة اللذيذة الفاخرة التي سبقَ أن أكلها عندهُ فقال لهُ لَكَ أكلة كبيبة الليلة يا « سي عبده » إن

سمحتَ فأجابهُ الأخير بالقبول ثم أخذه اسكندر فرح عقب الغناء الى منزلهِ وأيقظَ الطباخ الساكن في غرفة فوق السطح لكي يقوم بتجهيز الكبيبة التي طلبها منهُ عبده وفتح دكان القصاب الذي كان أمام بيته وأخذ منها فخذة خروف وذلك في الساعة الثانية بعد نصف الليل على مرأى الخفير الذي اضطُرَّ أن يبلغ الأمر للقسم حيث حُررت مذكرة وبعد أن تناول عبده العشاء أخذ يغني ويطرب سامعيهِ ومن حضر من آل العروس وسكان الحيّ الى أن شابت ناصية الليل . تأمل كيف يجترىء الممثِّل الكبير على كسر أقفال الدكان في غيبة صاحبهِ ابتغاء التمتع بسماع عبده نابغة عصره واجابةً لمقترحه .

كان ذات يوم عبده يُشاهد فوق مسرح رمسيس راقصة مشهورة بارعة الشكل ورشيقة القدّ يُقال لها « نرجس » فما كادت تلمحهُ بين المتفرجين حتى أخذت تُماجنهُ قائلةً له (ما قات لك ياسي عبده ، عِشق الملاح ما انتاش قَدُّه) فتراءى لعبده أن هذا الهزل يشفّ عن جدّ وطلب لفوره تخت العقاد وما كاد الخبر ينتشر انتشار البرق حتى أمَّ المسرح أصدقاءوه ومريدوهُ وكثير من عليّة القوم المعجبين به وكان بينهم الشيخ اسماعيل الرملي التاجر المعروف بالتربيعة والراقصة نرجس فبدأ البلبل الذي وَلَّهُ الحب غناءهُ الشجيّ فأبدع أيما إبداع وأُستُعيد مراراً فما كان منه إلاَّ أنه استخرج من جرابهِ من مخبآت الفن ماصرَعهم وكأني بهم مَسٌّ من الخبال وما كاد عقل الشيخ اسماعيل الرملي يثوب إليه حتى حلف لعبده الحمولي بأغلظ الأيمان والطلاق ثلاثًا ألاّ يسمعهُ طول حياته تفاديًا من أن يَمَسَّهُ طيف جِنّةٍ ومن محاسن الاتفاق ان نورد ما أعثرنا عليه البحث والتنقيب وهو صورة خطاب مرفوع إلى أحمد باشا السيوفي موقعًا عليه من عبده الحمولي يُستخلص منه صدق معجمه وجمّ إفضاله وبالغ تضحيته وكيف لا فان سَدَاتهُ الاخلاص ولُحْمته عمل الخير ولا عجب فقد أُوتي محاب القلوب وحبذا هو من رجل .

وإليكم نص الخطاب المشار إليه الذي كنا نود أخذ صورة فوتغرافية عنه لو لم يضن به حامله .

صورة خطاب مرفوع إلى أحمد باشا السيوفي موقعًا عليه من عبده الحمولي لمناسبة إقامة حفلة غنائية خارج القاهرة مساعدةً للفقراء

سعادتلو أفندم أحمد باشا السيوفي أمين صندوق جمعية فقراء المسلمين

بعد عرض ما يليق بمقامكم العالي من التبجيل والتعظيم قد بلغني أنه حصل التكلم في إحدى

جلسات الجمعية بخصوص تخصيص مبلغ لي في مقابلة مصاريف الانتقال أسوة بجناب الخواجه كازانوفا ولا يخفى شريف علم سعادتكم أن العبد عرض نفسه لهذه الخدمة الشريفة بدون أدنى مقابل فضلاً عن قيامنا بمصاريف تخت العقاد في الليلة المعلومة وانني أعدّ نفسي سعيداً للقيام بذلك واعتبرها نعمة عليّ يجب شكرها في كل حين وأتمنى من صميم فؤادي دوام معاودتها وأشكر فضل الجمعية على تشريفي بهذه الخدمة الجليلة والمنة العظيمة وحيث أنني عزمت على السفر اليوم وأخشى أن الجمعية تقرر شيئاً في هذا الأمر مع استحالة قبولي ذلك فيقع مني سوء الأدب في رفض ماتقرِّرهُ من هذا القبيل فلذا بادرت إلى تقديم هـذا لسعادتكم لعرض الأمر على الجمعية لمداركته قبل صدور قرارها وتنازلوا بقبول واجبات الاحترام افندم م؟ عبده الحمولي

١٣ أكتوبر سنة ١٨٩٢ (امضا)

ربحت ساكنة المطربة الشهيرة حماراً من سحب «اليانصيب» ولما رَكبتهُ قاصدة إلى دكان الخواجا «دبّانه» الصائغ في الصاغة لتشتري زوج أقراط وخلخالا ولما رآها هذا الأخير قال لها «مال الحمار راكبه عفريت» فأجابته في دُبُره دبانه فردَّ عليها لفوره وقال خلّيها «ساكنه».

قابل شحاته بك العسكرى «ساكنة» وهي راكبة حمارها فقال لها «ليه حمارِك بيعرج» فأجابته قائلةً «الحمار دا شحاته».

دعا الخديو اسماعيل عبده الحمولي ليغنيه في أثناء غضبهِ ولما غناه رَضيَ بعد سُخطه فتقدم إلى عبـده أن يطلب ما يريد فطلب هذا الأخير أن يعفو مولاه الخديو عن نشأة باشا مدير القليوبية الذى كان صدره واغراً عليه فعفا عنه في الحال.

زار عبده ذات يوم مخائيل بك تادرس في داره ولما استقرَّ به المُقام طلب منه سجادة ليُصلي عليها فأحضرها له وبعد أن صلى حضر بائع سمك ومعه «مشنتان» مملوءتان سمكاً فأخذ مخائيل بك يختار منهما السمك الصغير الحجم فسأله عبده عن سبب اختياره الصغير دون الكبير فأجابهُ الأول قائلاً لأن الصغير منه أنثى وتسمى بُنّية بخلاف السمك الكبير وهو من نوع الذكر ولا ينضج سريعاً واشترى منه قنطاراً ونصف قنطار فتعجَّب عبده من شرآء ذلك المقدار فقال لهُ مخائيل بك ألا تعلم يا «سي عبده» أن عيد المَلَاك مخائيل وهو عيدي سيكون غداً وإن الليلة القادمة تُعرف بليلة نقطة البحر فتطوَّع عبده للغناء في الغد ابتهاجاً بعيده ورجاهُ أن يستقبل صباحاً تخت محمد العقاد فحضر في الموعد المذكور رجال التخت وهم محمد العقاد ومحمد السبع وأحمد حسنين (كان أصلاً

مراكيًا) ومحمود الجركشي وابراهيم سهلون وأمين بزري، وأخذ هؤلاء ينتظرون قدوم عبده حتى الساعة العاشرة ولما حضر اعتذر عن عدم الحضور في الميعاد المحدَّد لتشييعهِ جنازة أحد أصدقائه التي واجهها حال نزولهِ من قطار حلوان بباب اللوق وأردف قائلاً اعلم يامخائيل بك اني لا أفي لصديقي بعهدي بدقَّة إلاَّ لأمرين مُهمَّين أولهما الائتمار بما يأمرني بهِ أفندينا الخديو اسماعيل . والثاني تشييع جنازة عزيز مفارق . وسرعان ما تمّ دوزان الآت التخت ورفع صوتهُ عبده مرتجلاً المواليا والأدوار والموشحات التي كلها عيد في عيد ومكث ثلاث ليالٍ يغني صديقهُ الحميم ابتهاجاً بعيده كان يطاف فيها على الحاضرين من أنواع الشراب ما هو ألذّ من معتّقة الدير مصحوباً بأشهى « المازَّات » من أبوجلانبوالذي تزنالواحدة منهُ نحو أُقة وغيرهِ مما أحضرهُ معه باسيلي بك عريان من كبار ملتزميّ الأسماك بالقطر المصري عدا اللحوم المشوية التي قام بتحضيرها محمود القرا شيخ الطباخينفأكل كلٌ منهم الطعام هنيئاً مريئاًوحلف لنا المرحوم مخائيل بك بكل يمين أنهُ لم يرَ طول حياتهِ « أبوجلانبو » بمثل ذلك الحجم ولم يسمع غناء أطرب مما أنشده عبده في تلك الليالي

كان لإسماعيل باشا صديق رئيس الوزراء لعهد الخديو اسماعيل ولد ولما أراد تزويجهُ دعا إلى سرايهِ المجاورة لقصر عابدين كبار القوم وأعيان المدينة وأرباب الأقلام لشهود الاحتفال بزواجهِ والتمتع بسماع عندليب الشرق عبده الحمولي فوق تختهِ المؤلف من السيد أحمد الليثي العوّاد الأوحد ومحمد العقاد الكبير والسيد حسين الصوّاف كمساعد وهو أشهر مُقرئيّ القرآن لعلوّ صوتهِ وغيرهم فغنىّ وأبدع أيما إبداع .

أخبر فرج افندي جرجس رئيس الحسابات بمصلحة البريد حضرة مخائيل بك تادرس صديق « سي عبده» أن الكاتبالأول للمصلحةنفسها سيقيم حفلة غنائية في داره بسوق الزلط (التابع لقسم باب الشعرية) إحتفاءً بزواج ابنته وقد دعا إليها « سي عبده » ليطربالمدعوين فذهب مخائيلبك في الليلة المحدَّدة إلى محل الاحتفال لسماع صديقهِ الذي أبطأ عن الحضورخلافاً للعادة ثمَّ حينما حضر هذا الأخير كانت الخمر آخذةً مأخذها فيه - وهذا أمر لم يكن في الحِسبان - إلا أنهُ كان شاهد اللُبّ ضابطًا لأموره فأخذ بعد برهة في الغناء الذي كانت تتخللهُ زَفرات كاد ينشقّ لها وما كاد يصل إلى دور «الموشَّح» حتى طرح العود جانباً والكمد يتبيَّن في وجهِ ومن خلال أنغامه وأخرج من جيبه منديلاً وضعهُ تحت صُدغه واستخرط في البكاء وهو يُغني وينوح حتى أبكى الحاضرين ويعزى هذا الحزن على ما قيل إلى هيامه بألمظه التي اقتُنص بحبائل فتنتها وليس الخليّ

كالشجيّ فلا لوم عليه إذَن وهو منزّهٌ عن العَذْل اذا باتصريع غرام على حد قول الشاعر :

وخلَّفته صريعاً وهي قائلةٌ تأملوا كيف فعلُ الظبي بالأسدِ

سافر « سي عبده » إلى كارلسباد للاستشفاء ونزل في أفخم فنادقها وكان من جراء إسرافه يتمثّل في نفوس الورّاد وخَدَمة الفندق أنه أحد أمراء مصر ولماسألوه عن شخصيته للتعرُّف به قال لهم أنه الموسيقي المصري ومطرب الخديو اسماعيل ولما ألقى عصا التسيار في فينا أقام الموسيقيون فيها حفلةً شائقة تكريمًا له وغناهم إجابةً لمقترحهم غناءه المصري ولما سمعوه وقفوا دَهِشين ومعجبين بصوته الذي مَسَّ درجات الثلاثة السلالم الموسيقية ممايُعد من فلتات الطبيعة وقد أقام عبده لهم وليمة جمعت من كبراء رجال الفن الأربعين عداً وكلهم ألسنة تنطق بتفوقه ونبوغه وبلغت نفقات رحلته إلى أوربا نحو ٢٣ جنيه .

خواطر وحكم (تعريب المؤلف)

- التربية رأس مال الفقير ومصلحة الغني - هوراس مان

- قُصَارى التربية الصحيحة تنشئة الأولاد على التزام النظافة والنشاط والأمانة والجِدّ - جون رسكن

- التربية الأدبية والعقلية التي تلزم كل فرد يجب أن تكون بنوع رئيسي ظاهرة في عمله الخاص - وليام رت

طلبُك الانتقام من عدوك دليلٌ على أنك تشبههُ في شِيمتِهِ واغتفارُك ما فرط منه اليك شاهدٌ ينطق بأنك فوق مرتبته لأن الإغضاء عن الذنب شيمة النبيل - فرنسيس بيكن

- ليست السعادة موجودةً في داخلنا أو خارجنا إلا أنهُ من الميسور أن نحصل عليها ونتمتع بها ما دمنا بالله متصلين وعليه متوكلين - بسكال

- أغنية تُنشد في أي موضع كان خيرٌ من سماع أنين مهما تكن الأغنيةٌ متنافرة الأنغام

- الإحتقار جريمة تُقترَف بالفكر والبغض جريمة تُقترف بالقلب أما المحبة التى تتغلغل فيها الحياة فانها تختلف عنهما كل الاختلاف وتهدمهما هدمًا - جورج مكدونلد

ابراهيم سهلون

ان للفقيد غير ما ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب من المآثر الفنية والمواهب الفذة واليكم بعضها تتمةً لتاريخه وقضاءً لواجبهِ . قد كان مولدهُ رحمهُ الله في مدينة القاهرة التي نشأ بها وتلقَّى على والده « القانونجي » الذي يقال لهُ سليمان مبادىء العزف على الكمان ثم انتقل معهُ الى المنيـا (بالوجه القبلي) ولما مات والده (قيل انهُ مات مسموماً) قفل راجعاً الى مصر حيث استمرَّ في مزاولة دراسة الكمان التى لم يَدخر دونها سعياً حتى توصَّل بجهوده المتتابعة وسهره المتواصل الى النبوغ في هذا الفن ولما نُمي خبره الى عبده الحمولي ألحقه برجال تخته كعازف على الكمان وقام بتدريبهِ على طابعه الخاصّ المسمى بطاوور عبده أما تاريخ حياة صاحب الترجمة فهو كتاريخ حياة كل موسيقيّ شرقي لا يحتمل فيه التطويل لخلوّه من تدوين تأليفٍ أو تلحينٍ يمكننا إثباتهما لهُ من



ابراهيم سهلون

طريق النشر أو كتابتهِ بالنوتة و يُستخلص منهُ أنه بانخراطهِ في سلك التخت الكبير لعبده استزاد وهو تحت إمرة هذا الأخير أشياء جمَّة من العلم الذي أنفق أوقاتهُ على طلبهِ حتى غدا منقطع النظير لما أن تخت عبده يُعدّ ولا جَرَم مدرسة متنقلة يتدرّب فيهـا الطالب على العمل و ينال مزيَّة الإحسان وأسباب النُّجح وأن عزفهُ إن هو إلا غناء انسان صرعهُ الغرام وليس كماناً يحاكي صوت الانسان ومن مميزاتهِ أنهُ يُحاكي بقوسه ما تَتَشنّف به أُذُنهُ من أنغام المطرب فيأتي بعده بتقاسيم عذبة مطربة تأخذ بمجامع القلوب ومما عُرف به أيضاً بنوعٍ خاص أنه كان يسند عبده حينما يطير هذا الأخير ويحلِّق ويرتفع بصوته القوي الى السماء ويقول له « حاسب يا أبا خليل » حرصاً على سلامتهِ واحتفاظاً بالنغم وذلك في الوقت الذي يبكم فيهِ العود و ينصت الناي و يعجز القانون عن اللحاق بهِ ولكي يقف المطالع الكريم على نموذج من نوع عزفه وكيفية محاكاتهِ للمغنّي نذكر لهُ على

سبيل المثال الاسطوانات التي للشيخ يوسف وعبد الحي حلمي وغيرهما والتي منهـا يتبيّن له أنه يمثل بتقاسيمه عَقِب الأدوار روح المطرب و نغمه وطابعه - تلك مزية قلَّ أن يوجد مثلها عند غيره من منافسيهِ و يرجع ذلك الى شدة حِسِّه وصادق شعوره وقوة تأثره من جو الطرب المحيط بهِ وهو بالعكس لا يجيد العزف و يأتي بالمعجزات اذا ألفى في البيئة ما لا يلائم ذوقهُ ووجد حلقة الاتصال بينه و بين سامعيه مفقودةً وللفقيد « قفلات » على نغم السيكاه مما يخلب العقول ولا سبيل لأيّ عازف أن يجارِيَهُ فيها هذا مجمل ما يذكر من تاريخ هذا الرجل وما عُرف بهِ من العبقرية وكان بعيداً عن ابتغاء الشهرة بالدعوة والبرو باجندة الفارغة على صفحات الجرائد بل كان متفانياً في خدمة الفن للفن وتقديره لسامعيه بمعنى أنه كان يُفتِّش عن حضرة يوسف بك تادرس كبير المفتشين في مصلحة الضرائب حالاً ليُسمعهُ وهو وأمين البزري ما ارتفع عن مقام المتحدّي من التقاسيم التى تصعد بالسامع إلى جناتٍ تجري من تحتها الأنهار وقد أنجب ابنة وولدين أحدهما يُقال لهُ زكي وهو يزاول حرفة أبيهِ

ابراهيم القبانى — عثرنا اتفاقاً على ما يأتي فآثرنا ايراده اتماماً لتاريخ حياته وهو أن اسمه الأصلي ابراهيم محمد حسن الوكيل وهو ذو قربى لعائلة الوكيل الشهيرة بالبحيرة وقد وُلد في القاهرة سنة ١٨٥٢ وتلقّى مبادىء العلم في إحدى المدارس بها ولما شعر بحسن صوته وآنس في نفسه الميل الي الموسيقى أخذ يتدرَّب شيئاً فشيئاً على الغناء والتفَّ حولهُ رهطٌ من التلاميذ ولما بَدَت نجابتهُ فيهِ انتدبهُ جماعة من جلَّة المصلّين وناظر المدرسة ليؤذّن في أحدى الزوايا القريبة للمدرسة في أوقات الغروب والعشاء وقد تخرَّج في درس العود بادىء بدء على عوّاد بسيط اشتهر بضرب الرق ولما نُمي الى والده انهُ عكف على مزاولة درس العود وترك العلم سَقَطَ ابنهُ من عينه وطَرَدَهُ من البيت فذهب ابراهيم الى الزقازيق واشتغل كما قدمنا بقهوة جورجي اليوناني أمّا صوته فهو وسَط وهو عواد فذ وكان يضع بخنصر يده اليمنى خاتماً من الالماس « البرلنتي » وقد طار صيتهُ في انحاء المديرية ولهُ تلاحين عديدة تداولت غناءها عدّة مطربين من أعلى الطبقات وقد قيل ان المغنّى في عصر الحمولي وعثمان لا يؤذن له باعتلاء التخت للغناء كرئيس له إلا اذا أقرّه أرباب الفن بعد أن يسمعوا غناءه في جمع حافل واذا نجح في الامتحان حزّموهُ علامةً لكفايتهِ وتكريماً لهُ ورخّصوا له باحتراف المهنة .

وقد تعلم الفقيد النوتة وهو في سن الستين وكان يُنافس محمد عثمان في التلحين إلا أن الأخير

كان لا يعتقد له العداوة والبغضآء بدليل أنهُ أسمى ابنهُ البكر بابراهيم تيمناً واستبشاراً باسم ابراهيم القباني زميلهِ وصديقهِ وقد غادر الزقازيق وسكن في مصر في آخر أيامهِ واتماماً لما نظمهُ اسماعيل باشا صبرى وقام بتلحينهِ الفقيد لا بأس من ايراد ما يأتي

مذهب — البدر من نور جمالك والشمس من نار شجوني والغصن رسم اعتدالك والغيث مدامع عيوني يعني إتفقنا ومالك خليت عواذلك هانوني دامش كلام !

دور — نور النهار من جبينك وان شافك الليل يصبح ياحِبّ سهرت جفونك وان كان يغيب والا يسمح للرؤية صون عيونك كُتْر السَهَرَ مُش مصرَّح يا صاحبي نام شوف دلالك

ومع شيوع أمر تلاحينه فانهُ ترك الغنآء ولم يلتفت الى البحث في مزايا الموسيقى الشرقية واقتصر على اعطآء دروس خصوصية في العود للعائلات في المنازل والذي زاد الطين بلة ظهور نوع جديد من الغنآء يسمى (بالمونولوج) سنة ١٩١٧ .

ابراهيم المغربى

ابراهيم المغربي . ملحّن شهير عكف على تلحين القصائد والموشحات التى تتعلّق بالقصة النبوية وكان يُنشدها في مولد النبي (صلعم) على حدّ كلٍّ من الشيخ اسماعيل سُكّر والشيخ علي محمود أحذق القرآء وقد اختص بذلك دون الغنآء كما اختص الشيخ محمد ألقيسوني والشيخ حنفي البرعي بقرآءة القرآن الكريم دون سواه إلا أن السيد حسن الصوّاف قد اختلف عنهما وكان ذا موهبة مزدوجة بمعنى أنه كان من أحذق قراء القرآن لعلوّ صوته ومن كبرآء المساعدين لعبده الحمولي فوق التخت وقد أنجب السيد حسين الصواف وَلدين عُني بتربيتهما وهما احمد بك الصواف ومصطفى بك الصواف توصل الأول منهما الى شغل مركز وكيل لمديرية بني سويف والثاني الى مركز مفتش بمصلحة المباني وقد أُحيل كلاهما الى المعاش

ابراهيم المغربى

عثمان الموصلى

عثمان الموصِليّ - ملحّن شهير في دمشق (سوريا) اختصّ بتلحين الموشّحات والأدوار الغنائية ولما بلغهُ خبر نبوغ عبده الحمولي فى فن الغناء العربي- ألقى العصا في مصر ليسمعهُ ولو مرّةً في حياتهِ فاتصل بكلٍّ من الشيخ علي محمود والشيخ ابراهيم المغربي تحقيقاً لأُمنيتهِ وذهب الثلاثة الى « درب سعادة » بالحمزاوي قصدَ سماعهِ فى حفلة غنائية شائقة فما كاد ينهي التخت أول وصلة حتى همَّ عثمان الموصلي بالانصراف فمنعهُ الشيخ علي محمود وأشار اليهِ بالتزام التؤدة والحلم ليتسنّى له سماعهُ متجلياً ولما نُمي الخبر الى عبده قال للشيخ علي محمود « قول لهُ إِسَّهْ عبده ما غنَّاش » فاندفع عبده بما أُوتي من عبقرية وموهبة صوت نادرة يغني ما هو آتٍ



عثمان الموصلّى

(مذهب) - قل لي يا جميل قل لي وإيش جرى مي دا حُبك مجنني يا وعدك يا عين آه ياللي -

دور - إيش جاني من ابن فلان أشجاني ولم لِي لان ما أعدل قوامه قوام البان ياليل يا وعدك ياعين أصل الهوى العينين فى حب أهيف زين والقلب ما يسعش اثنين لا الصدّ ولا التجافي . أما عن دهشة عثمان الموصلي الملحن الذي استبطن دخائل الفن وغاص على أسراره فحدّث ولا حرج فقد مَسَّه الجنون ووقع مغشياً عليه ثلاث مرات وصُبَّ على وجههِ ثلاثة أكواز ماء وكلما أفاق كان يصرخ قائلاً ياناس ليس هذا الصوت صوت انسان بل هو صوت ملاك آمان يا عبده كان انا دخيلك وكان يعاوده الجنون كلما سمع من عبده حركةً جديدة من حركاته أو نغمة من نغماته . سبحان الوهاب . وهو وليّ الهداية والتوفيق

قال الله تعالى (٣٣ : ٧٠) يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى : (٣٥ ١) اليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه)

كيف تزوج عبده بألمظ

ظل عبده بعد أن طلّق زوجته الأولى ابنة المعلم شعبان المقدم ذكرها في الجزء الأول من هذا الكتاب يقاسي آلام العزوبة ردحاً من الزمن إلى أن ظهر في سماء الطرب نجم ألمظ في عهد ساكن الجنان الخديو إسماعيل .



عبده جالس بين فسيلة من النخل

إتّصفَتْ ألمظ فضلاً عن حسن الصوت بعذوبة المنطق وقوة الجاذبيّة ورقيق الاحساس وجمال العقل والقلب وقد رآها لأول مرّة تغني في الجيزة وسمعها جيداً عند ما اجتاز النيل فوق مركب لعدم وجود كبري عليه آنئذ واليكم بيان ما إرتجلتهُ له حينما رأتهُ وهو: عَدّيْ يالمحبوب وتعالى وان ما جتشي أجي لك آنا وإن كانت البحر غويطة أعمل لك على الداب ساآله ، فوقف عبده

حائراً دَهِشاً من حسن صوتها وبالتالي من سرعة خاطرها وانتهى بأن أشرب قلبه حُبها .

ابتدأت المسئلة على حدّ قول المرحوم شوقي بك « نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ » ولما أقام ابرهيم بك وفا التاجر الشهير مهرجاناً موسيقياً فخماً في داره بالجمالية لمناسبة قران ولده دعا إليه من علية القوم وأعيان العاصمة وأكابر الحكّام ما ضاق بهِ فِناءَ داره على رحبه وكَاف عبده الغناء للرجال وألمظ لغناء السيدات في الدور العلوي .

فابتدأ عبده الغناء وفقاً للبرنامج المألوف بالموال والموشح والدور والقصيدة فوق تختهِ المؤلف من محمود الجمركشي العواد وابرهيم سهلون الكماني ومحمد العقاد الكبير (القانونجي) وأمين البزري النایاتي وأحمد حسنين ونصر المساعدَين وفريد الرَّقاق إلا أن ألمظ خالفتهُ في دورها على خط مستقيم وأخذت تداعبهُ في أثناء الغناء ارتجالاً كقولها

يااللي تروم الوصال وتحسبه أمر ساهل . دا شيء صعب المنال وبعيد عن كل جاهل
إنْ كنت ترغب وصالي حَصِّل شوية معارف . لأن حرارة دلالي صعبة وانت عارف

فما كان من أمره إلا أن هدَرَت شقاشقهُ وردَّ عليها قائلاً ضمناً

روحي وروحك حبايب من قبل دي العالَم والله وأهل المودَّة قرايب الخ الخ الخ

ومن ذلك الحين أخذَ الحب يتمكن من فؤاده وينمو مع الأيام وقد كان كامناً فيه فصادف من رقة جانبها وسحر جاذبيتها ما نبههُ كالنار التي تظهر عند الاقتداح فارتبطت قلوبهما بوثاق هذا الحب وجعل يزورها بين حين وآخر في دارها بدرب سعادة (الحمزاوي) وفي ذات يوم بينما كانت تسقي أُصُص الرياحين والورد في جناح بيتها (البالكون) سقطت وردة فوق رأسه بينما كان ماراً في الشارع فتناوَلها وقال لها أيصح منكِ حصول ذلك يا روحي ؟ فأجابتهُ وهي باسمة الثغر قائلةً الوردة وقعت على الفُلَة وأنا ذنبي إيه فازداد هياماً بها حتى أنه جعل يمرّ كثيراً من تحت النافذة (الشباك) فترميهِ بالزهر ولسان حالها ينشدهُ الأغنية الشعبية القائلة (من الشباك لأرمي لك حالي) وكانت النافذة موعد التقاء الحبيبين – تلك عادة جارية من قديم الأزمنة في أسبانيا التي فتحها العرب وقد أخذت عنهم عوائد كثيرة وكأني بها عادة شرقية اقتبسها الأسبان عن العرب وانتقلت من اسبانيا إلى المكسيك فأصبحت النافذة المكان الوحيد الذي تجري فيه بين الحبيبين مطارحات الحب وأحاديث الغرام توطئةً للوقوف على أخلاق وسجايا الفتاة التي يتعين على الشاب أن يتعرف مخبرها قبل أن يخطبها إلى ذويها .

ومن أظهر الشواهد على صحة هذا الاستنتاج ماجاء بمجلد السنة الخامسة من الضياء لليازجي تحت عنوان « رحلةٌ في بلاد المكسيك بامضاء ج ن قال ومتى أرخى الليل سُدوله يقف الشاب تحت نافذة الحبيبة ويناجيها بأشواقه ومذ ذاك يصير المغرب والنافذة موعد التقاء الحبيبين فيقضيان الساعات إلى ما بعـد منتصف الليالي على هذه الصورة غير مباليين بالبرد ولا المطر وبعد أن تمرّ عليهما عدّة أشهر فاما أن يقترنا أو أن يفترقا إلى ما شاء الله وهذا ليس مما يقع في الندور ولكنها عادة جارية في البلاد فانك لا تكاد تمرّ في أحد الشوارع بعد المغيب إلا ترى في كل نافذةٍ فتاةً وتحت كل نافذةٍ عاشقاً وربما وقفت اثنتان أوثلاث في نافذةٍ واحدةً وكان الخُطَّاب كذلك وهم كما ذكرنا في الشارع العام وهذه الحسنةُ أيضاً اقتبسها المكسيكان عن إخوانهم الاسبنيول وهي كثيرة الشيوع في اسبانيا حتى أن نابليون الثالث خطب الكنتس دي مونتيخو من النافذة وهي التي صارت بعـد ذلك الأمبراطورة اوجيني واغتـاطيوس لويولا أدلت اليهِ خطيبتهُ حبـلاً فصعد إليها إلى النافذة ثمَّ انتهى أمرهما بالتقاطع وعلى أثر ذلك إنخرطَ في سلك الجندية ثم أنشأ شركة الجزويت المشهورة » على أن بعض المعاصرين لها يذكرون أن عبده لم يُقدم على طلب الاقتران بها إلا تفادياً من منافستها له في الغناء وهـذا أمر مُستبعد لما أنهُ برّز تبريزاً عليها وعلى سواها بما أوتي من علوّ الصوت ودهاء التصرف في الالقاء ولم يكن جمالها هو وحدهُ الباعث على الزواج بها فانه آثر فيها جمال النفس وكمال الخُلُق وذكاء الفهم وقوة الجاذبية وكانت ألمظ عالمة بهذه المزايا التي اختصَّت بها والتي جعلت لها هذه المنزلة في قلبه فكانت لا تتأخر عن استخدامها لتبعث في نفسه روح الإقدام على مصاحبتها وتُضرم في فؤاده نار الحب

ومما أثبتهُ التاريخ أنّ الغناء كان في زمن الجاهلية من خصائص الاماء وتسمى عندهم الأمة المغنية بالقينة والكرينة وأولُ من غنى من الاماء فيما زعموا جاريتان كانتا لمعاوية بن بكر من قبيلة عاد الهالكة وهما المدعوتان في الأخبار الجرادتين أما الآن فقدأصبح الغناء عظيم القدر في نفوس الملوك والسلاطين تزاوله النساء المثقفات الشريفات النسب والكريمات العُنصر وهو كالشعر لا يحسُن إلا بالتشبيب وقد نقل عنها من الأقوال مايشفّ عما كانت عليه من مُناهب الذكاء وظريف المحاضرة ومن تتبَّع ما كانت محاطة بهِ من حسن عناية ساكن الجنان الخديو اسماعيل وما أسدى إليها من معروف تيقَّن رفعة المكانة التي بلغتها هـذه المرأة ليس بصوتها العذب الأخَّاذ فحسب بل بكرم أخلاقها وطيب خصالها وخِفَّة ظلها ومما ثبت بالدليل المقنِع أن ألمظ لم تُلقِ سترها على بعلٍ خيرٍ من

عبده وأغضى طرْفًا وأجود يداً وأحمى أنفًا وأمنع ذماراً وطوبى لمن آثر الزواج على ثَلْب عِرض مصون وقد زُفّتْ إلى بعلها بين مظاهر المجد والتكريم في مهرجان موسيقي أمّه كثير من الوجهآء والعظمآء والوزراء واشترك فيه عباقرة الفن مطربين وعازفين وقدمنعها من الغناء بعد أن تزوج بها .

افترآء ابراهيم بك المويلحى على الخديو اسماعيل باشا

قد وقفنا في جريدة « مصباح الشرق » بعددها ١٥٥ المؤرخ في ٢٤ مايو سنة ١ سي مقالٍ لابراهيم المويلحي بك - صاحبهـا ورئيس تحريرها - نَسَبَ فيه الى الخديو اسماعيل أمراً لا يتمثل فيه شبه الحق فنحن نتصدّى لدحضهِ ونوردهُ بنصه الآتي - كان (عبده) شهماً غيوراً شريف السيرة يغار لنفسه ولأعراض الناس لا يبالي في ذلك بهول المواقف وفدح الخطوب - أمرالمغفور له اسماعيل باشا ذات ليلة بإحضار (ألمظ) لتغني في بعض قصوره وهو في عزّة سلطانهِ وسدّة بطشـهِ لا يُعصى لهُ في النـاس أمرٌ ولا يخالف هواه إلا من ارتضى لنفسه سُكنى القبور ولا يحلم أحدٌ في منامه أن يقف موقف المُعارض في رغبتـه أو المانع لإشارتهِ -فتوقف المرحوم عبده



سمو الخديو اسماعيل باشا

وكان قد تزوج بها بعد أن منعها عن ممارسة الغناء وأبى أن تخرج من بيته فعاوده الطلب بالتشديد فاستمر على إبائه إلى أن وصل الأمر الى استعمال القوة فأرسل مأمور الضابطة بعض أعوانه الى منزله وأرادوا إخراجها منهُ بالقوة فوقف أمامهم وقفة الليث يحمي أشبال العرين وفضَّل الموت أو النفي عن أن تغني المرحومة لحناً واحداً لأحد وهي في عصمته - ولما لم يُفِدْهُ موقفهُ أمام القوّة فائدة إستمهلهم برهةً ريثما يعود اليهم - فدخل البيت وألقى بنفسه الى حائط الجار وخرج منها الى الطريق لاجئاً إلى صديقهِ المرحوم (الشيخ على الليثي) فكاشفه بما هو فيه من هول الخطْب - وكان هذا الشاعر المرحوم ممن جمع الله لهُ أيضا كثيراً من المزايا الفاضلة والأخلاق الكريمة وأخصّها علوّ الهمَّة والسعي لخير الناس وكان ذا مكانة رفيعة عند المرحوم (اسماعيل باشا صديق) فقام اليه في الحال وتواقع الشيخ عليهِ يلتمس حسن الوساطة لدى ذلك الحاكم القاهر ليرجع في أمره - فقام الوزير من ساعتهِ وقصَدَ مولاهُ وتلطّف لهُ ما أمكن في الاعتذار وما زال بهِ حتى رجع عن طلبهِ ورضي بعصيان عبده لطاعتهِ وخلص المرحوم عبده من هذه الحادثة مُعافىً في نفسه مصاباً في جسمه فقد تولَّد لهُ من إضطراب أعصابه وشدّة ما قاساهُ في هذه النازلة دآء الصُداع فلم يُفارقهُ طول حياتهِ وكانت إذا إعترته نوبتهُ ألقته على الأرض صريعاً يتخبَّط فى أشد الآلام لا يكاد من يراهُ على تلك الحال يُصدّق بنجاته منها فاذا أفاق لَزمَ الفراش من عِظم وقعها مدة طويلة - ولم ينجع فى ذلك الدآء معالجة الأطبآء »

كان لأسرة المويلحي بدمياط مصنعٌ عظيم للحرير ولما زَيَّن سماسرة السوء لابراهيم بك المويلحي دخول بورصة القطن في الاسكندرية طلباً للثروة دَخَلها وخَسر كل ما كان يملكهُ وكان من أمره ما جرَّ المصنع الى شفير الافلاس . ولما كان الخديو اسماعيل يرغب إنمآء لثروة البلاد في إحيآء الصنائع وترغيب الأغنياء في إنشاء المعامل والاستغناء بمنتجاتها عن المصنوعات الأجنبية مدَّ اليه يد المعونة وأجزل له من الهبات ما ردَّ الى المصنع مكانته الأولى وجعله يستأنف عمله أما المويلحي بك فكان مِلحُهُ على ركبتيهِ لإنكاره جميلهِ ونشرهِ افترآآت لا تستند الى أساس على الخديو اسماعيل الذي هو برآء منها برآءة الذئب من دم ابن يعقوب لا لغرض سوى النيل منه والتقليل من أهمية أعماله العظيمة وقد أشاع هذه الأكاذيب في بعض الأوساط وعبده في قيد الحياة فأنكرها هذا الأخير كل الانكار وعزى اختلاقها الى مآرب ذاتية ولو كانت بوجه الافتراض صحيحةً لما تخلَّفت الجرائد أنفسها عن نشرها وقد سألنا عنها بعض معاصريّ عبده أمثال المرحومين

مخائيل بك تادرس والشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب ومحمد الشربيني العوّاد واحمد حسنين فانكروها وعدّوها من أحاديث المُرجفين

ولقد كنا لا نتوقَّع بعد الذي ذكرناهُ من العطآء الجزل الذي غمرهُ به الخديو اسماعيل أن يرميهُ بثالثة الأثافي بعد موته ويتهمه بالاعتدآء على حرية زوجة عبده الحمولي الذي كان مطربه وأنيسه .

ومما يُؤسف لهُ أن نَقَلَ كامل الخُلعي الموسيقار عن « مصباح الشرق » المقال برمَّته وأدرجه في ضمن تاريخ حياة عبده بمؤلفه « كتاب الموسيقى الشرقيّ » من دون أن يتثبَّت أمره ولو فرَضنا انه طلب ألمظ للغنآء في قصره كسابق عوائده وهو لا يعلم بزواجها منه لكان رجع عن عزمه حينما عَلم بانقطاعها عن الغنآء بسبب الزواج في أثناء تشديده في الطلب والواقع أن المويلحي بك نَطَقَ بُطلا على الخديو على أننا ما كنا نود أن نتفرغ للاهتمام بهذه المسئلة وندرج مقاله في هذا الموضع لولا خوفنا من أن يتمادى غير كامل الخلعي في التسرُّع في نشر الخبر ويكون ذلك مدرجةً الى ذيوع الكذب بما يتعذر اجتنابه ولا يفوت القارئ الكريم ان ما قصدناه من دحض هذا الافترآء انما كان إحقاقاً للحق وخدمة للتاريخ وكبحاً لجماح المفسدين من دون أن نسعى بالمويلحى وننال منه وهو كاتب كبير وصُحُفيٌّ حريٌّ بكل تقدير وصديق حميم لفقيد الفن

ومن تصفَّح تاريخ الخديو اسماعيل أيقَنَ انه وأيم الله أبو الدستور ورمز الديمقراطية وكيف لا وهو منشيء مصر الحديثة وناشر العلوم والمعارف ومحيي الفنون الجميلة فيها ولو أنصف المؤرخون فى حكمهم لآثروا المئة والاثنتيّ عشرة ترعة التى حفرها الخديو اسماعيل على الأهرام التى بناها ملوك الفراعنة لا لسبب سوى دفن موتاهم وشتان ما بين ترع حُفرَتْ لإحيآء بلدٍ مواتٍ وأدرَّت على الأهلين الخير والبركات وبين بنآء ضخم شاده عظمآء الفراعنة وتمثلت فية صورة الرقّ والاستبداد وسألت فوق جدرانه دماء كثير من العباد ولو كان مهوى أفئدة الزوَّار والسيّاح الآتين من الأقطار البعيدة

وتأييداً لما قررناه نورد ما ذكره أمبير العالم الفرنسي في كتاب « المعارف الأولية للتاريخ العام » الذي وضعه أمَّان وكوتان من أن الحجارة التى بُني بها أكبر اهراميّ الجيزة البالغ ارتفاعه ١٥٢ متراً وطول كل جانب من قاعدته ٢٢٣ متراً تكفي لبناء سور حول فرنسا علوّهُ متران على حد ما ذكره هيرودوطس المؤرخ معرباً بامضاء حبيب اليازجي في مجلة الضيـاء وهو أن العاملين فى بناء الهرم الأكبر كانوا مئة ألف شخص أقاموا على بنائه مدة ثلاثين سنة منها عشر سنوات قضوها فى تمهيد طريق مائل لجرّ الحجارة اليه من سلسلة الجبال العربية والعشرون سنة الباقيـة قضوها فى البنآء .

ويُقدَّر أن حجارة هذا الهرم على فرض كونه مُصْمتاً تكفي لبناء سور علوه ثلاثة أمتار وثخانته ٢٣ سنتيمتراً وطوله ٤٧٠٠ كيلو متر أي يكفي لأن يقطع افريقيا كلها من الاسكندرية الى شاطىء غينيا. وقد أكثر الباحثون من التقديرات في الغرض من بناء هذه الاهرام فمنهم من زعم ان الغرض منها استعباد الشعب وكدّهم في الأعمال ومنهم مَن قال ان المقصود منها كف هجوم الرمال عن الأراضي العامرة وقال قومٌ أنها بُنيت لخزن الطعام وقال غيرهم انها كانت بمنزلة منائر توقَد النار فى قمّتها فتُرى على مسافات بعيدة وقيل غير ذلك والصحيح على ما أثبته المتأخرون أنها بنيت لتكون مدافن الملوك على أن منهم من يذهب الى انه كان يُقصد منها مع ذلك غرضٌ فلكيٌ ولو على سبيل الرمز» انتهى

على أننا تصفَّحنا ما وسعنا تصفحه من دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ومن تاريخ اسماعيل الخديو المفترى عليه الذي وضعه بيير كارابيتيس الأمريكي القاضي بالمحكمة المختلطة سابقاً رحمه الله فاستخلصنا منهما أن الخديوي لم يدخر وسعاً فى الاضطلاع بخطير الأمور وجلائل الأعمال في سبيل إسعاد الأهلين بانماء الثروة واحياء الصنائع ومنع السخرة ومحاربة النخاسة مما قضى فيه ولا ريب أشد العناء وَبذَل من الجهود الجبارة في التنقيب والامعان فى ادخال التمدن الغربي الى مصر واستعمال التعاليم والقوانين المقتبسة عن أوروبا التي تلائم البيئات المصرية ولا تنافى قوانين الشريعة الإسلامية السَمْحة وكفاهُ بذلك فصلاً يشهد له ببعد النظر والاخلاص فى خدمة الوطن ورُقيّ أرض الكنانة وتمدنها فى عصره الزاهر وكأننا بها قطعة من أوروبا على ما جهر به مراراً وزيادة على ذلك فانه انتهز مدة حرب الولايات المتحدة الفرصة في زرع القطن الذي استخرجت منه الأهالي منافع جمّة وكذلك قصب السكر الذي بات الى وقتنا هذا أرجى منفعةً منه بعد نهاية الحرب في كثير من السنين

وأعظم من ذلك فانهُ في مايو سنة ١٨٦٦ اعترف له الباب العالي بحقّ وراثة الأسرة الخديوية وأصدر بذلك فرماناً سلطانياً وفي نوفمبر من السنة نفسها أنشأ مجلساً استشارياً سالكاً طريقة برلمانات أوروبا الغرض منهُ الاهتمام بجباية الأموال الأميرية وأصلاح دوائر القضاء وشؤون الري والأنظمة الادارية وقد أنشأ ميناء الاسكندرية ومجلسها البلدي والقومسيون الذي يُعين فيه الأعضاء بالانتخاب وأحلّ محلّ القضاء القنصليّ المحاكم المختلطة ومدّ السكك الحديدية والتلغراف وأمر بشراء مدرَّعات وبنادق وابتداء من سنة ١٨٧١ وما يليها إلى سنة ١٨٧٦ إمتدَّ سلطانهُ إلى أعالي النيل في نواحي دارفور وكردفان والفايزوغلو على البحر الأحمر حتى حدود الحبشة والبحيرات الداخلية

وبلاد الصومالي وذلك بفضل جهود صموئيل بيكر وغردون الصادقة وحسن إدارتهما

ومن محاسن الاتفاق أن تتحقق في عيد صاحب الجلالة الملك فاروق في يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٤٧ غاية جدّ جلالته العظيم ساكن الجنان الخديو اسماعيل الذي أصدر أمراً عالياً في ٢٣ ابريل سنة ١٨٧٩ بانشاء مجلس شورى الدولة الذي فكّر فيه بثاقب رأيه لخير شعبه وأن يتم مابناهُ جدّه بافتتاح مجلس الدولة اليوم رسمياً لكي تصل البلاد على يديه إلى معارج الفلاح وسموّ المكانة بنشره ألوية العدل في ربوعها وتوفير أسباب السعادة والهناء للأهلين كافةً

ومن عظيم مايُذكر في هذا المقام ماجاء في كلام السير صموئيل بيكر من الحُجَج القواطع المؤيدة لأصالة رأي الخديو اسماعيل وواسع درايته وصدق عزيمته للصعود بشعبه إلى فروع العُلى في زمن قصير من عهده وها كم نصه الانكليزي

Ismail Pasha was in advance of his age. He resolved upon the rapid accomplishment of a work that would require many years of patient and gradual labour. He determined to connect the Sudan by railway with Lower Egypt and thus to open those hitherto excluded tracts of fertile country to the commerce of the world. His plan embraced vast projects His reign was a gallop at full speed. He was the moving spirit of progress. and again:— Those great works emanated from the brain of Ismail Pasha who accomplished in seventeen years more than had been achieved in Egypt since the days of the Arab conquest. The American Consul - General, whose report has frequently been referred to, agreed, in substance, with Sir Stephen Cave, for he advised his Government that at any moment. Egypt can recover herself by stopping her extraordinary expenditure on public works and internal improvements and practising ordinary economy

واليكم ما تعريبهُ — كان اسماعيل باشا سابقاً لزمانهِ وقد صمَّم على عمل أُحتيج فيه الى بذل جهود طويلة متواصلة في خلال عدة سنين لابرازه سريعاً الى حيز الانجاز ومما قرَّرَهُ وصل السودان بمصر السفلى بمدّ السكك الحديدية ليفتح بذلك مناطق متباعدة من البلاد الخَصْبة للتجارة العالمية وكانت خطتهُ تشمل مشروعات ذات اهمية عظيمة كما كان حكمهُ حثيث السير ويرجع الفضل فيما بَلَغَ اليهِ من التقدُّم الى روحهِ الوثَّابة ثمَّ أردف صموئيل بيكر قائلاً : أنَّ هذه الاعمال العظيمة صدرت عن ذهن وقَّاد لاسماعيل باشا الذي أتمَّ في خلال سبع عشرة سنة من

الأعمال أكثر مما تمّ منها في مصر منذ عهد فتوحات العرب

على أن رأي القنصل الأمريكي ورأي السرستيفن كيف اجتمعا على جوهر المسئلة تماماً طبقاً لما جاء بتقرير الأول منهما مما أشير اليه غير مرّة ومؤداهُ « أن مصر تستطيع في أي وقت كان أنْ تستردّ مكانتها إذا منعت الانفاق الباهظ على الأشغال العمومية والاصلاحات الداخلية ولزمت مناهج الاقتصاد » .

والدليل الفاصل على حكم الخديو اسماعيل الزاهر ما جاء بحكم السر فيرمان القنصل الأمريكي الوارد فى تقريره الرسمي المؤرخ في ٢٧ يونية سنة ١٨٧٩ . - نورده بنصه الانكليزي .

" There will be different opinions not only as to the merits and demerits of the reign of Ismail Pasha, but also as to the arbitrary act of the powers in procuring his deposition or abdication without any request of his own people and against the wish of all the leading personages of the State, civil, religious and Military " However much may be said against him, one thing is beyond dispute: Egypt, during the sixteen years of his reign, has advanced more in all that pertains to modern civilization than in the hundred, or perhaps five hundred years next preceding and more than it will be likely to advance for a long time to come; and for this advancement the country is almost wholly indebted to him.

وإليكم ما تعريبهُ « لايخفي أن الناس قد تشعبت آراؤهم وتباينت أقوالهم ليس فيما لحكم اسماعيل باشا من حسنات أو سيئات فَحَسْبُ بل فيما أجرته الدول من الاستبداد في أمرعزله أونزوله عن العرش بدون حصولهم على أي قبول من شعبه بالأخص وبرغم إرادة رؤساء الدولة العظام سواء كانوامن رجال القانون أو الدين أو الجنديّة .

وبرغم مايحتمل أن يؤآخذ به كثيراً يوجد أمرٌ واحد بعيد عن مُعترَك الظنون ألا وهو أنّ مصر قد بلغت مدة الست عشرة سنة من حكمه من الحضارة والتمدن أكثر مما بلغته المدنية الحديثة مدة مئة سنة وربما مدة خمس مئة سنة تأتي بعدها وأكثر مما يمكن أن تبلغه في المستقبل البعيد وهذه البلاد تدين على الأكثر بتقدُّمها إلى حكمه .

وبعد تمحيصه الحقائق في هذا التقرير استطرد القنصل الأمريكي وقال مايأتي بنصه الانكليزي

„Unfortunately for His Highness personally and perhaps for his country, he had seen too much of Europe and had conceived the idea that a great African State

perhaps Empire, could be established on a European model on the banks of the Nile and extending from the Mediterranean to the Equator

" It is easy, as the world's history shows, successfully to plant new colonies, but to create new and vigorous states by engrafting modern civilization on the stocks of old ones, is an experiment the possible success of which remains to be demonstrated. No one has tried more faithfully and persistently this process than the Khedive, and he has attainsd a certain measure of success, but in so doing he has incurred an immense debt and ruined himseif.

واليكم ما تعريبهُ : - واسوء طالع سموه شخصياً ولبلده فيما نظنّ أن رأى في أوربا الشيء الكثير فعزم على انشاء دولة بل امبراطورية على غِرار دول أوربا فوق ضفاف النيل تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى خط الاستوآء .

على أنه من السهل كما أبانه التاريخ إنشاء طوارىء جديدة بكمال النُجح إلا أن تطعيم ممالك قديمة بالمدنية الحديثة لتصير جديدة وعزيزة الجانب أمرٌ دونهُ خَرْط القتاد فاذ تقرَّر هذا عُلم منه أن الخديوي هو الذي انفرد بتجربة هذه الخطة التي رآها أقرب اليه من حبل الوريد بعد أن عزَم عليها عزْمًا لا رجوع فيه إلى أن مالأه الدهر إلى حد ما على إدراك مبتغاه ولكن بعد أن تعرَّض لديون باهظة ووقف من مركزه الماليّ على شَفا جُرف هار وقد أنحى القاضي فرمان باللوم على مضاربيّ الأوراق المالية ورجال الدعوة (البرو اجندة) الصحفية لاستدراج اسماعيل باشا في هوّة السقوط وإليكم ما قاله معرَّبًا بتمامه ليس من غرضي الآن البحث فى تفاصيل الدين المطلوب من مصر أو الأسباب التي أدتّ إلى سقوط الخديوي إلا أني أزيد في ذلك على أن الحرب الصحفية التي قامت ضده في أوربا في خلال السنتين الأخيرتين بنوع خاص بواسطة نفوذ فئات من كبار المضاربين في الأوراق المالية ومالهم من جاه وثروة قد ولَّدت رأيًا خاطئًا ضده بين الناس وسبَّبت خسائر جائرة في الغاية ولو سلَّمنا أن حكم أي أمير شرقي لا يخلو من شطط غير أن سقوط الخديوي لم يكن مطلقًا أو فقط معزواً إلى حد قريب إلى الأسباب التي إتخذتها الصحافة مواضيع لمقالاتها الرئيسية التى أُجْريَ نشرها في مصر منذ بدء الأزمة المالية .

على أنه لم يُشرع مطلقًا في البحث عن حال هذا الحكم الذي حُفظ في دفترخانة الحكومة الأمريكية منذ أكثر من نصف قرن .

فبقى الآن أن ننبه القارىء إلى أن المؤرخ الذي لايزال في عالم الغيب إذا سلَّم بنزول اسماعيل

عن العرش قهراً باعتباره نتيجة محتومة للأحوال التي قضت بنبذه نبذ النواة فانه لايتفق على الطعن في شهرة الخديوي إذا تصفح كل الوقائع ويثور على المطاعن التي نعاها عليه كلٌّ من اوكلاند كولفن والفيسكونت ملز وإرل اوف كرومر والمركيز اوف زنلاند وعدّة مؤلفين من الانكليز والفرنسيس الذين جروا على مناهجهم فاذا فعل هذا الأمر بهذه الكيفية تمثّلت في عقله كلمات شكسبير القائلة – الصيت الحسن للرجل أو المرأة يامولاي العزيز هو جوهرة النفوس المباشرة ومن يختلس كيس نقودي يختلس تافه الأشياء وكأني به شيء ولا شيء قد كان الكيس لي فصار له وهو لايزال عبداً لألوف منه إلا أن من يُضيّع لي صيتي الطيب يسرق مالا يغنيه ويجعلني فقيراً حقاً هذا ما أمكن استخلاصه من تاريخ الخديو اسماعيل المُفتَرى عليه ومما أخذناه عن أوثق المصادر وأصدقها ذكرناه في سياق مقالنا الخاص بدحض مزاعم ابرهيم بك المويلحي ليكون الأهلون على بينة من الحكم الزاهر للخديو اسماعيل باشا الذي ترك في مصر آثاراً باهرة تنشدها عنه بلسان الحال

ان آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

خواطر وحكم (تعريب المؤلف)

- يستطير فؤاد الجبان ذُعراً حينما يرى ريشة لطائر بخلاف الشجاع فانه إذا رأى قلعة حصينة لا يقيم لها وزناً
- تأمل من جميع الوجوه أمورك ملياً ولا تسهُ عن الدأب على العمل في الوقت نفسه لما أن المريض قد يموت حالما ينهمك الطبيب في بحث حاله
- ينتهي الامعان في الضحك إلى إبداء تنهد عميق لأن في أسفل كأس اللذات عُكارة مهما بلغت ظواهرها من روعة ووضاءة
- إنما العبرةُ بعدد الكُتُب التى لها عليك سلطان لا بالمقدار الذي تقتنيه منها
- مما يجب عليك قبل أن تعرف الأمر حقّ معرفته أن ترتاب فيه وتُقلِّبهُ بطناً لظهر
- نزع السلاح عن أيدي الشعب أمر يسير ومن الصعب نزعه عن عقله لأن الوقوف على ما يجب الذود عنه يُعد شرطاً أولياً في الدفاع
- تُعدّ الحرب التى تنشب بين الأمم من أفحش الأخطاء على حد النزاع المدني الذي يقع بين الناس في الداخل فانه مما يؤسف له كل الأسف

مراد بك فرج

يحثّ المؤلف على الاستمرار في خدمة الفن

وردنا خطاب من حضرة مراد بك فرج المحامي أثبتناه لاهميته وطرافته وهو كافٍ في مقام التبصرة قال : -

حضرة الأستاذ قسطندي رزق تحية وسلاماً و بعد خذ في طريقك أيها المردّد صوت الغناء وذكرى المغنين لا تتراجع ولا تنكص الى الوراء ولا يُغضبك ما تراه من بعضهم من طرف خفي أو ما تشعر به منهم من الاتجاهات الى الاشمئزاز أو التأفف لما يرونه منك من الجمع بين المغنين مع اختلافهم ديناً أو عقيدةً فما للعقيدة أو الدين من دَخْل في الفن الجميل وذكرى أصحابه وهم في جوار الرحمن الرحيم فوالله اني لأسمع الصوت العذب والتوقيع المطرب المشجي فتأخذني هِزَّة الطرب وأكاد أطير بروحي الى من أسمعه تقديراً واكراماً في نفسي لا أنظرُ الى ما هي عقيدتهُ أو مِلَّتهُ فالطربُ فوق الدين أو العقيدة فهو تجرد من كل شيء يقف في طريقه ويحول بينه و بين الإعجاب البريء وهذا داود قبل المسيحية والإسلام وهذه مزاميرهُ وهذا صوتهُ الجميل الأخَّاذ بمجامع القلوب وهذا مزهرهُ يردُّ بهِ غضب شاؤل الملك عنه و يقلب حقدهُ عليه رضىً وحسدهُ له إعجاباً وهي هِبة من الله يأتيها من يشاء لم يختص بها أحد لدينه أو عقيدته بل هي تولد مع الوليد الطفل بل أنها تُخلَق في الجنين وهو في بطن أمه لم يزل وهذه سارة برنار ملكة الممثلات فى العالم كله ونادرةُ النوادر كلها لم يأت لها الدهر بمثيل أو نظير تترامى عليها الملوك ولم يتأثر فنُّها بما لها من عقيدة حطّاً أو رفعاً. وهذا أمين بزري ملك ملوك من نَفخَ بالقصب يَكادُ بصفيره الساحر يوقف الطير فى تحليقاته و يشغل الأسد على فريسته . وهذا الاخطل الشاعر الفحل كان يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن والصليبُ معلقٌ على صدره ولحيتهُ تقطر خمراً وكان الأمير يتقبلهُ قبولاً حَسناً اكراماً لشعره الفذّ وتقديراً لما وهبه له الله من الفنّ الجميل واذكر انه دخل عليه مرة وطلب أن يشرب قال فاسقوهُ ماءً قال شراب الحمير وعندنا منه كثير قال فاسقوه لبناً قال عن اللبن فُطمتُ قال فاسقوه عَسَلاً قال شراب المريض قال فتريد ماذا قال خمراً قال أو عهدتنا نسقي الخمر تالله لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت فيا لها من مكارم في الأخلاق و يا لها من حرية يذوق بها الانسان طعم الحياة

واذا رأيت أيها المؤلف الأديب ما رأيت من قلة الإقبال على ترديدك وتخليدك ذكرى الغناء

والمغنين فلا ينقص هذا شيئاً من جِدِّك واجتهادك وشعورك المملوء بالطرب والإعجاب وانهُ لتسجيلٌ للدهر وتعاقب الأيام ورُبَّ شيء لم يؤت أُكُلَه في وقته ويأتي عليه وقت يُبعث فيه من رقدته وينهض من غفوته كأنما هو وليد جديد والأيامُ لادوام لأخلاق أصحابها ولولا توارُث لهذه الاخلاق فلا بد من أن يفوق الطرب كل شيء وهذه الطيور تغنّي وتغرّد ونُعجبُ بها وهي أضعف المخلوقات ولا يمنعنا عن الإعجاب بها انها عجموات

ان الوقت الذهبيّ الجميل السارَّ للروح والقلب انما هو ما فيه تجد الأرواح تأتلف والقلوب الى بعضها تنصرف لا ينظر أصحابها إلا الى شيء واحد هو الانسانية وما أوتيته من سرّ جميل وفضل نبيل أما الدين أو العقيدة فلله وحده وهي شيء مضاف لا علاقة له بما للانسان من مزيَّة خاصة وفضل خصيص

وانك لتظلم نفسك وتظلم الفن وأهله اذا إلتفتّ فيه الى ما هو للموهوب الصوت مما هو منسوب اليه من العقائد الدينية

واني لاغار على الفنّ الجميل أن يتطرق ما قد يقصد به الخدش لقدر المغني وجمال ألحانه بما قد يرد في الذهن من أنه من دين كذا أو لا من دين كذا كما قال الشاعر

واذا كرهت فتى كرهت حديثه ... واذا سمعتَ غناءه لم تَطربِ

ولقد ظلمت نفسك باختيارك هذا الموضوع مسرحاً للتسطير والتحبير ومجالا للكرّ والفرّ وهو لم ينضج بعد من جهة كونه فوق كل اعتبار آخر يُنظر اليه ولكن كفى انك لا تعدم حاكما عدلاً ومنصفاً كريماً لا يزوغ عن الحق ولا يراوغ فيه فيقبل للفنّ واصحابهِ وينظر اليهِ واليهم نظراً مجرداً إلاّ من التقدير والاكرام وفي طليعتهم الملك المحبوب الموفور حظ النظر الثاقب البعيد أطال الله حياته آمين م؟

صراد

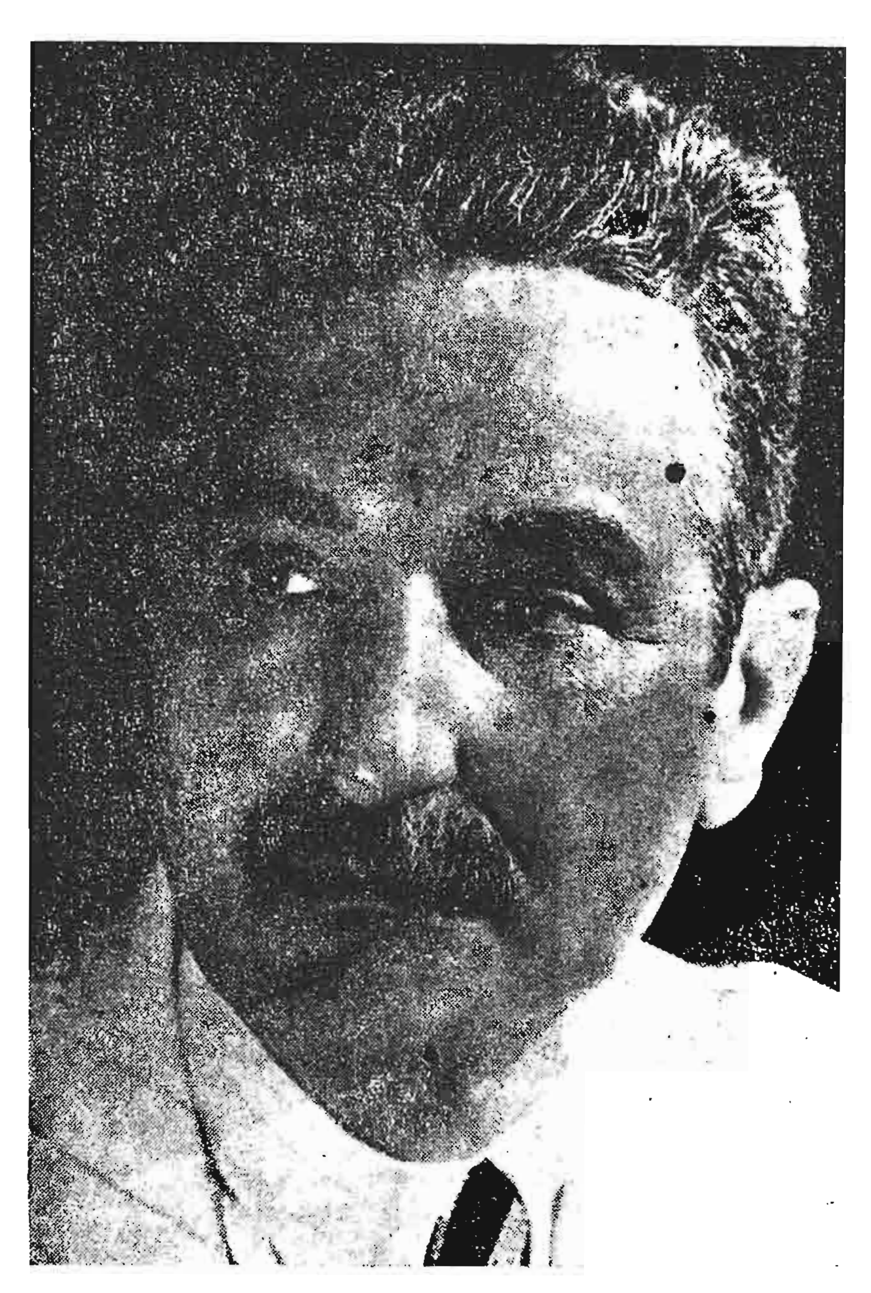
أوفى اصدقآء الانسان أصابعهُ العشر – روبرت كولاير

إن الذين يعرفون الصدق لا يُحاكون الذين يُحبونهُ وأن الذين يحبونهُ لا يُشبهون الذين يجدون به بهجة – كنفوشيوس

نحن نقدر لأننا نعتقد أننا نقدر – فكتور هوجر (تعريب المؤلف)

الموسيقى

للكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد



تلتقي الفلسفة العالية بالموسيقى في أن كليتهما تترجم للانسان عن وحي البداهة ولغة الحياة في وجداناتها العميقة فلا يعلم لحقائق الفلسفة العالية برهانا من اقتناع البديهة ولا يعرف للطرب الذي تُنير به الموسيقى سرائر حياته تعليلاً غير ذلك الاحساس البديهي . ولهذا التشابه قرنّا في هذه القصيدة بين المعرفة والموسيقى : –

معلمةُ الانسان ما ليس يعلمُ وقائلةٌ ما لا يبوحُ به الفمُ
وكامنة بين النفوس بداهة وما علمت فى مهدها ما التكلمُ
ومخرجة الأوهام من ظلماتها على أنها من سطوة النور تُحجمُ
ومُسمعةُ الانسان أشجان نفسه فيطربهُ ترجيعها وهي تُؤلمُ
أعيدي على القول انصت واستمع حديثًا لهُ فى نوطة القلب مِيسَمُ
حديثًا يناغيني وأذكر أنني تسمَّعتهُ والقلب وسْنان يحلمُ
وأوغلُ بالذكرى فأزعم أنَّهُ قديمٌ كعهد القلب أو هوَ أقدمُ
ويا ليتني أدري أنفسٌ سحيقةٌ تنادين منها أم فؤادي المُكلَّمُ
كأن لنا نفسين نفسٌ قريبةٌ وأخرى على بعد المزار تُسلِّمُ
أعيدي على الصوتِ انظر لعلنى أرى في ثنايا اللحن ما يتوسمُ
ويارب وجه يطرق السمع حسنهُ إذا غنَّت الأوتار أو يتنسَّمُ
ووادٍ كوادي السحر فجَّرت ماءه ونفَّرت من أطياره ما يحوّمُ
ورادتهُ أشكال الجمال كأنها خيالات أحلامٍ دعاهن توَّمُ
يهبُّ علينا عَرْفهُ ونسيمهُ وتسترسل الأحداق فيه وتنعمُ
يُمهِّدهُ اللحن الشجيُّ وينطوي عليه حجاب الصمت مِن حيث ينجمُ

***

أملهمة الانسان ما لا يزيده فصيحٌ ولا يُزري بمعناهُ أبكمُ
اليكِ تناهى كل قول ومنطق فسيان منطيقٌ لديك وأعجمُ
إذا ما أبان القول مبلغَ علمه فقولك عما ليس يدري مترجمُ
ويكذب إلا أنهُ حين ينتهي إلى الشدو لا يهفو ولا يتكتمُ
وما المطربُ الشادي ببدعٍ لحنهِ ولكنهُ شبَّابةٌ تترنمُ
ألا حدِّثينا عن إله نحبهُ ونعبدهُ حبًا ولا نتأثَّمُ
وما كان للوحي الالهيّ مسلكٌ إلى القلب أشجى من صداكِ وأكرمُ
حديثك من كل اللغات منظمٌ ومعناكِ في كل النفوس مُقسَّمُ

فالوحش فيه والاناسيّ عولةٌ — وللنار والأعصار فيه تهزّمُ
جؤارٌ كأن الطودَ منهُ محركٌ — وخفقٌ كأن النجمُ منه مهومُ
وهمسٌ كهمس الجن في خَلَوَاتها — له رعدة في الجلد ينكرها الدمُ
وبثٌ يسيل الدمع من قنواته — وحثٌّ يهيج النفس فهي تضرمُ
تظلُّ بقيد اللحن في ثورانها — إلى الغمر تهوى أو إلى النجم تقحمُ
ولا مهجةٌ الا لصوتك مسربٌ — إليها وسلطانٌ عليها محكمُ
تَوَخَّتْكَ أسراب النفوس كأنما — على كل لحن ماردٌ لك يخدمُ
فمنْ لم ترضهُ الريح راض جماحهُ — نسيمٌ كنفث الروض أو هو أرخمُ
مُحَلِّلُ من أضغانهِ فكأنهُ — أبٌ يتلقاهُ ابنهُ المُتبسّمُ
يهزّنَ أعطافَ البخيل فيكرمُ — ويصغي إليكِ المشمخرُّ فيرحمُ
ويسمعك الواهي الجبان فينثني — إلى الحرب شيطاناً على الموت يهجمُ
ويضحك الشيخ الجليل وقارهُ — وقاراً شراهُ بالصبا وهو قيمُ
وتسلمك الأبدان عفو حرا كما — كما انقادت الأغصان والريح تنسمُ
ويسعدُ منكِ الواهون ببلسم — الأرْب جرح لا يداويهِ بلسمُ
ويارب مجهود تخللت جسمه — بعزمٍ كرجع الروح والموت مُبرمُ
فجددته لما وهي نسج نفسه — بنسجٍ من الألحان يصفى ويحكمُ
فياربة الألحان لو تسمعينني — أمنكِ السجايا الغرُّ أم هن منهمُ
ويا ربة الألحان هذى قلوبنا — فانت بها منا أبرُّ وأعلمُ
أفيضي على قلبي السكينة واسكبي — عليه رضى أني على العيش أنقمُ
هل العيشُ إلا نغمةٌ قد تعارضت — مذاهبها فهو الشتيت المنظّمُ
جمالٌ وقبحٌ في الحياة ورفعةٌ — وخفضٌ وعرفانٌ وجهلٌ مُخيّمُ
بذا فرق الدنيا فألّف بينها — إلهٌ على أفعاله ليس ينـدمُ
واحسب لو أنّا حللنا بجنّةٍ — خلوداً لشاقتنا هناك جهنمُ
تهونُ الرزايا إذ تطولُ عهودها — وكل نعيم طال يجفى ويسأمُ
كذلك موسيقى الحياةِ وإنها — لصوتٌ على أسماعنا متقدّمُ

الكروان (له أيضاً)

هل يسمعون سوى صدى الكروانِ   صوتاً يرفرف في الهزيعِ الثاني
من كل سارٍ في الظلام كأنهُ   بعضُ الظلام ، تضله العينانِ
يدعو اذا ما الليلُ أُطبقَ فوقهُ   موج الدياجر دعوة الفرقانِ
ويشبُّ في الجوّ السحيق كأنهُ   يبغي النجاة الى حمى كيوان [1]
عاف التجمل فهو في جلبابهِ   فانٍ يُرتّلُ كالأبيل الغاني [2]
ما ضر من غنى تجمل غنائه   أنْ ليس يبطش بطشة العقبانِ
ان المزايا في الحياة كثيرةٌ   الخوف فيها والسطا [3] سِيانِ
سرُّ الحياة فأخبتوا وتخشّعوا   سرٌّ يزيغُ بصائر الأذهانِ
ان الحياةَ تصولُ صولةَ ضيغمٍ   مثلَ الحياةِ تنوحُ نوح جبانِ
يا محيي الليلَ البهيم تهجداً   والطيرُ آويةٌ الى الأوكانِ [4]
يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً   من نابغ في غمرة النسيانِ
قل يا شبيه النابغين اذا دعوا   والجهل يضرب حولهم بجران [5]
كم صيحةٍ لك في الظلام كأنها   دقاتُ صدرٍ للدجنّة حانِ
خفاقة النغمات تطفر في الدجى   فوق النسائم طفرة النشوانِ
هُنَّ اللغاتُ ولا لغاتٌ سوى التي   رُفعت بهن عقيرة الوجدانِ
ان لم تقيدها الحروف فانها   كالوحي ناطقة بكل لسانِ
أغنى الكلام عن المقاطع واللغى [6]   بث الحزين وفرحة الجذلانِ
اني لأسمع منك اذ ناديتني   معنى يُقصِّرُ عنهُ كل بيانِ
أصغي اليك اذا هتفت وفي يدي   سفرٌ يُغرّدُ صامت الأوزانِ
شعرُ الطيور ولا رياء يشوبهُ   يُزري ببدعِ قصائد الانسانِ
لا عيب انك في لسانك أعجمُ   اذ كنت ناطق مهجةٍ وجنانِ
والجاهلون بسر ما رجّعتهُ   من نغمةٍ مأثورةٍ ومعانِ

---

(١) عطارد (٢) الابيل الراهب (٣) السطا السطوة (٤) جمع وكن عش الطائر (٥) الجران العنق (٦) جمع لغة

لا يسمعون بسر بين جنوبهـم صمّاً ، وان كانوا ذوي آذان

* * *

ياليت يقنص منك لحناً شارداً حاكٍ يصيـد شواردَ الالحانِ
فأعيد منك على المسامع نغمةً ان روعتك بوارق الادجانِ [1]
ولأ نت أجدرُ ان تقيم بنجوةٍ عنا ، وتنشد فوقنا بأمانِ
حُر القصـائد لا تميل لسامعٍ مرّ الخـلائقِ مطلق الأشجانِ
هيها حكـايتك طلاقةً ومَسَرَّةً من ذا يُحاكي الروض في نيسانِ
من ذا يحاكيهِ وأشبه طلعـة بالروض جانحةٌ الى الهجرانِ
يا ساليًا يشكو ويصدحُ وحدهُ علّم سميرك راحة السلوانِ
جهل لَعَمرك أن يطوِّع صاحبًا من جاهرتهُ النفس بالعصيـانِ
املك هواك فان أطقت فلُمْ فتىً خانَ الودادَ - فلَسْتَ بالخوّانِ

المزمار (له أيضاً)

أيها المستعيـدُ صوتاً شجيًّا حب هذا الفؤاد رجع حنينـهِ
نفثـاتُ المزمار تذكي أواراً رابني طول برده وسكونهِ
وكأن المزمار يذكر عهداً كان همس الصبـا نجيٌّ غصونهِ
عَلَّموهُ وما بهِ من غرامٍ أنهُ الوجد صفوهُ وحزينهِ
أين من زفرة المحبّ نسيمٌ طالمـا هزَّ مهدهُ بيمينـهِ
كان هذا الهوآء طلقاً فلا حبسوهُ أبـكى ببثّ أنينـهِ
أيقظ النفس والخواطرَ وشَى فنزا كل خاطرٍ من كمينه
أنا والريحُ منشـدانِ كلانا يطربُ النـاس من خلالِ سجونهِ

---

(١) الدجن أي الغيم جمعها ادجان

الملكة إليزابيت وشكسبير

معلومٌ أن أفراد العائلات المالكة في العالم يذهبون أحياناً إلى دور التمثيل لمشاهدة الروايات فيها ويندر في الغالب أن يذهب المُمثلون إلى قصورهم المالكية لأجل التمثيل إلاّ في ظروف استثنائية خاصة أما في عصر الملكة إليزابيت فكان الأمر بالعكس بمعنى أن التمثيل الروائي كان في قصرها أكثر مزاولةً وأمكن ألفةً منه في المسارح العامة ويرجع هذا الاختلاف إلى سببين أولهما عدم استيفاء المسارح شروط الراحة وتمام الاستعداد كما هي عليهِ الآن والثاني عدم وجود مشاهد أنيقة تتوافر فيها مزيةً الاجادة في الإنتاج وإتقان التمثيل على أن الرواية التي يُقال لها "Love's Labour's Lost" هي أول الروايات التي أُجري تمثيلها فوق مسرح قصر هوايتهول في حضرة الملكة اليزابيت وذلك في سنة ١٥٩٨ (أو في سنة ١٥٩٧ بوجه التخمين لاختلاف حساب التقويم) في خلال حفلات عيد الميلاد على ما أثبتتهُ لنا السجلاّت التاريخية



الملكة اليزابيت وشكسبير

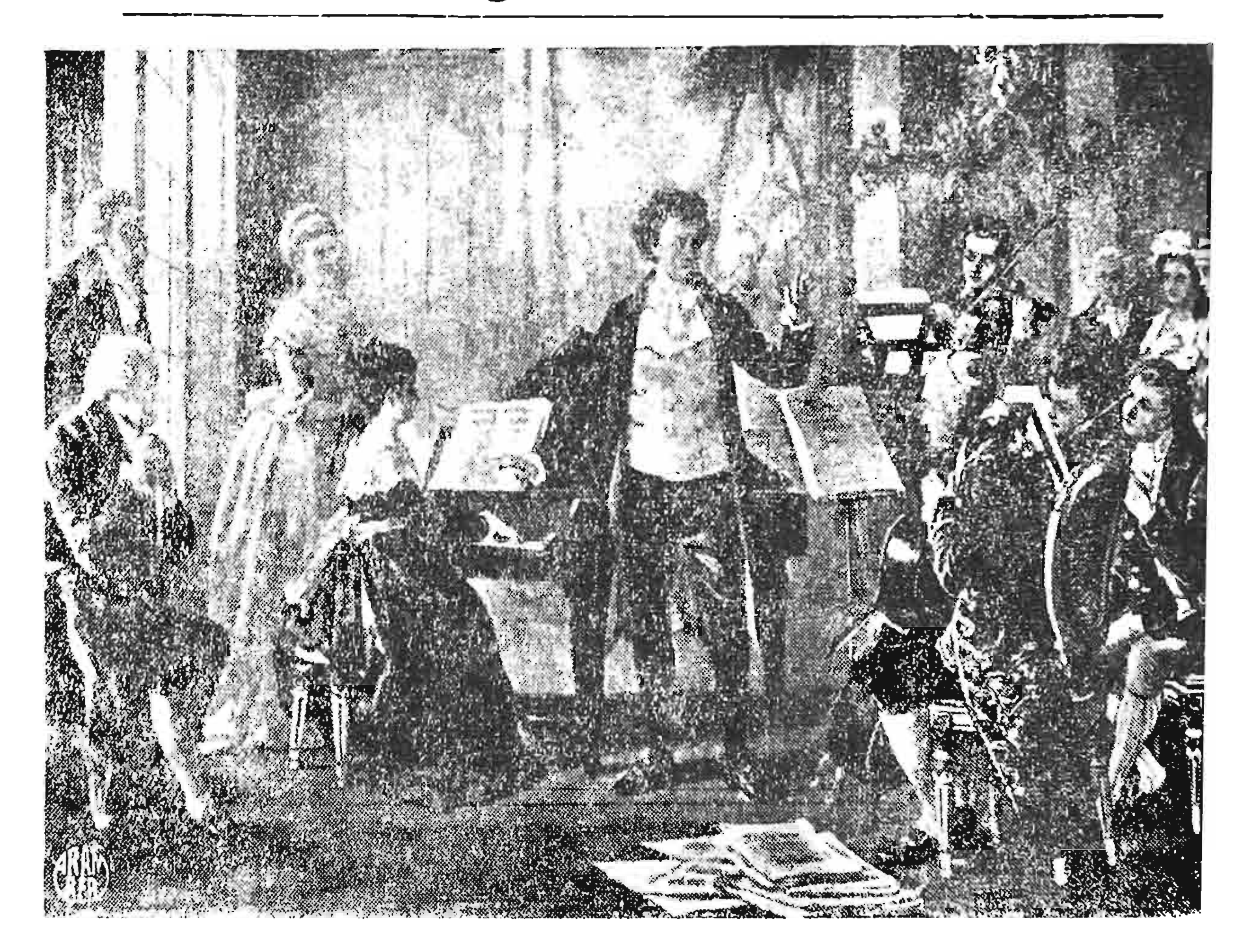
أما الصورة التي أمامك فقد طبعتها شركة رفائيل تاك وولده لتمتد على بطاقات عيد الميلاد لأجل صاحبة السموّ الملكي الأميرة ماري الفكونتيسَّة لاسيل وهي تمثل صورة المسرح الذي وقفَ في وسطهِ أمام الملكة شكسبير الشاعر بصفة كونهِ ممثلاً لأول مرَّة في قصرها الملكيّ وهي تعرفهُ حقَّ معرفتهِ لِما أنه سبق أن قام أمامها بتمثيل عدَّة روايات من نوعيّ «الكوميديا والتراجيديا» وهو مصحوب بكلٍ من وليام كامب ورتشارد بوربيج الممثلَين الشهيرين في النوعين المقدَّم ذكرهما ومما هو جدير بالذكر أن هذه الملكة أخذت على عاتقها منذ هذا التاريخ العناية بأمر هذا المؤلف الروائي العظيم الذي نالت منها روايتهُ المومى إليها حسن القبول وتمام الاستحسان وكيف ولا وقد أبرزها في حلّة من المجاز والكناية مما يؤثر فعلاً على العقول ويأخذ بمجامع القلوب لِما فيها على الخصوص من دقّة الوصف لحياة القصر في نافار

وحسن الاشارة إلى ما كانت عليهِ سيدات وسادة حاشيتها من الميل إلى الطرب والمرَحَ وما تميَّزَ بهِ شعره عند الانكليز وغيرهم من نباهة الأغراض وسموّ المعاني وبلاغة التراكيب .

أما سائر الروايات التي دبَّجتْها يراعة شكسبير في العشر سنوات الأخيرة من حكمها فانها مُثلت في قصور هوايتهول وجرينوتش ورتشموند . اليزابيت ملكة انكلترا وابنة هنري الثامن أنجبتها امرأتهُ الثانية التى يقال لها حنة دي بولين في جرينوتش سنة ١٥٣٣ وماتت في لندن سنة ١٦٠٣ وكانت عند الأميرة ماري تيودور أختها من الأب أحقر من قلامة لاعتبارها أمها نجسة العرض وغيرشرعية منذ سنة ١٥٣٦ فأُشربت بغضتها ونبذتها ووضعتها تحت المراقبة الشديدة الخفية لوريثيّ عرش هنري الثامن المتتابعين وهما أدوار السادس وماري وقد قاست ألوان العذاب وتعرَّضت لأهول الأخطار مدة حكم هذه الأخيرة ومن ثَمَّ سُجِنت في سجن البرج مدة عدة أسابيع واضطُرت الى ترك مذهبها البروتستانتي ولما آل اليها العرش بموت ماري في سنة ١٥٥٨ وجَّهت عزيمتها إلى أمرين أولهما التمسك بمبدأ المحافظين في الداخل والثاني وجوب التدخل في الأمور الخارجية بحجة التظاهر بتوسيع نطاق البروتستانتية وقد حرمت الناس التمتع بالحرية برغم ما كانت تعرض لمساوىء الاستبداد بالنكير .

على أنها لم تدخر سعياً دون تحقيق حُلمها القاضي بانتحال الكثلكة من دون تدخُّل البابا على حدّ مافعلهُ هنري الثامن ومن ثمَّ أخذت تضطهد الكنيسة الرومانية والمعترضين في سبيل عقيدتها المنصوص عليها في القانون الصادر في سنة ١٥٦٣ الذي يعرف بقانون التسعة والثلاثين بنداً وفضلاً عن ذلك فقد خسرت الهافر التى أعطاها لها هوجنوت فرنسا (البروتستانت) فى مقابل ماسبق أن أسدت اليهم من معونة هذا ما أمكن استخلاصهُ من تاريخ هذه الملكة التى طبقت شهرتها آفاق المعمور وهناك مطولات أخر بعضها متعلقٌ بالسياسية وبعضها مبالغ فيه فاضربنا عن ذكرها تفادياً من تشويش ذهن المطالع ولا سيما لكونها غير متصلة بغرض هذا الكتاب على أن هذه الملكة وهي أميرة بالغة سنّ الرشد ونشأت في حجر الحسب ورُبيت في حضن الدلال والترَف ركَبت متن الغرور وهي في سنّ الستين وأحبَّت اللورد إسيكس الشاب وانتهت عما كانت فيه مقتصرةً على أن يُكتب فوق قبرها ما يأتي هنا ضريح اليزابيت التى عاشت وماتت عذراء .

Ci-git Elisabeth, qui vécut et mourut vierge.



موزار يرأس جوقة موسيقية تعزف مقطوعة من تلحينه

ملك انجلترا والملكة وكريمتاهما

يشتركون فى الغناء مع تلاميذ المدارس وفتيان المصانع بمصيفهم فى اسكتلاندا

كان صاحبا الجلالة الملك جورج السادس ملك انجلترا والملكة اليصابات قرينته وصاحبتا السمو الملكي الاميرتان اليصابات ومرغريت يقضون اجازتهم الصيفية في بالمورال باسكتلاندا وقبل عودة جلالته إلى لندن بسبب الحالة الدولية دعا جلالة الملك مائتين من تلاميذ المدارس وفتيان المصانع بالريف القريب من القصر الملكي الى معسكره « ابرجلدي كاسل » - وهو المعسكر الملكي الذي أقيم خصيصاً لجلالته - لينزلوا في المعسكر ضيوفاً على جلالته مدة أسبوع كامل

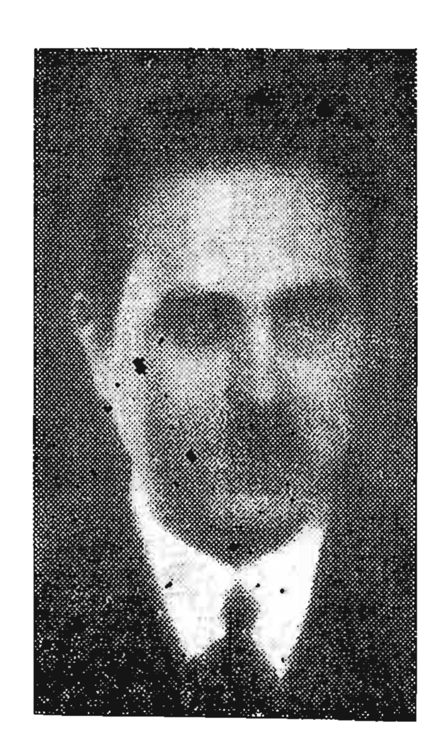
وقد أمضى تلاميذ المدارس وفتيان المصانع الضيوف طوال الاسبوع الاسبق في ضيافة البيت الامبراطوري المالك البريطاني ، وكان أسبوعا شائقاً لم يسبق لاولئك الفتيان أن نعموا بأمثال أوقاته التى قضى جلالة الملك أغلبها في مزاملتهم ومصاحبتهم

نقلاً عن مجلة الصباح الغراء رقم ٦٧٥

الموسيقى فن عالمى

بقلم حضرة الأستاذ الفاضل الدكتور يوسف قابيل الحائز للدكتورية فى العلوم المالية
والاقتصاد السياسيّ والدبلوم فى القانون الدوليّ العام من جامعة ڤينا

أثبت علماء النفس ان الانسان خُلِق وفي صميم قلبه غريزة فعّالةٌ من أول عهده بالوجود - وهي أخص غرائزه سلطانًا عليهِ وأشدّها تأثيراً فيه . . . تلك هي غريزة تأثره بالجمال. وقد ثبت من تحقيق علماء الآثار أن الانسان عَرَفَ فنون الزينة والتجميل قبل أن يعرف كثيراً من ضروريات حياتهِ التي يحتاج فيها الى ممارسة الصناعات



الدكتور يوسف قابيل

وقد فَرَقَ العلماء بين الصناعة والفنّ : بأنْ قالوا :
« ان المراد بالصناعة هو ما يعمله الانسان مما يحتاج اليه في اقامة حياته المادية - ولكن الفن هو ما يعمله طلباً للجمال ويشترك فيه الفكر والشعور

وقديماً مَزَجَ العلماء بين ما هو جميل وما هو خير واختلط بذلك علم الجمال بعلم الأخلاق . فالفن اذاً خيرٌ من خيرات الانسانية الذي أصبح مع مرور الأزمنة غذاءً للحياة الاجتماعية المتحضرة . فلو أردنا أن نتصور هذه الحياة الدنيا خالية من الموسيقي والشعر والتصوير مثلاً وما يترتب عليها من فروع فنية أخرى - لفقدت الحياة معظم قيمتها وأصبحت لا لون لها ولا طعم . وطبيعيٌّ أنه كلما ارتقى نوع هذا الغذآء الروحيّ ازداد الانسان ارتياحاً للحياة واغتباطاً بها

وقد قسم العلماء الفنون الجميلة الى قسمين رئيسيين :

ا) فنون الجمال الثابت

ب) فنون الجمال المتحرِّك

فاما فنون الجمال الثابت فهي التصوير والنحت والبنآء - على حين أن فنون الجمال المتحرك هي الموسيقى والرقص والشعر

وقد أثبتت التجربة العملية ان الفن الجميل لا يقتصر تأثيره على تذوُّق الجمال فحسب ، بل يتعدى ذلك أيضاً الى افادة عملية أخرى هى ترقية مدارك البشر وتهذيبهم ومعاونتهم بذلك على حسن تصريف شئون حياتهم نخص بالذكر من بينها فنّ الموسيقى . وقد نشأت الموسيقى أول ما نشأت باستماع الانسان الفطريّ الأول الى أغاريد الطيور وخرير المياه وحفيف الأشجار وما الى ذلك من أصوات الطبيعة التى أثارت في نفس الانسان الأول أحاسيس مختلفة دعتهُ الى محاكاة هذه الظواهر الطبيعية . فكانت الموسيقى البدآئية

وما زال الانسان الفطري يُمعن في التأثر بأنغام هذه الموسيقى ويرفع من مستواها مع نموِّه حتى أدخلها في عقائده الدينية ليستعين بها على الاستزادة من روعة التأثر الدينّي . . وحسبنا دليلاً على ذلك تراتيل الكهنة في الهياكل المصرية القديمة وأناشيد رجال الدين عند اليونان القدمآء ثم في المعابد اليهودية والكنائس المسيحية ثم تجويد القرآن عند المسلمين

تعدَّت الموسيقى الدائرة الدينية بعد ذلك وأصبحت موضوع اهتمام العلمآء والفلاسفة في مختلف انحآء العالم المتحضِّر على اعتبار أنها فن رفيع لا يقل قدراً عن غيره من العلوم والفنون العليا . فكتب فيها سقراط وارسطو وأفلاطون من فلاسفة الإغريق – و يعقوب الكندي وابن سينا وابن باجة الأندلسي والفارابي وابن رشد وغيرهم من قادة الفكر العربيّ

ومن هنا يتَّضح انه كلما ارتفع مستوى الحضارة في أُمة من الأمم – ارتقت نظرة هذه الأمة الى فنّ الموسيقى فيها بحيث تصبح قوة فعالة في بث العواطف النبيلة في النفوس .وحيث تكون العاطفة النبيلة تكون الأخلاق الكريمة . وحيثما نظرنا نجد الشواهد البيِّنة للآثار الطيبة التى تخلقها العاطفة النبيلة نتيجة للتأثير الموسيقيّ الصحيح

وربَّ معترضٍ يقول ان الموسيقى قد تكون أحياناً اداة شرّ تَبَعاً لما هو مشاهد في بعض أماكن اللهو غير البريء من الاستعانة بها على فك عقال الغرائز والتمادي في الاستمتاع الشيطاني .
ونجيب على ذلك بأن الذنب في مثل هذه الأحوال يقع على نوع الموسيقى المختارة من جهة ثم على ما يصحبها من كلام موبوء من جهة أخرى – وذلك مع ملاحظة ان الموسيقى التى تستعمل في مثل هذه الأحوال هى : موسيقى انحطَّت الى دَرَك ما يُطلق عليه الفنيون « الموسيقى المطلقة » " The absolute Music " أو موسيقى « الوَحْدَة » على حد تعبير المشتغلين بالموسيقى في مصر .

هى الموسيقى التى لا يلتزم فيها التعبير عن أي معنىً كان بل يُراعَي فيهـا فقط إيقاع معين وهو « الوحدة » دون توخّي أي تعبير أو تصوير

وذلك على عكس الموسيقى التعبيرية التصويرية التى يطلق عليهـا في الاصطلاح العلمي Musica Reservata أو موسيقى الخاصة التى يراد بها التعبير عن شعور معين واعطاء صورة نفسية بذاتها

ويكاد يكون الفرق بين نوعيّ الموسيقى هذين كالفرق بين رسم زخرفي لا معنى له وبين لوحة فنية مصورَّة تُعبِّر عن أجمل المعاني وأروعها

وسبق ان أشرنا الى اهتمام العلماء والفلاسفة على مختلف العصور والأمكنة بالموسيقى . وبلغ من اهتمام الدولة العربية في عُنفوان مجدها - بالموسيقى ان اشتغل بها فريقٌ كبيرٌ من كبار الأئمة من مثل الإمام مالك ابن أنس والامام احمد ابن حنبل والامام الكمال بن الهمّام

ثم ظفرت الموسيقى في هذا العصر بطائفة من أعلام الفلاسفة والعلماء من العرب قرَّروا قواعدها ووضعوا فيها مؤلفات نفيسة لا تزال الى اليوم مَرْجِعاً من مراجع الفن الموسيقيّ الرفيع . ومن أشهر من غُني بهذا التأليف الخليل بن أحمد - واضع علم نحو اللغة العربية - والفيلسوف يعقوب الكندي وكان أول من استعمل في كتبه تدوين الموسيقى بالحروف بشكلٍ منظَّم على نمطَ « النوتة » الحديثة . ثم أبو نصر الفارابي الفيلسوف العربي الكبير والشيخ الرئيس ابن سينا الذي كان أول من عالج موضوع « تعدُّد التصويت » بما يُعتبر أساساً لعلم « الهارموني » الحديث

هذا في الجانب العربي - واما في الجانب الغربي فقد ظفرت الموسيقى بأنصار من فطاحل العلماء والفلاسفة أمثال نيتشه وشوبنهاور وجوته كما كان من بين نوابغ مؤلفيها من اشتغل بالعلم والفلسفة اشتغالاً عميقاً أمثال ريشارد فاجنر ، شومان ، هار بنجان وغيرهم

أو بكلمة موجزة ان هناك طائفة من الفلاسفة الموسيقيين وطائفة أخرى من الموسيقيين الفلاسفة. وكانت الموسيقى في كلا الحالين الرابطة الوثيقة والأساس الروحيّ العميق .

وهذا النوع من التقدير الموسيقي هو ما نصبو مخلصين الى تحقيقه في وطننا العزيز مصر . . .
نعم نودَّ أن يتسع ذهن العالم المصري الى تذوُّق الموسيقى فى مراتبها العليا والاهتمام بها كفنّ رفيع كما ودَّ فى الجانب الآخر أن يرتفع مستوى الموسيقيين لدينا الى حدّ أخذهم بنصيب وافر من العلم والمعرفة ليستطيعوا بمؤلفاتهم هذه مخاطبة نفوس المثقَّفين من المصريين والتأثير فى مشاعرهم التأثير العميق ونكون بذلك قد أدَّينا للموسيقى حقَّها من التقدير كفنّ عالميّ جليل م؟

عودٌ الى ما هنالك

حماية حقوق المؤلفين

تقدَّم لنا في الجزء الثالث كلامٌ عن هذا الموضوع المهم وقد اطلعنا حضرة الاستاذ بشاره حنا عورا وكيل شركة المؤلفين والملحنين والناشرين الموسيقى على العدد المؤرخ ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٦ رقم ١٤ من المجلة الشهرية التي تصدر في برن (سويسرا) التي تحت عنوان (حق المؤلف Le Droit d'Auteur) وهو يشتمل على بحوث مبادئ عدة قضائية وأحكام استئنافية صادرة من عدة محاكم اوروبية ومن محكمة الاستئناف المختلطة في القطر المصرى مما يؤيد حماية حقوق المؤلفين وما يتصل بها فأحببنا تعريبه لما فيه من الفائدة قالت



الاستاذ بشاره حنا عورا

بحث مبدأ قضائى

الفلْم الناطق وحق العزف وحق المؤلف المزدوج وحق الطبع والتمثيل ودور المُشرّع فيما يختص بحقوق المؤلف والعقوبة الجنائية على (جنحة) العزف العلنيّ من دون ترخيص

إنَّ مصر قد جمعت المبادئ القضائية العملية التي عُمِلَ بها في العالم كلّهِ بأنْ قرَّرت في قضايا

الفلم الناطق عدم لزوم الخلط بين الحقين المنفصلين التي يملكهما كلٌّ واضعٍ لأي تأليف أدبي وهما حق الطبع من ناحية وحق التمثيل أو العزف العلنيّ من ناحية أخرى اللذان تتصل بهما عملياً مزايا المؤلف المتنوّعة

وقد فصلت محكمة النقض في بلجيكا في بعض آراء قضائية متناقضة بمقتضى حكمين صادرين في ١٣/٢/١٩٤١ و ١١/١١/١٩٤٣ كما أنّ محاكم الاستئناف في الجزائر وإكس التابعة لفرنسا قد خالفت ماحكمت به محكمة باريس الاستئنافية وكذلك المحكمة العليا في فنلندا فانها رجعت بمقتضى قرارها الصادر في ٢٨/٢/١٩٣٩ عن طريقة التطبيق التي سبق ان اتّبعتها

واستناداً الى الرأي الموجب – الذي هو الآن موضع اعتراض بعض الوقائع الى حدٍّ ما والذي يُفهم منهُ ان الغرض من طبع الفلم الناطق هو بنوعٍ أخصّ لكي يُعرض على الجمهور وتُطبّق نظرية المخرج المؤلف الذي تتجمّع عندهُ جميع الحقوق الخاصة بمنشئيّ الفلم المختلفين أو المشتركين فيهِ اذ أنّ الدائرة الاولى بمحكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية قد اعتبرت بحكمها الصادر في ٢٧/١/١٩٣٧ أنّ الفلم الناطق تأليفٌ جديدٌ يختلف كلّ الاختلاف عن العناصر المكوّن منها هذا الفلم ويدخل فيه ضمناً الطبع والعزف أو التمثيل بمعنى أنهُ في حالة ماإذا كان لملحّن القطعة الموسيقية حقوقٌ يُستحق المطالبة بها لسبب عزفها علناً فما عليه إلاّ الرجوع في ذلك الى المُنتج

على أنّ في الزمن الذي صَدَرَ فيهِ هذا الحكم أثيرت عليهِ عدّة انتقادات صارمة لأنهُ لم يقرّر إلاّ وجهة نظر بعض أحكام متفرّقةٍ فضلاً عن انهُ كان مناقضاً لعدة أحكام ابتدائية واستئنافية أصدرتها عدّة محاكم في أنحاء العالم أمثال محاكم المانيا وانكلترا وبلجيكا والولايات المتحدة وهولندا والمجر والجزائر البريطانية ومرّاكش وفلسطين ورومانيا وسويسرا ويوغوسلافيا وغيرها حتى مصر فان الدائرة التجارية لمحكمة الاسكندرية المختلطة قرّرت ما يُنافي ذلك بمقتضى حكمها الصادر في ٢٧/١/١٩٣٦ وعند ماطُرح أمامها هذا الموضوع ثانيةً بعد القرار الصادر في ٢٧/١/١٩٣٧ لم تتردّد المحكمة المدنية المختلطة بالقاهرة في الدفع بمخالفة الرأي الذي ذهبت اليه الدائرة الاولى بمحكمة الاستئناف وأصدرت في ١٩/٦/١٩٣٩ حكمها مبنياً على أسباب دامغة وقد قضت الدائرة الثانية بمحكمة الاستئناف بتأييد حكم الدائرة الاولى الاستئنافية متمسكة بالأسباب الواردة فيهِ أما مستغلو صالات السينما فانهم لم يُهملوا الاستناد الى قرار سنة ١٩٣٧ باعتبار انه يقرّر مبدءاً قضائياً مبنياً على ماذهبوا اليهِ على حدّ مافعلوا أمام المحكمة الابتدائية المدنية بالقاهرة

على انَّ محكمة الاستئناف لم يَفُتْها أن تلاحظ في حكمها الصادر في ١٣ يونيه سنة ١٩٤٦ أنَّ حكم سنة ١٩٣٧ الاستئنافيّ « كان صدر في زمن لم يكن رأي القضاء مستقراً فيه بإزاء هذه المادة بصورة قطعية فضلاً عن تفرُّق كلمة الفقه وعدم استكمال وضع التشريع الوطني والدوليّ » وأردفت محكمة الاستئناف وقالت أنهُ منذ تاريخ صدور هذا القرار لا يمكن الانثناء عن تقرير انتهاء القضاء العام بشبه الإجماع الى التفسير الوارد في صلب هذا القرار وفي الواقع قد تابعت الدائرة الثانية المدنية بمحكمة الاستئناف بحث موضوع حقوق المؤلف ومُلحِّن الموسيقى لعرض الأفلام الناطقة علناً وأيَّدت قبل كل شيء الدعوى القائلة بأن حقوق المؤلف على وجه العموم مستمدَّة من نصوص قوانين البلاد التى سنت قوانين في هذا الشأن وأن لاوجود لهذه الحقوق اذا ابتعدنا عن أحكام هذه التشريعات المختلفة . وهذا خطأ على حد قول محكمة الاستئناف المختلطة لانهُ يكفي البحث في شرع وقضاء جميع البلاد التي تعترف أو تعترض على حقوق المؤلف لتبيان ان مثل هذه الحقوق لاتصدر عن أي تشريعٍ ما بل يرجع مصدرها الى الحق الطبيعي الذي هو لكل فرد والذي يقوم بحماية إنتاج جهدهِ الشخصيّ واستخدامهِ بالكيفية التي يرومها وبالعكس فقد أشار حكم محكمة الاستئناف الصادر في ١٣ يونيه سنة ١٩٤٦ الى أنَّ القانون يجري دائماً مجراه في دائرة محدودة وطلباً لحماية الجمهور سَحَب هذا القانون من المؤلف والمستحقِّين من بعدهِ مزيَّة استغلال الجمهور الزائد واشترط وجوب اندماج كل مؤلَّف أدبيّ في الاموال العامة بعد مضي مدة من الزمن

بيد ان محكمة الاستئناف المختلطة أفاضت في القول بانه في حالة عدم وجود نصّ قانوني صريح لا يُرى لماذا لايستطيع المؤلف أن يترك الى ماشاء الله لورثتهِ حق التزام اعادة نشر مؤلفاته إسوةً بأي نوعٍ من أنواع الأملاك وانتهت كذلك الى وضع المبدء الآتي وهو انه بقطع النظر عن القيود الموضوعة قانوناً فإنَّ لكل مؤلف أدبي أو فنّي الحق في منع الانتفاع بمؤلفاته بغير ترخيص منهُ وانَّ جميع حقوقهِ التي تسمى حقوق الطبع والتمثيل موجودة دائماً بصرف النظر عن أي تشريعٍ كان مع العلم بان ضمان هذه الحقوق يجب أن يتسع نطاقهُ كلما كشف لنا العلم طرائق جديدة للاستغلال على انَّ الدائرة الثانية المدنية لمحكمة الاستئناف متفقة على رأي محكمة النقض المختلطة التي قرَّرت في حكمها الصادر في ١٧ فبراير سنة ١٩٤١ أن تطبيق المادة ٣٥١ من قانون العقوبات الذي يُعاقب كل من عزف علناً أو حمل غيره على عزف مؤلفات موسيقية أو أدبية إضراراً بالمؤلف لايخضع الى أي شرط إيقافي ولذلك لايمكن المحاكم الجنائية إيقاف تطبيق المادة من حيث العقوبة الى أن يصدر

القانون المدني بخصوص حق المؤلفين لكنها بالعكس مُلزمة بتطبيق العقوبة عند ما يتوافر الشرطان اللذان هما حق العرض العلني ووجود الضرر

وقد ذكر الحكم الصادر في ١٣ يونيه سنة ١٩٤٦ النص المذكور من قانون العقوبات مشيراً الى انه من الوجهة التشريعية أيضاً قد تقرَّر التمييز الذي جرى عليه دائماً القضاء المصري بين حق الطبع من جهة وحق العرض العلنيّ من جهة أخرى

أما فيما يختص بالافلام الناطقة فان للمنتج فقط حق الطبع أي أن يثقب شريط الفلم الناطق لاعادة اذاعة أصوات الانغام التي يريد إدماجها في تلحينه وزيادةً على ذلك فان تحديد حقوق المنتج على هذا النحو لا يتفرَّع فقط من القانون العام بل من تحليل الاتفاقات المتوالية التي تصدر في هذا الشأن ويتناول أول اتفاق تنازل المؤلف للمنتج عن حق الطبع فقط ولا يحق له التنازل عن أكثر من ذلك نظراً لكون اجرآء حق العرض العلني قد تحوَّل حسب القوانين الى شركات المؤلفين (والمقصود بها في موضوعنا هذا شركة المؤلفين والملحنِّين والناشرين للموسيقى) أما الاتفاق الثاني الذي بموجبه لم يملك المنتج ولا يمكنهُ أن يملك حق العرض العلني يقضي بأن يلفت المنتج نظرمديري الصالات السينمآئية الذين يبيعهم الفلم أو يتنازل لهم عنهُ الى حفظ الحقوق التي لم يسبق لهُ ادعآء اكتسابها

ومماَّ هو جدير بالذكر أنَّ ظروف هذا التعاقد تتفق ومصالح المتعاقدين الاقتصادية بمعنى أنَّ مصلحة المنتج تكون مقتصرة على إعداده الفلم وكثرة طبع صُوَر منهُ أملاً في تحقيق أرباحهِ من طريق بيعهِ الفلم فقط أو تأجيره مِن دون الاهتمام بعرضهِ الذي يتعلَّق بمصلحة مدير السينما وحدهُ

النتيجة يحق المطالبة بحقوق عرض الفلم الناطق لكل شخص استغلَّ بدون حق امتلاكها وبأي طريقة كانت عرض القِطَع الموسيقية المتنازع فيها علناً ولا يمكن له الحصول على حق عرضها علناً إلاّ بمعرفة شركة المؤلفين والملحنِّين والناشرين للموسيقى التي يتقدَّم اليها وحدها

ان الحكم الاستئنافي المؤيد لأسباب حكم محكمة مصر أجرى البحث في الدليل الوارد في الحكم الصادر بتاريخ ١٩ يونيه سنة ١٩٣٩ لِما لهُ من الاهمية إذ قال « إنَّ الشرط التحفظي الوارد في العقود النموذجية الخاصَّة بتأجير المنتجين الأفلام يمكن اعتباره كأنهُ شرط للغير أو كأنه تحويل جزء من قيمة الايجار وعلى هذا الأساس يتضح تماماً شرعية الشرط واستصوابه

أما حكم محكمة الاستئناف الصادر في ١٣ يونيه سنة ١٩٤٦ برئاسة المستر ج . بلاك ريد فانهُ

أشار الى ان النظرية الواردة في حكم الاستئناف الصادر من الدائرة الاولى في ٢٧ يناير سنة ١٩٣٧ غير ثابتة ومهملة ووضع بصفة نهائية في المحيط القضائي النظام الخاص بالافلام الناطقة في القطر المصري ومما تهم معرفته من جهة أخرى ان شركة المؤلفين والملحنين والناشرين الموسيقى قررت من تلقاء نفسها في أثناء المرافعات التي انتهت الى هذا القرار ان ادعاء الشركة بحقها في الصفة في تحصيل رسوم العزف العلني وعدم جواز القيام بعرض الافلام الناطقة علنًا لم تقصد التذرع بسلاح في يدها لاستعمال هذا الحق وانها تتعهد بألاَّ ترفض الترخيص بالعرض في الحالات المعتادة في مقابل تسديد رسوم العرض العلني التي لا تزيد على القِيَم التي أقرتها هيئات المحترفين الرسميين بفرنسا وذلك الى أن يحين الوقت اللازم لتوقيع العقد الاجماعي عن القطر المصري

وفضلاً عن ذلك فانه ينبغي من الوجهة العملية ملاحظة ان تدخُّل المشرع الذي كان لزومه واضحاً بعد حكم استئناف سنة ١٩٣٧ يظل حافظاً أهميته حيث ان المؤلفين يكونون قبل وضع لائحة خاصة محرومين الوسائل اللازمة لحماية حقوقهم

ولهذا ففي الوقت الذي رجعت فيه المحاكم عما يمكن تسميته خطأ عابراً سيكون من بواعث السرور أن تستخرج الحكومة المصرية من زوايا النسيان مستندات مشروع قانون حقوق المؤلفين الذي يرجع الى سنة ١٩٢١ . وتعهد الى لجنة جديدة في وضع نصوص قضائية تنسجم مع نصوص اتفاقية برن الدولية التي سيرتبط بها القطر المصري في القريب العاجل كما هو مأمول

على ان هذا الموقف يطابق ماتعهدَتْ به الحكومة المصرية في مؤتمر منترو المعقود فى سنة ١٩٣٧ الخاص بالغاء الامتيازات في مصر بناءً على إلحاح الوفد الفرنسي وهو انها قررت بانها شرعت في وضع قانون يستمد روحه من الافكار الاكثر سماحةً ولم يكن هذا الوعد جديداً لأن مندوبيّ الحكومة المصرية أقرُّوا في مجمع روما المنعقد في سنة ١٩٢٨ بان مشروع قانون سنة ١٩٢١ لم يُقدَّم بعد الى البرلمان ويرجع سببهُ الي ان وزارة العدل كانت تنتظر نتيجة تبادل الآراء الدولية للعمل على انسجام هذا المشروع بقدر الامكان مع الوضع النهائي للقانون الدولي .

ماكسيم بوبيكوفر

محامٍ لدى محكمة الاستئناف المختلطة

ومدير جريدة المحاكم المختلطة بمصر

توماس الفــا أدِسن

توماس الفا أدِسن كهربائي ماهر ومخترع أمريكاني وُلد سنة ١٨٤٧ في ميلان (ولاية أوهيو بالولايات المتحدة) قد بدأ حياتهُ كعامل بسيط في أحد مصانع سكك حديد ترنك كندا ومشيجان المتوسطة وظلَّ يعمل فيها عدّة سنين أصدر في خلالها جريدة سمّاها "The Grand Trunk Railroad Herald"

فقد راجت هذه الجريدة رواجاً عظيماً لإقبال المسافرين على تصفّحها ولما دخل في سنة ١٨٦٢ مكتب التلغراف في بورت هيون عَمَدَ الى مزاولة التجارب والاكتشافات حتى توصَّل في سنة ١٨٦٤ الى اختراع تلغرافهِ المعروف بتلغراف دوبلكس Duplex الذي امتاز بقبول اشارتين تُرسلان في وقت واحد على سلك واحد وبالعكس

ولما ذهب الى بوستون في سنة ١٨٦٨ تبَحَّر في دراسة وامتحانات الآلات الاهتزازية وأنشأ في سنة ١٨٦٩ وَرْشَةً لصنع الآلات التلغرافية التي لم يُكتب لهُ النُّجح فيها . وقد عُينَ في سنة ١٨٧٠ مهندساً لعدّة شركات تلغرافية كان يبيعها بين حين وآخر ماقام بهِ من مخترعات متنوّعة تدفع الشركات قِيَمها لهُ على أقساط سنوية ولما ابتسم لهُ ثغر الحظ جمع ثروةً طائلة من هذا العمل فاجترأ على تأسيس ورشة كبيرة في منلو بارك باورانج (ولاية نيوجرسي) وذلك سنة ١٨٧٦ وتوصَّل في السنة التالية الى اختراع الميكرو تايفون الذي بهِ تسنى للناس استخدام تليفون بل "Bell" ولم يمضِ على هذا الاختراع عدّة شهور حتى اكتشف الفونغراف (انظر ص ٩١ وما يليها من الجزء الثاني) أمّا الفونغراف الذي برَزَ الى الوجود في أواخر ايام « عبده » أي منذ نحو نصف قرن فكان عقيماً وبعيداً عن أن يؤدي الفائدة العملية المرجوّة منه - شأن كل اختراع جديد - والعيوب التي لوحظت فيه ولم يتوصل الى تلافيها مدة بقية حياته القصيرة ينحصر معظمها في أنهُ لا يُمثّل الصوت الذي أخذ

أديسن يذيع امام المكروفون تسجيل اختراعه الخمس مئوي

عنه تمام التمثيل لما يخالطهُ من الغُنَّة المعدنية والضعف في نقل الصوت وكأني به صوتٌ آتٍ من بعيد أو من داخل بئرٍ عميقة فضلاً عن ان الاسطوانات التي تردّد ذلك الصوت يصيبها العطب من جرآء الاستعمال عدّة مرات أو من شدة الحرارة وهي مصنوعة على شكل كوزٍ صغير ولم يُوفّق العالَم الشرقي الى صون أصوات « عبده » وحفظها لسبب واحد وهو سوء تعبئة الاسطوانات بدون واسطة الكهربآء التي لم تُعرف بعد في عهدهِ فلا حول ولا قوة الاّ بالله

بيد أنه في تلك الأيام صُنع من الفونغراف جهازٌ شديد الصوت وضُع في محطات السكك الحديدية في بعض البلاد الاوربية ويُقصد بهِ مناداة الركّاب بدلاً من استخدام الرجال الى أوقات قيام القُطرُ والتنبيه الى وجهة السفَّر

ومن غريب مايُروى عن أدِسن الذي يقال لهُ « ساحر الغرب » في أمريكا - أرقى البلاد حضارةً وأرفعها درجةً في سُلَّم العلم والصناعة - نقلاً عن مجلة (جريت ثوتس Great Thoughts) بقلم هـ . س . كلير أنهُ بينا كان يغنّي في أثنآء انهماكه في امتحان قابل التلفون telephone receiver وخزَته الابرة المتصلة بهِ أصبعه التي دَميت في الحال وما كاد يسحب يده حتى لاحظ ان الابرة تركت في اثنآء ذبذبتها خطًّا ضئيلاً من نُقَط وشرطات دم قرمزية ومن العجب العجاب أنْ نشأ عن هذا الخط استنباط افتتح به تاريخ الاختراع الآتي بيانهُ أخذ أدِسن يزاول الامر بذهنهِ الصافي وفكره المتصرّف وبفضل تكرار الامتحان والاختبار فيه باحَ لهُ بما ورآء الحجاب وتوصّل الى أنْ عَرَف أن الصوت يتوقف على الذبذبات وأنَّ صوت الانسان إنْ هو إلاَّ سلسلة ذبذبات تُوصِّلها عضَلات الحلق والشفتين الى الهوآء فاذا وضعتَ مثلاً أمام وجهك عند ما تتكلَّم قطعةً من الورق فان هذه القطعة تهتز وهي بيدك واذا استعضتَ عنها بصفيحةٍ رقيقةٍ من المعدن فانها تهتزّ بالمثل واذا اتَّصلتْ هذه الصفيحة بابرة فان هذه الابرة تهتّز معها فيتّضح من ذلك كلهِ ان الابرة اهتزَّت من جرّآء غِنآء أدِسن بأن رسمتْ خطًّا قرمزيًا ولو عرضنا هذه الواقعة على رجل بليد الفكر وغير مثقَّف لعدَّها من الخرافات ومسح خط الدم بخلاف أدِسن الذي قام وقعد لهذا الامر الذي رَقبهُ بعين لاتغفُل وأخذ لهُ عُدَّتهُ . واستطرد الكاتب قائلاً تحت عنوان « صوت حي » أخذ أدِسن كنتيجةٍ لتفكيرهِ قطعةً من الورق وبعد أن طلاها بالشمع وَضَعها تحت الابرة بحيث انها (الابرة) عند ماتذبذب تأتي بدورها على وخز الشمع ومن ثمَّ تتراجع عنهُ وبعد ذلك جعل صوتهُ يضغط الصفيحة المعدنيةالقابضةعلى الابرة وصاح قائلاً « هالو » مع الحرص في الوقت نفسه

على جر الورقة من أولها الى آخرها حتى رسمت الابرة خطًّـا مكوَّنًا من وخزات ضعيفة وثقوب فأخذ أدِسن يؤامر نَفْسِهِ ويسأل قائلاً اذا كانت الابرة تستطيع أنْ تُنتج بذبذبتها ثقوبًا فلِمَ لاتستطيع الثقوب أنْ تجعل الابرة تتذبذب ثم تناول الورقة ووضعها في مكانها الأصلي وأجرى سحبها بسرعةٍ من تحت رأس الابرة وما عتَّم أنْ سَمِعَ صوتًا حيًّـا – صوتًا بشريًا نشأ من بين هذا الخشب الضعيف وهذا السلك التافه أو بالاحرى من هذا الصندوق الصغير الذي يحتوي على حديد أصمّ وورق رثّ أو بعبارة أخرى من مادّة ماتة وعديمة الحِسّ مع العلم بأنهُ لم يكن صوتًا قويًا ذا دويّ حاداً ومتقطعًا أو مصطنعًا كاصطناع صوت ألعوبة الاطفال التي اذا ما ضُغِطَتْ تَصُوت بل كان بالحقيقة صوتًا في غاية الوضوح بل صدى صوت انسان حيّ صَدَرَ منذ هنيهة عن فم المخترع الذي نطق لفظة «هالّو» وعلى الجملة فان أدِسن كان بلا مرآء أول مَن سمع آلة تتكلَّم– الامر الذي كان محلاً للاستغراب والدهشة ليس عند المتقدمين فحسب بل عند معاصريه من العلماآء المحققين وأعلام الباحثين

ويُخيَّل لهُ أنَّ هـذا الامر ضربٌ من الخَرْص ومن فاسد الاوهام مما لم يَسْبِقْ لهُ بِهِ عهد لأن الكلمة التي نطقها ذهبت أدراج الرياح ودبَّ فيها دبيب الفناء في الهـوآء المُطلق دون أن تترك فيه أثراً لافي الارض ولا في السماء هـذا ماقدَّرهُ بالحدْس إلاَّ انهُ سَمِعَ وهو منحني فوق آلتهِ الصغيرة كادّاً نفسهُ في العمل صوتًا ضعيفًا شَبيهًا بالدندنة فقط لخلوّه من نبر الصوت وأحرِ بهِ أن يكون هينمة ضعيفة وبالرغم من ذلك فانه لاينكر أن يكون صوتًا كما هو الواقع أما عن استغراب أدِسن فحدِّث ولا حرج لا سيما عند سماعه لأول مرة هذا الصوت بالحالة التي هو عليها وَمَثَلُهُ في ذلك مثل روبنسن كروزو الذي حار عند ما سمع وهو منفرد بنفسهِ ببغآء يناديه باسمهِ فلو فرضنا أن أدركه حَيْنُهُ في ذلك الوقت لظلَّ الصندوق الصغير حافظًا لسرهِ وقادراً على أن يُثبت أنهُ لفظ قبل موتهِ وهو معتزلٌ قومهُ هذه الكلمة الأخيرة التي نُقشت فوق صدر الصندوق الذي يستطيع أن يردّدها اندياعاً دائمًا مثل الببغاء .

ولنقف قليلا متسائلين عما يأتي

ألم يتأثر أدِسن في نفسهِ كل التأثير من هذا الأمر ؟ وَألم يرقص طربًا لِما انتهت إليهِ مباحثهُ من الفوز المبين في اكتشاف معجزة من معجزات الطبيعة ؟

وهل فكَّر فيما دل عليه هذا الأمر قبل حدوثه ؟ وهل تنبأ بأن ألعوبة صبيانية تسمعنا بمجرد

لمسها باليد أغانيّ شخصية تأخذ بمجامع القلوب وتستعبد الألباب ولا يضيع علينا سماع صوت أصغر آلة من بين أصوات المئات من الآلات مهما كثُرَ عدد العازفين ! ألمْ يُفكِّر في هذا الأمر الذي استبهم على كثير من العلماء ويتدبر اهتزازات نبرات الصوت الجميل الأخّاذ وشجيّ الألحان في « مارش » النصر التي يلذّ لها السامعون ؟

ألم تتحقق آمالهُ وتَعنُ لهُ نواصي الرغائب لما منَّ به على الانسانية من أجزل النعم وأثمن الكنوز ليس بمجرد لمسه بيد زائلة فحسب بل بفضل إسماع هذا الكون العظيم صوتاً لا يزول .

وقد آلى على نفسهِ ألا يقابل وجه ربهِ قبل أن تبلغ اختراعاته الألف عداً ولو شئنا الافاضة في كل ما ابتكره من صنوف الاكتشافات وما زاوله من ضروب الامتحان للتوصُّل إلى هذه الحقائق العلمية لاقتضى استيفاء ذلك مجلدات ضخمة سبحان من وزّع الأرزاق على العباد وأعطى المواهب وهو على كل شيء قدير ؟

(ياليل) — أهيَ عبرية أم عربية ؟

جاء بالصباح الأغرّ بتاريخ ١٤ يونية سنة ١٩٤٠ ما هو آتٍ

بعث الينا البحّاثة الموسيقيّ الأستاذ قسطندي رزق ، ببحث وافٍ عن عبارة « ياليل » ، وهل هي عربية أم عبرية ، ويقول الأستاذ قسطندي أنه عند ما قدَّم كتابه عن الموسيقى الشرقية إلى سيادة ناحوم حاييم افندي ، الحاخام الأكبر ، قال له سيادتهُ أن « ياليل » ترجع إلى أصل عبريّ هو (هليل) ومعناهُ الفرح .

ولكن الأستاذ قسطندي مضى بعد ذلك يحقق في الأمر ، حتى اهتدى إلى أن « ياليل » عربية صرفة ، وقد استعملها المطربون منذ زمان الجاهلية وبعد ظهور الاسلام ، وفي مصر . واستند في ذلك إلى كثيرٍ من أقوال الشعراء واللغويين وإلى جانب من المواليا ، مما لا يترك شكاً في عربية « ياليل » . جزاهُ الله عن اللغة والموسيقى خير الجزاء

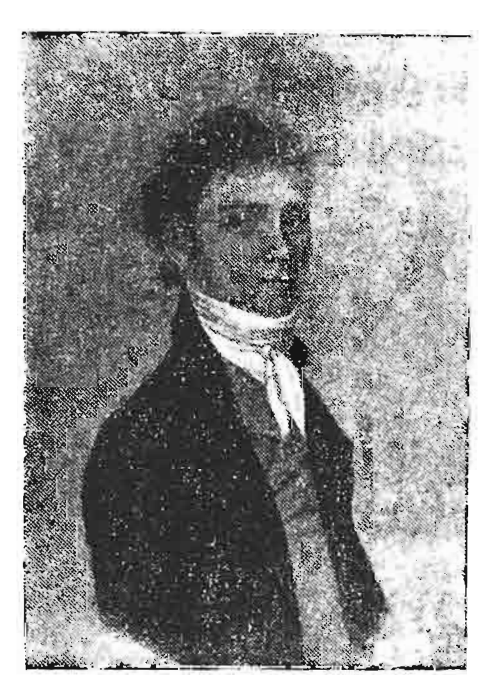
– الرياء مالٌ يُقرضهُ الشيطان – فكتور هوجو –

– إنَّ النفس التي تأبى الاستسلام إلى ضعف الجسم لهي قوة عظيمة في ذاتها – فكتور هوجو –

عودٌ على بدءٍ

بتهوفن

تقدَّم لنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب كلامٌ موجزٌ عن بتهوفن ولما كان من المستحيل الاحاطة بترجمته فى مقالٍ واحدٍ لتشعُّب أطراف موسيقاهُ وتعدُّد مراحله ومؤاثرته النفسانية نجدُ لزاماً علينا أن نأتي بطرف مما وقفنا عليهِ إذ ما لا يُدرَكُ كلُّهُ لا يُترَكُ جُلُّهُ . ترمز موسيقى بتهوفن بنوع خاص الى الحياة وما قاسى فيها من محن وتجارب وما اكتنفها من مفاجآت أما تلاحينهُ فهي من معجزات الفن تدل على عميق تفكيره وشديد آلامه ودقة معانيه . قضى حياتهُ المريرة التَعِسة بدون انقطاع واصلاً نهاره بليله ابتغاء للرزق وخدمةً للفن الجميل ومما يُلاحظ أن أحسن مقطوعة موسيقية سُجّلت له كانت الأخيرة التي وضعها في آخر حياته بمعنى أن كل تلحين لاحق خير من أي تلحين سابق ويرجع السبب في ذلك إلى نموّ مداركه وبلوغه كمال العقل ونضج تجاربه وتحقيق آلامه بخلاف ما يُشاهد في تلاحين « باخ » مثلاً فانه تاه في شعاب الاصطلاحات الفنيــة ولم ينتج بعد شبابه شيئاً يُذكر بالرغم من أنهُ يشبه بتهوفن تقريباً في المعارف الموسيقية وكذلك ڤاجنر العظيم فانه حالما طوى مراحل الشباب صَلَدَ زناد فكره وعجزت همته عن الإتيان بمثل ما خَلَعَ على الفنّ وهو رَخص البنان من ثمين الحُليّ وناعم الخزّ لأنه كان حَيران يَميدُ به شجْوُه ومما تنبغي ملاحظتهُ أن موسيقى بتهوفن سارت في طريق التقدم والنموّ متمشية مع تيار المصائب التي لم تنقطع عن الانقضاض عليــه وعلى الجملة فهي تعبر عن موضعه من الحياة التي ضمّنها في الداخل من العوامل ما يؤدي إلى إمكان رُقيّها ونموها بصفة غير محدودة وكان بتهوفن أخسر الموسيقيين صَفقةً وأخيبهم سعياً وأصبر من باخ وڤاجنر على الخطوب التي لازمتهُ إلى آخر حياته فحقَّ لهُ أن يقول بلسان الحال



أخذ هورنمان صورة عن لودويج فنان بتهوفن وهو في الثانية والثلاثين

(نقلا عن كتاب سوليفان)

" Plaudite, amici, comoedia finita est.

ومعنى ذلك : أن الكوميديا أُجري تمثيلها إلى آخر برهة

ومن غريب ما رُوي عنه في « تاريخ بتهوفن » لواضعه ج ن . سليڤان انه إنتبذ مكاناً قصياً في حياتهِ ولذا كان فظ الأخلاق أسرع الى المصارمة منها الى المواصلة لم يُعنِ لمعاشرة الجنس اللطيف ولم تستهوه فتنة الجمال إلا قليلاً وفي ظروف خاطفة فجائية وكان حاملاً على النوع الانساني حقداً لتراكم مصائب الدهر عليه حتى كان يقول في نفسه « أن حظَّهُ عدوٌّ لهُ ويجب مقاومته مما تمثلهُ في آخر تلاحينه التي يُستخلص منها ان أعلى ذُروة بلغ اليها كانت بحافز الألم الذي يُعدّ ولا جَرَم من مميزات الحياة المهمة والذي كان ركناً أساسياً في تأملاته وابحاثه ولكن أغرب مظهر من هذا النوع ما فاه به غير مرة لاخصّ عشرائه "I will take fate by the throat" يوم اشتدت عليه وطأة الصمم في إبان شبابه



أخذ دانهوزر صورة لبتهوفن بتاريخ ٢٨ مارس سنة ١٨٢٧ بعد وفاته بيومين فقط
(نقلا عن كتاب سوليفان)

واليكم ما معناهُ : (سأقبض على زور الحظ) وبالجملة فان شخصيته مركبة تركيباً بطيئاً من عوامل جوهرية اتَّحدت بالتدريج بوحدة عضوية وانشأت في داخله اضرورة الأمر حياة خاصة غزيرة ساعدت على إنماء تلك الشخصية ولنا أن نذكر من ضمن هذه العوامل إعراضه عن الطاعة وقسوة قلبه واستبداده برأيه وتحَكُّمه في الجدال فضلاً عن اعتزاله الناس جفاء طبع ونفوره من معاشرة الجنس اللطيف مخالفاً في ذلك قول الشاعر

إذا أنت لم تعشق ولم تدرِ ما الهوى فكن حجراً من يابس الصخر جَلْمَدا

وقصارى القول فانه لم يظفر من العلم لا بالقليل ولا بالكثير وقضى أيامه محروماً حُسن التربية لإهمال والده له وضيق ذات يده فاحتمل برغم أنفه وَعْثاء الطريق وفراق الصديق حتى أصبحت الحياة لغيره رائعة الجمال وله سُمًّا ناقعاً غير أنه لثقته بنفسهِ وعلمه عن يقين عيان بصحة تجربته الشخصية أقدم على تلحين مقطوعة عديمة النظير يقال لها The Credo of the Mass in D جاءت ممثلة ما يكنه بنوع خاص في نفسه من التجارب والاختبار

بيد أنَّا لا بد أن نقول أن تلاحينه سنفونيا (C minor) ورباعياته الأخيرة دليلٌ قاطعٌ على أنه لم يحز قصب السبق في مضمار فن الموسيقى إلا بفضل « التألم » الذي كان شرطاً ضرورياً في حياتهِ وقوةً حفزتهُ الى الجري إلى أبعد الغايات

أجل أنه شَرِبَ الكَدِر وأكَلَ الجَشِب وتقطَّعت أحشاؤه حزنًا على فقد سمعه وثارت في رأسه نزوة الغضب أسفًا على سوء طالعه إلا أنه صبر على ما هو أمر من العلقم صبراً كان أدعى الى النصر وتألم تألمًا خرج منه إنسانًا جديداً بروح جديدة وقلب يرقّ للمصائب وأصبح الصديق الذي لا يُتَّهم وُدُّهُ وقيل لو لم يوجد الألم لكان خلقهُ لازمًا اذ بدونه لا نكون كما يحقُ لنا أن نكون وقد صَدَقَ جيمس دوجلاس إذ قال « ان آلامنا تُعلِّمنا أكثر مما تعلمنا إياه أفراحنا وتوحي الينا من الأسرار أكثر مما توحي به هذه الأخيرة » فكأنكم قد تكاملت من النوازل فيكم أمتن الأخلاق وأرتكم التجارب ما كنتم تأملون وكفى بما أصاب داود وأيوب من محن دليلاً على حسن مصيرهما على أن شخصيته فلا سبيل إلى نسبة شيء منها إلى الوراثة التي لا يكاد يُعرَف من أمرها إلا الشيء القليل مما انتهى الينا من صُحُف المؤرخين وإنْ هو إلاّ شذورٌ ناقصةٌ كتبهــا عن أسلافه أحد المؤرخين منذ القرن السابع عشر واليكم البيان

كانت قريةٌ صغيرة بالقرب من لوفان (بلجيكا) الموطن الأصليّ الذي نشأت فيهِ هــذه الأسرة العظيمة وقد وُلد في سنة ١٧١٢ جَدُّهُ الذي يُقال لهُ لودْويج فان بتهوفن وبرحَ هــذه القرية قاصــداً إلى بون حيث عُين في كنيسة القصر كمرّتل وهو في التاسعة عشرة من عمرهِ وأخذ يرتقي في وظيفتهِ هذهِ الى أن صار رئيساً للمرتلين " Kapell-meister " وذلك في سنة ١٧٦١ وكان على ما اشتهر بهِ من عدم إمكانه التأليف متوقد الذهن وشهماً عاقلا حرّيًا بالاحترام على ما أشار اليه عــدَّة مرّات حفيدهُ بتهوفن الذي ورث عن جَدَّتهِ ووالده عادة شرب الخمر تلك العادةُ السيئةُ تُعدّ نتيجة لعــدم امكان الانسان ترتيب نفسه وتحريه وجوه الحقائق وادمان الموسيقيين للخمر أمرٌ شائع في الغرب والشرق وموسيقيونا منهمكون في الشراب إلاّ القليل منهم وقد عُرِف عبده الحمولي (رحمهُ الله) بأنه مستهترٌ به بالرغم من أنهُ يُفقر الانسانية ويضعفها والنزوعُ عنــهُ يُغنيها ويُقوّيها .

على أنهُ لم يسبق ما يُعرف منهُ في مستهل حياته إلا الشيء القليل وقد كتب عنهُ سوليفان في كتابهِ وغيرهُ ولعلّ أصح ما ورد فيــه أنهُ كان في الثانية عشرة من سنيهِ مساعد عازف على

الأرغُن في نيف وضاربًا بالصنوج فوق المسرح ولم يخلُ من مخالطة والدهِ السكِّير الذي كان عند رجوعهِ من الحانة في آخر الليل يُيقظهُ من منامهِ ليرغمهُ على التمرّن على البيانو وأول مدرسة اختارها للتعليم لمدةٍ قصيرة كانت مدرسة أولية في بون يقال لها تيروسينيام (Tirocinium) وكان من بين زملائهِ وُرْزَر وهو يذكر أنَّ بتهوفن كان مبذؤ الهيئة رثّ الثياب ضُربت عليهِ الذِلَّة .

ولما آنس في نفسه الميل الى الاستزادة من درس الموسيقى برح بون وهو في السادسة عشرة من عمره وقصد الى فينا ليتخرَّج فيها على موزار إلا أنه لم يمكث بها طويلا لأنهُ لما أبلغهُ والدهشدة وطأة مرض ذات الرئة على والدتهِ اقترض من شادن اوف اوجبرج مصاريف السفر وقفل راجعًا الي بلدتهِ لوداع والدته الاخير ومما يُروى أنه لما ذهب الى الرين وبصحبته الاركسترا لاحياء حفلة موسيقية فيها انتهز أول فرصة اتصل فيها بالأب ستركيل من كبراء العازفين على البيانو وهناك شعر بأنه العبقريّ الذي فات أقرانه على أنه وقف على الفنّ جَهدهُ مدة أربع سنين ابتداء من سنة ١٧٨٨ الى سنة ١٧٩٢ وقد قدح في موزارمعلمه الأول لتلحينه قطعًا موسيقية مُريبة يقال لها " Librettos " كلمة طليانية معناها كتاب صغير (livret) تُطلق على كل منظومة أوبرا .

ومما هو جدير بالاعتبار أن نورد مافاه به بتهوفن على ما اشتهر به من ركوب متن الغرور حينما أصيب بالصمم مما يدل على مكين يقينه بالله عزّ وجلّ وقد رفع اليـه آيات الشكر على بلوغه النجح في تأليف أغنيته السابعة وقال ما ملخصهُ: أيها الاله القويّ في الغابات لأكوننَّ مباركًا معمون فيها ومملوءًا سعادة وغبطة إذ أن كل شجرةٍ مغروسةٍ فيها تتحدَّث عنك ياإلهي . ياله من مجدٍ عظيم في الغابات السلامُ في العلى لأجل خدمتك وقد فاقت هـذه الأغنية الأغنية السادسة الرعوية لما احتوت عليه من روعة وجمال وصفًا للطبيعة وما اتصفت به من ترانيم ترمز الى الحياة المتعددة النواحي التي تُقضى في وسط غابةٍ فسيحة الأرجاء على حد ما شهد بهِ رومان رولاند في المجلة الموسيقية بتاريخ أول ابريل سنة ١٩٢٧ ولا مانع من إيراده بنصّهِ الفرنسي قال

"Dans l'un et l'autre cas, dans les deux Symphonies, une impression dominante de Nature — champs ou forêts, soleil ou nuit — et l'esprit, qui s'assimile à elle, qui épouse ces forces, qui de l'étoffe de ses vibrations, de ses rythmes, de ses lois, de sa substance, tresse un jeu souverain"

ومن مزايا سنفونياتهِ الرئسية أنها تثير في النفوس أرق العواطف وتوجه سامعيها إلى أنبل الأغراض وأسماها وتنقل أرواحهم من بين الأشياء المحدودة المنظورة الزمنية إلى الاشياء الأبدية

الغير منظورة التي تبين لهم فيها مستقبل خلود النفس و بالجملة فانها تحملهم فوق أجنحتها وتنتقل بهم من العالم الأدنى إلى العالم الأعلى والأسمى

ومما رُوي عن الدكتور جوتري دي ايدنبرج أنه كان يتأثر من الموسيقي إلى أبعد حدّ بمعنى أنه كان لايملك سوابق عبرته كلما سمع بها مع أنه بناء على ما اعترف به لم يعرف من الموسيقى سوى نغمتين – النغمة المئوية والنغمة التي ليس لها وجود وقد طلب من الملتفين حول سريره حينما كان في سكرات الموت وغمراته أن ينشدوا ترتيلة طفل "a "bairn's hymn

(فونغراف الاب لويس)

من أغرب مارواهُ الاب لويس شيخو (رحمه الله) في مشرقهِ هذا المقال الذي نورده تفكهة للقراء نقلاً عن الضياء للشيخ ابراهيم اليازجي

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فاثبتناها بحروفها

ذكر بعض الأئمة قصة زاغ (غراب) رآهُ محمد بن اسمعيل السعدي وقيل ابو الحسن عليّ ابن محمد عند أحمد بن أبي دؤاد وقيل عند يحيي بن اكثم . . وأن رأس ذلك الزاغ كان رأس انسان وذنبهُ ذنب غراب وانهُ كان شاعراً فصيحاً عاشقاً . . .

فأثبت مشرق البدائع قصتهُ نقلاً عن أحد مكاتبيهِ الالباء كمن ثبتت عندهُ صحتها واستدركها على مقالة الضياء « التماثيل المتحركة والناطقة » وعقَّبَ على هذه القصة بقولهِ « كنا نَودّ لو أفادنا الدميري شيئاً من تركيب هذه الآلة . ولعلها تُشبه الآلة الناطقة المعروفة اليوم بالفونوغراف »

وكأني بحضرة الأب لو نَقَلَ شيئاً عن بساط الريح لقال هو « منطاد اليوم » ولو ذَكَرَ المارد الذي خرج من الكوز لقال هو « اللعبة التي يسميها الافرنج polichinelle » ولو مرَّ بما رووهُ عن الجنّ وتمثّل الأرواح لَنَشَرَالمقالات الضافية في«السينما توغراف عند العرب »أما تمنّيه «لو أفاده الدميري شيئاً عن تركيب تلك الآلة » يعني الغراب فقد كان الدميري رحمه الله يميز بين الحيوان والجماد ولو ظنّ الزاغ آلة لما ذكره في كتابه « حياة الحيوان »على أن جميع من أوردوا قصة الزاغ المذكور ممن استشهد بهم حضرة الأب ومن فاتوه قد عدُّوهُ في جملة المخلوقات الحية وهذه قصتهُ كما ذكرها القزوينيّ في كتابهِ « عجائب المخلوقات » (ص ٤٥١ من طبعة غوتنجن)

في الفصل المعنون « بالحيوانات العجيبة الصُوَر » قال « ومنها (أي من تلك الحيوانات) ما ذكرهُ ابوسعيد السيرافي عن بعض الكتّاب قال دخلت على القاضي يحيى بن أكثم واذا الى جانبهِ طائر في قفص على شكل الزاغ ورأسه كرأس الانسان وعلى صدرهِ وظهرهِ سِلعتان فقلت ما هذا أصلح الله القاضي فقال اسأله فهو يجيبك فقلت للطائر ما أنت فنهض وأنشَدَ بلسانٍ فصيح

أنا الزاغ أبو عجوه	انا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا	ن والنشوة والقهوه
فلا عربدتي تُخشى	ولا تُحذر لي سطوه
ولي أشياء تُستظرَ	ف يوم العرس والدعوه
فمنها سِلعةٌ في الظهر	لا تسترها الفروه
وأما السِلعةُ الأخرى	فلو كانت لها عروه
لَما شَكَّ جميع النا	سِ فيها انها ركوه

ثُمَّ صَاحَ زاغ زاغ وانطرح . فقلت أصلحك الله أهو عاشق فقال هو على ما ترى ولا عِلمَ لي به وقد أرسله صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين المأمون وكتب له كتابًا لم أفضضه وأظن انه ذكر فيه شأنه وحاله » انتهى وهذه الرواية واردة بين خرافات لا يقبلها عقل سليم ومما ذكره القزويني قبلها « أمة على صورة الانسان ولهم أجنحة يطيرون بها وأمة رؤوسها رؤوس الناس وابدانها ابدان الحيَّات . وأمة في بعض جزائر الصين لا رأس لابدانهم وأفواههم وعيونهم في صدورهم » قال « وسمعت أن واحداً من هذه الأمة جآء رسولاً إلى عظيم التتار » . . وقس على ذلك ماضاهاه من الصُوَر والأشكال التي تولدها المخيَّلة وأغرب ما وصفهُ منها « أمةٌ لها رأسان وثماني أرجل رأسٌ وأربع أرجل نحو الأرض ورأس وأربع أرجل نحو الهوآء . . . . . وأمة يقال لها النسناس لأحدهم نصف رأس ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة كأنه إنسان قُدَّ نصفين يقفز قفزاً شديداً يوجد في غياض أرض اليمن » . . . . . وما كنا نود من حضرة صاحب المشرق الأنور إلا أن يُصوِّر لنا هاتين الأمتين الأخيرتين وينشر صورتهما في مجلته حتى تكونا عنوانًا ناطقًا بما تنطوي عليه من الحقائق . . . .

على أننا لو قطعنا النظر عما في قصة هذا الزاغ من اختلاف الروايات ونزعنا عنها ما أُلبستهُ من قالب الغرابة مما لا يصدق على آلةٍ أو حيوان غير الانسان فليس في أصلها الذي لعلَّها بُنيت عليه

ما يُنكر على الزاغ لما هو مشهور عنهُ من قوة الحافظة وولوعه بترديد ما يسمعه فقد روى بلين أن غرابًا كان يحيي قيصر واوغسطس وتيبر بأسمآئهم وكان أحيانًا يملأ النفوس المحتشدة في الفوروم دهشًا وسروراً بترديده بعض فِقَر مما يسمعه من كلام الخطبآء . وان شيشرون بينا كان في إحدى خُطبه جعل الغراب يُردّد بعُنف وشِدّة Tace, nebulo (اخرس يا سفيه) ومالبث الغراب ان أسكت ذلك الخطيب الشهير دون استيفآء كلامه

وذكر شوانكفيلد أن فلاحًا ألمانيًا بينما كان يقطع أحد الغابات إذ سمع صوتًا من الجوّ يدعوه باسمه فرفع رأسه فرأى فوقه جماعةً من الطيور السود وقد إنقضَّ من بينها طائر وحلّق بعض حَلقات ووقع على كتفه فاذا هو غراب كان ذلك الفلاح قد ربّاهُ وعاش معه زمانًا ثم افترقا نحو عامين وقضى الله باجتماعهما

وذكر المؤرخ تورنس عن الملك فرنسيس الأول انه كان يستصحب إلى الصيد غرابًا أبقع فكان يطلقه على الطير إطلاق البازي حتى إذا فقأ الغراب عيني فريسته وعاد منتصراً وقف على يد مولاهُ وقال Nous avons fait bonne chasse Sire فالغراب والزاغ من الطيور القادرة على حكاية صوت الانسان وعليه فان جاز أن تقبل قصة الزاغ المذكور فلماذا نقول أنه « فونغراف » ولا نقول أنه مخلوق حيّ وقد حَفظَ تلك الأبيات كغيره من الغربان مادام الراوون لو صدقوا يزعمون أنه من المخلوقات الحيَّة . والقزويني نفسه الذي نَقَلَ عنه الدميري يقول في كلامه عن الغراب « و بعض الغربان يأتي بألفاظٍ صحيحةٍ لا يتهيأ مثلها للببغآء . . » ولكن هي الاهوآء تعمي وتصم

بيروت في ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٠

جبرائيل نحاس

- الرضى ثروة طبيعية والبذخ فقرٌ إصطناعي - سقراط
- ألفاقة أكبر المعلمات وأمضى مهماز للعقل والارادة
- ألمكر حكمةٌ مِعوَجَّة - فرنسيس بيكن
- ألنار مسبار الذهب والشدائد محكّ عظمآء الرجال
- ألغلام أشرس من جميع الوحوش وأردأهم فِطرةً - أفلاطون
- الشبيبة زمن البدآءة ومخزن الحياة الذي يفتح بابه على مصراعيه لتودع فيه الكنوز

الشعر والموسيقى

من الخطأ البيّن أنْ يُعرَّف الشعر بانهُ كلام موزونٌ مقفّى مختصّ بالانتاج الادبيّ لِما أنّ القصيدة نظمٌ متكلّم والتمثال والصورة والتلحين الموسيقي إنْ هي إلاّ منظومات عمليّة باعتبار أنّ ملتون وجوته لا يُعدّان اكثر مباراةً في النظم من فيدياس بازميله ورفائيل بإطار رسومهِ أو أثبت اثراً من بتهوفن في تلحينهِ سنفونياتهِ واوراتورياتهِ التي لم يتطالّ الى سماءها لما تَنَزّل بهِ من كرائهِ الأُمور وحواذب الخطوب على أنّ الولوع بالمثَل الأعلى والتمسك باهداب الجمال والحبّ وبذل الجَهْد في الحصول على المبادىء السامية تُعدّ ولا جرم من مميّزات الشعر واذا سلمنّا ان الشاعر يُعبّر للناس بقلمهِ عن صدقٍ لا ريب فيهِ كان بالمثل صانعُ التمثال الكامل وواضع اللحن الساميّ خليقَين بأن يتحدّياهُ في شرح ماهية هذا الصدق وبيان حقيقتهِ لأن العبرة بحاسّة الجمال التي انفعل بها كلٌّ منهم وتسلّطِ المَثل الأعلى على عقولهم معًا وليس أدلّ على ذلك من أنّ ملتون وَصَف الجنَّة وهو أعمى وأنّ بتهوفن الأصم لحَّن مقطوعاتهِ المعجزة من دون أن يسمعها

ويلحق بذلك الحماسة التي هي قوةٌ ونارٌ ذات وَهج بل قوة كهربائية عظيمة بها يستولي الانسان على العوالم ويقيّد النجوم بالسلاسل ويجمع أطراف الكرة الارضية وتحسرُ لهُ الطبيعةُ من نِقابها وتُلقي اليهِ مقاليد جوّها وترابها فيُخرج من باطن أرضها خالص النُضار وثمين الجوهر وبدونها يصير نكرة وقطعة مهملة ومعدوداً في القعائد فَشلاً ميت الحِس لا يُقدم على مهمة لقصر البصر وموت البصيرة . سَلْ وربك نابليون والاسكندر وقيصر عمّا اذا كانوا دوّخوا الممالك التي طمحوا إليها بأبصارهم بدون حوافز ؟ وهل سمعت أنّ صورةً رُسمت رسمًا رائعًا من دون حماسة محكمة أو همة قصيّة المرمى ؟

كلٌّ يعلم علم اليقين ان الطبيعة لا تحسر لنا اللثام عن أسرارها ولا تكشف لنا معالم الطريق الموصل الى أبعد الغايات إلا اذا شحذنا عزائمنا على الامعان في التنقيب واستنزفنا أيامنا في معاناة العلوم والفنون الجميلة بما أوتينا من إلهام وإيحاء وحب للجمال ولو كابدنا من ذلك كلهِ عقبة كؤوداء

وهل يوجد يا ترى حافز أبعد أمداً واشد تأثيراً من حافز الحب الذي هو ولا جَرم من أقوى الدعائم التي بُنيت عليها المُثُل العليا والاعمال الجليلة والجميلة ؟ لأن منهُ تولّد النبوغ والتضحية

مع العلم بان أحب الناس مَن كان أمضاهم عزيمة وأصدقهم شعوراً واكثرهم اضطلاعاً باعباء المهمات وعلى الجملة لولاهُ لما قامت للشجاعة في أبّان الجهاد قائمة أو صفا شراب الحياة من خُثارتهِ ولولا أن يتسلط على عقولنا حب الجمال ويزداد نطاقهُ سعة عما هو عليهِ الآن لما استقرَّ السلام وساد الوئام وشتَّان ما بين عالم أبدي وبين عالم مادي ؟ وشتان ما بين حب ايجابيّ وبين حب سلبي لما انَّ عقولنا وقلوبنا يجب ان تكون مُفعمة بالحب الطاهر الخالد حب الجمال الذي يدخل تحتهُ حب الصدق والأخلاق اتقآء لما تجرهُ علينا الشهوات المادية من أخطار وشرور

ومما لا شك فيهِ ان الطبيعة والفن والموسيقى وكل المظاهر الالهية التي تحيط بنا احاطة الهالة بالقمر ليست إلا عوامل نتزرَّع بها الى الوصول الى العالَم اللانهآئي وإلا بؤنا بالذل والخسران وقد سمعنا صوتاً خارجاً من الدُجى يقول

Life is done
Time ends, Eternity's begun and thou are judged for evermore.

فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد أوَ ما تخاف نقاش الحساب وإنما المرء مجزيٌّ بما أسْلف وقادمٌ على ما قدَّم (للامام عليّ بن ابي طالب)

وقد تفرّد فريق من الشعرآء الغربيين الذين ارتاضت لهم شمس القوافي مختارين من مَتاع الدنيا الجمال والحب أمثال هين وفرلين وطمسن وديفيز وأبدع ما ذُكِرَ من هذا النوع قول شاعر يقدِّس حب زوجتهِ كل التقديس

Your love to me is more
Than all world-riches and golden store; Beautiful love, until death shall part. It is mine, as you are-my own sweetheart !

واليكم ما معناه : « ان حبَّكِ لي لا يعادله كل خيرات العالم ولا كنوزه المليئة بالنضار واني أعاهدكِ على حبي لكِ يا حبيبة قلبي ! الى ان يُفرِّقنا هادم اللذات »

أما الموسيقى والشعر فلا يمكن التفريق بينهما لأنهما مُتَحدان اتحاداً كلياً بحيث أنهُ لا يُتصوَّر أن الذي يحب أحدهما لا يبالي بالآخر ولا غرابة اذا سلَّمنا بان الشعر هو موسيقى الالفاظ كما أن الموسيقي - على أصح تعريف - هي نظم الأصوات على حد قول جويس كيف بروان في مجلة « جريت ئوتس »

ولما اعتاد الشعرآء في كل بلاد العالم أن يسمعوا أنغام الموسيقى التي راقهم سماعها غِب

تفكيرهم المُضني بلغ تأثيرها عليهم أعظم مبلغ حتى تغلغلت في نفوسهم و اندمجت في صميم أعمالهم اذا ما شعروا بها أو كانوا لا يشعرون مصداقاً لما قالهُ « شِلي » الشاعر الانكليزي

Music when soft voices die vibrates in the memory...

ومن هنا يتَّضح ان الشاعر قد اتخذ الموسيقى اداة يعبر بها عن شريف وجدانهِ ومكنون ضميره واذا تصفحنا ما نظمه الشعراء في وصف الطبيعة تمثَّل لنا تغريد الطيور وحفيف الاشجار وخرير الجداول وتنهدات النسيم العليل ورنين اجراس الأنعام وصوت زمّارة الراعي وعدّة أصوات إخرى في الهوآء المُطلق على حد قول بيرون

There's music in the sighing of a reed There's music in the gushing of a rill. There's music in all things if men had ears; Their earth is but an echo of the spheres.

وقد أشار شكسبير في أبياته الآتية الى موسيقى الالوان ومثَّل لنا صورة مبتدعة من مخيلتهِ بأن شخصين جاسا على ضفة النهر يرقبان القمر وهو يضيء المروج الناضرة بنوره الفضيّ وكساها ثوباً من عنده وهي

Look how the floor of heaven Is thick inlaid with patines of bright gold; There's not the smallest orb that thou behold'st But in his motion like an angel sings, Still quiring to the young-eyed cherubins; Such harmony is in immortal souls But whilst this muddy vesture of decay Doth grossly close it in we cannot hear it.

واليكم ما تعريبه بتصرف قليل قال « تبارك الله الذي زين السماء بزينة الكواكب وضياء الثواقب انظر كيف جعل سُفلاها محُلاَّة بصفائح من لامع النضار واجرى فيها الكواكب التي تراها في فَلَكٍ دائر وسقف سائر تُرتِّل للشاروبيم ترتيل الملائكة فترجّعها الارواح الابدية ترجيعاًمنسجماً

وتَصَمّ آذاننا ولا تسمعهُ متى أسبل الشيطان سِتره عليها وكساها ثوباً من البِدَع والفجور »

ومن أبلغ ما نظمهُ شكسبير أيضاً في هذا الشأن زاجراً اولئك الذين لا يهتزون للموسيقى طرباً ولا يقيمون لها وزناً ونحن نورد نصهُ الانكليزي ايثاراً لفائدة المطالعين وحفظاً لجزالة الفاظه ورقة معانيهِ لأنَّ التعريب مهما كان دقيقاً لا يعطينا صورته الأصليـة وهاكم كلمتهُ الشعرية التي يعقبها ايضاح معناها

The man that hath uo music in himself Nor is not moved by concord of sweet sounds, Is fit for treasons, stratagems, and spoils; The motions of his spirit are dull as night and his affections dark as Erebus Let uo such man be trusted.

« اذا خلت نفس الانسان من الموسيقى وانعدم تأثرة من انسجام الاصوات الشجية كُتِب عليه الذل في أن لا يصلح إلا للخادعة ونصب الحبائل للناس اضراراً بهم فتخور عزيمتهُ وتموت مشاعرهُ وتظلم عواطفهُ كالليل الحالك ولا يكون أهلاً لأن يُخلَد اليهِ بالثقة » وقال ورد ثوورث

I heard a thousand blended notes While in a grove I sat reclined In that sweet mood when pleasant, thoughts Bring sad thoughts to the mind.

واليكم ما معناه « بينا كنت مضطجعاً بين أزاهير الرياض التي تبهج بزينتها القلوب وتقرّ النواظر سمعت مزيجاً من شجيّ الانغام التي تبلغ الالف عداً واصبح في ذلك المكان الجميل نزوعي الى المحبوب نزوعاً عنهِ لِما مثلته الالحان من شوق يتوهج وسلْوة مريرة . انظروا الى ما كان من اهتمام شعرآء الغرب بالموسيقي واتصالهم بعوامل الطبيعة - السفر الذي خطّهُ بقلمه الخلاق العظيم - ومن الغريب ان تكسو الطبيعة هذا الوادي حُلَّةً سندسية من رائع الجمال وأن يرق هوآؤه ويعذب مآؤه وبعض شعراء لغة الضاد لاهون عن وصف ما اشتملت عليه الطبيعة من المحاسن ومن تصفحَّ كتاب نهج البلاغة لسيدنا أمير المؤمنين على بن أبي طالب (رضهُ) يجد فيه من الأوصاف الطبيعية والحِكَم البليغة ما يحدونا على عبادة الخالق عزّ وجلّ والتمسك باهداب الفضيلة والدين ولا يستتب الوصول الى هذه الغاية إلا بمطالعة الكتب الجليلة والاشعار النقية الطاهرة فان لم يكن بدٌّ من النسيب والتغزُّل في الشعر فنحن نؤثر طريقة شعرآء العرب الأقدمين في ذلك مضافاً اليها استقرآء ما اشتملت عليه الطبيعة من جمال وموسيقى وروعة وحب ووئام جرياً على أساليب شعراء الغرب هدانا الله الى سواء السبيل (تعريب المؤلف)

- المرأة التي تتزوج مرة ثانية جديرة بالا تُحرم زوجها الأول — ادوار جارت
- لا تضمر اليأس من عملك بل ينبغي لك أن تضعه فوق السندان عشرين مرة — بوالو
- انّا نجد في هذا العالم شيئاً أحسن عندنا من السعادة وهو أن في الارض الأشد ظلمة وفي التربة الأكثر سَبخاً ينمو أنضر الزهور وينبت بين الصخور الصلبة الخمائل الضافية الظلال العالية التي تمدّ أغصانها صُعُداً نحو السمآء

القديس فرنسوى داسيز المتصوف

كلٌ يعلم من هو القديس فرنسوى داسيز - ذلك هو القديس القصير القامة الذي وَلِع بالعصافير والحيوان والزهور - على ما جآء بدايون الأشعار التي نظَمها تحت عنوان « زهور القديس فرنسوى الصغيرة » وُلد هذا القديس سنة ١١٨٢ وعاش وتعلَّم وانشأ جمعية الاخوة الفرنسيسكان في مدينة أسيز (من أعمال اومبريا) وهي قائمة فوق أكمة تُشرف على سهل فسيح خصب يبهج بزينة رياضه ويزدهي بما ألبسه من ناضر زهورهِ ويتباهى بما تلألأ في سمائهِ من بهيّ أنواره .

القديس فرنسوى داسيز المتصوف

وقد جرت العادة بأن تُقام في كل سنة الشعائر الدينية للغفران العظيم في اليوم الثاني من شهر اغسطس ويُحتفل بعيده المئوي لوفاتهِ في اليوم الرابع من شهر اكتوبر حيث يينع الزرع وتتدلى من شجر الكرم عناقيد العنب الأرجوانية فيؤتى أكلها وقد أُجرِي الاحتفال بعيدهِ المئويّ السابع في سنة ١٩٢٧ على ماهو معلوم .

ويكثر غرس شجر الزيتون في أرض أسيز التى تمتدّ محاذيةً جبل سوبازيو ومُكتنفة دير الفرنسيسكان وكنائس القديس فرنسوى الثلاث وكنيسة القديسة كلارا إلى أن تَصِل إلى كنيسة القديس داميان والكارسير وهو كوخ صغير مقامٌ في الغابة ليقضي فيهِ القديس فرنسوى أياماً معدودات لصلواتهِ وتأملاتهِ .

نظر هذا القديس إلى الدنيا نظر الزاهد فيها الصادف عنها وهو ابن أحد تجار المدينة الأغنياء وقد أُجري تعميده في كاتدرائية القديس روفينو وأُطلق عليهِ اسم « جون برنادون وقد عمد الأهلون إلى تعميد أطفالهم في نفس الجرن الذي عُمد فيه القديس فرنسوى وفي يوم عماده نفسهِ تيمناً بهِ واستبشاراً وسُميت عدة شوارع في المدينة باسمه واسميّ روح القُدُس والقديسة مريم الوردية

وأسماء الأخوة الأول الذين ائتموا بهِ في سنة ١٢٠٩ والذين حلفوا لهُ بالأقسام الرهبانية المغلّظة أن يجيبوا تعاليم الجمعية طائعين مقهورين بلا تلكؤ وغير زائغين عن سبيل مرضاة الله

وقد رأى - على ما رواهُ القديس بونافنتور - لأحد الساروفيم رؤيا بعد أن صام أربعين يوماً ومفادُها أنه ثقب قدميه ويديه وجنبهُ اليمين وطبع اندابًا فوق جلدهِ وفي وسط جبهته ائتمامًا بهدْي السيد المسيح ورمزاً إلى الجروح الأليمة التي نزلت بهِ (انظر صورتهُ)

كان فرنسوى الصغير أو "Piccolo Francesco" كما سماهُ والده الذي امتلأت مخيلتهُ بذكريات فرنسا مسترسلا في جهالته ودخل الحرب وجُرح في إحدى المواقع الحربية وكان بسبب ذلك الجُرح قد أصابهُ مرض طال زمانهُ فحَلَمَ في نومه أنه كان مقيماً في قصر مزوَّد بكامل الأسلحة التي إن هي إلا أسلحة روحية كما عناها الحلم ولما بلَّ من مرضه ذهب إلى روما وواثق بالله القديس بطرس وهو جاثٍ أمامه ليقضينّ بقية حياته في خدمة الدين ومؤاساة الفقراء ولما عاد من رحلته إلى أسيز اعتزل إلى كوخ الكارسير فخلا فيه مدة قضاها في التوبة والتأمل والقنوت على أنهُ بينما كان ذات يوم جاثيًا أمام صورة المسيح سمع صوتًا يناديه قائلا « ألا تعلم يافرنسيس أن بيتي قد خُرِّب وعَلِم من ذلك أن المقصود بالبيت هو كنيسة القديس داميان فما عتّم أن قام باصلاح ماهُدم منها وعمد إلى بيع بالة من أثمن البضائع التي كانت في مخزن والدهِ وقدَّم ثمنها إلى كاهن الكنيسة ظنًا منه أن لا جناح عليهِ في هذا الأمر مادام يعدّ نفسهُ شريكاً لوالده ولما تردَّد الكاهن في قبول هذه النقود منهُ في داخل كيس ضَرَبَ بهِ إطار الشباك المائل الى يومنا هـذا ويُعرَف بشباك النقود The "money window".

والذي يؤخذ من أقاويل الرواة إن والده لما علم بالأمر ضربه ضربًا مبرّحًا ففر هاربًا إلى كنيسة القدس داميان فلحق به والده ممتلئًا غيظًا فخلع فرنسيس كل ملابسه الغالية الثمن وسلّمها اليه ليُرصد نفسه لخدمة الله متقشفًا زاهداً فما كان من أسقف الابرشية إلا أن ألبسه رداء أحمر مائلا إلى الدُكْنة الذي ظل باقيًا إلى هـذا العهد شعاراً للجمعية الفرنسيسكانية وهو لباس من الصوف يشبه لباس الاخوان الصوفية .

كان القديس فرنسوى ينظم أشعارهُ في حديقة كنيسة القديس داميان ويخاطب العصافير فيها ويهتزّ طربًا لتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار فقد آتاه الله علمًا كما آتى سليمان عِلْمَ منطق الطير ولغة النمل وهو الذي سُخِّرَ لهُ مُلك الجنّ والإنس على ماجاء بالقرآن الكريم .

ومن مُستملح الأحاديث ما حكي عنه أنهُ كان يطير فؤاده فرحاً كلما سمع بخرير المياه وتغريد الطيور بدليل أنه كان يغني ويقول : الأرض أمنا والشمس أختنا والقمر أخونا والعصافير الصغيرة اخوتنا والزهور الناضرة اخواتنا . كل هذه الاشياء ليست دخيلة في الجامعة الانسانية بل أصيلة صريحة النسب لأنها تعبد مثلنا الاله الواحد القهار ومما تنبغي مراعاتهُ انا لم نذكر طرفاً من ترجمة هذا القديس إلا توطئةً لأن نفرد فصلا قائماً بذاته نشرح فيه ماهية التصوف وبيان حقيقته مما له علاقة بغرضنا وموعدنا الجزء الخامس إن شاء الله .

على أنه لايزال إلى اليوم يحج إلى كنيسته في كل سنة عدد لايُحصى من المسيحيين وبالتالي فقد انفردت اسيز باتقان عدة صناعات منها صناعة التطريز البديع بنوع خاص وبها فنادق وأديار للرهبان ومساكن خاصة ومخازن تُعرض فيها مصنوعاتها النفيسة التي تنم على أجل ذكريات هذا القديس الذي قُبض إلى رحمة الله منذ أكثر من سبعة قرون والذي لاتزال شمسه ساطعة الأنوار .

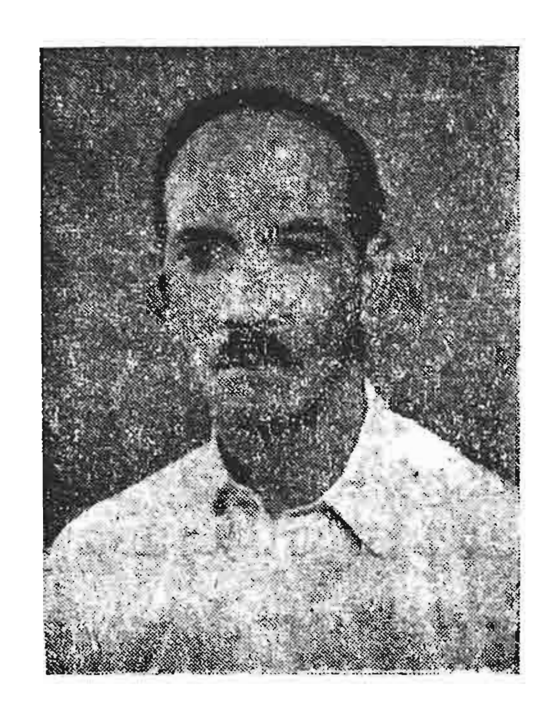
أغانينا بين الأمس واليوم

جاء بعدد المصوَّر الأغر بتاريخ ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٤١ مايأتي : وهذه كلمة من هاوٍ كبير وخبير مخضرم عاصر عبده الحمولي ومحمد عثمان كما عاصر المجددين المحدثين فأمكن أن يقارن بين الأمس واليوم . كان عبده الحمولي – مطرب الخديو اسماعيل – إذا غنى يطرب نفسه ثم يطرب الآخرين بقلب ملؤهُ العواطف والفرح ولقد إبتكر الحمولي وجدَّد ولحَّن فشاع في غنائهِ وألحانهِ ما يكنهُ وجدانهُ من مرَح وسرور بخلاف بعض المجددين الذين إذا غنّوا أحزنوا سامعيهم – على عدم رغبتهم في ذلك – لا لسبب إلا أن غناءهم وألحانهم تصوِّر وجدانهم المكتئب .

ومن الشروط الأساسية في حسن الغناء الاخلاص في التلحين والالقاء وخدمة الفن للفن دون النظر إلى جرّ المغانم والاثراء عن طريق ترويج ماهو سوقيّ وتجاريّ من الأغاني المائعة وإذا رجعنا إلى الماضي وجدنا ان ناظميّ أدوار عبده الحمولي ومحمد عثمان كانوا من أكابر الشعراء وجهابذة الأدب نذكر منهم اسماعيل صبري باشا وكيل الحقانية سابقاً والشيخ علي الليثي شاعر المغفور لهُ الخديو اسماعيل ومحمود باشا سامي البارودي والشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي الديار المصرية سابقاً ومن ناظميّ التواشيح الشيخ العروسي شيخ الجامع الأزهر سابقاً وأديب بك اسحق والشيخ نجيب الحداد ومَن اليهم .

لقد كانت منظومات وتوشيحات العصر الماضي تمازج الأرواح عذوبة ورقة وتُعد يتيمة في عالَم الخيال أما موسيقى اليوم فهي بكاء ونواح وتخنُّث وتهتك . .

قسطندي رزق



الاستاذ احمد رامي

احمد رامي

بعث الينا حضرة الأستاذ احمد رامي شاعر الشباب بأبياتٍ رقيقة ساحرة أشادَ فيها بذكرنا لقيامنا بأحياء ذكرى « عبده » وفنهِ فأحببنا إثباتها على صفحات هذا الكتاب لتكون حافزاً على التخلُّق بأخلاقهِ والتحلي بحلية صادق شعوره أعاننا الله على قضاء حقّهِ وآتانا لسان صدقٍ يقوم باعباء شكره واليكم كلمةُ الشاعرة

الى صديق الفن الأستاذ قسطندي رزق المؤلف

بَعَثْتَ ذكرى الحمولي بعد ما ذَهبَتْ أيامُهُ ومَضَتْ ألحانُ شاديها

وَصُغتَ آيةَ حَمدٍ في مناقبهِ جلَّ الذي كان بالاحسانِ مُهديَها

ولم تَزَلْ تتَقصّى وَصْف مجالسهِ حتى إنْجَلتْ كاسُهُ وافترَّ ساقيها

يا عاشق الفنّ دُمْ للفنّ تنشرُهُ صحيفةً تُرسلُ النجوى لتاليها

وعِشْتَ ماعَاش في أسماعنا نَغَمٌ يجلو عنِ النفسِ هَمًا بَاتَ يُضْنيها

فأنتَ (رزقٌ) لأرواحٍ مُعطَّشَةٍ الى سميرٍ يُناجيها ويُسليها

تحريراً بمصر في ٦/٣/١٩٤٧

احمد رامي
(الامضآء)

— لا تنزع الى طلب الصيت بل كن دائب السعي في أن تكون له أهلاً واذا عرف اسمك بضعةُ آلاف من المخلوقات فلا يغني ذلك عنك فتيلاً ما دام سكان العالم يبلغون ألف وأربعمائة مليون نفس (تعريب المؤلف)

ميخائيل بك تادرس

مَن تصفح ما كتبناهُ في الأربعة الأجزاء من هذا الكتاب عن عبده الحمولي ومفاخره وما كان لهُ من أثر في فنّ الغناء في عصر الخديو اسماعيل الذهبيّ ايقن ان شيئاً كثيراً مما ذكرناهُ من تاريخهِ وما تقلب فيهِ من أطوار الحياة يرجع الفضل فيهِ الى الراحل الكريم الذي أملى علينا من صادق الأخبار عنهُ ما أخلدنا اليهِ بثقتنا وجعلنا نقابل جميل صنعه بجميل ثنائنا فكان وايمُ الله مُهذَّب المنطق واسع الرواية صادق التمثيل لطيف المحاضرة منزَّهاً كصديقه عن الدعوى والكبر وكانت تتناثرُ دموعهُ في أثناء إفضائه الينا بوقائعه التي لا عدَّ



المغفور لهُ ميخائيل بك تادرس

لها في مخيلته والتي بها كُفينا مؤونة الطلب فأنصار عبده وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالذوق اللطيف والخُلق العظيم والأدب الرفيع لا ينقضون عهدهم وهم مُتمسكون بالامانة لا يجدون عنها مَحيصاً مهما تبدَّلت الأمور وتغيرت الأحوال كان والده تادرس بهنا بن بهنا بن بطرس حمامه من رؤساء موظفي

محافظة القنال في أواخر عهد سعيد واسماعيل وقد استصحبه والدهُ الى الاسماعيلية حيث كان عبده يستقبل الزوار مع كبار الموظفين وكانت الاستعـدادات قائمة على قدمٍ وساقٍ تمهيداً لافتتاح قناة السويس في يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ على ما ذكره لنا مفصَّلاً صاحبُ الترجمة وأولُ اندماجه في خدمة الحكومة كان في عهد اسماعيل وقد توظَّف في ديوان الجهادية فادارة فاوريقات الحكومة في الورش الأميرية التي كان سمو الأمير حسين باشا كامل رئيساً لها ثم انتقل الى الدائرة السنية بوظيفة رئيس قلم الايجارات تحت رئاسة احمد باشا فريد ولم تَبْلَ بينهُ وبين عبده على انهماكه في الأشغال عُرى المودَّة ولم تَنقطع مهما أسباب الاخاَء حتي أنهُ كان يسهر إلى طلوع الشمس لسماعهِ ومن ثمَّ يقصد إلى الديوان قبل جميع الموظفين لمباشرة أعماله الخاصة بادارة حركة نحو نصف مليون فدان بما في ضمنها من آلات بخارية ثابتة وسكك حديدية ومصانع لعصير السكر وحدث أن دعاه ذات يوم احمد باشا فريد الذي كان يَقدِر نزاهته قدرها وقال له يا مخائيل بك ! « إنك تمتاز بأمرين أولهما نبوغك وقدرتك على العمل وثانيهما شَغفُك بسى عبده الذي لا تُثبّطك عن سماعه الصعوبات فاذا سمعتهُ تأبى نفسك ألا تستريح في بيتك عقب السهرة بل تقصد مباشرةً الى الديوان قبل كل الموظفين وقبل وقت العمـل » وقد خَدَمَ الدولة المصرية زهاَء خمس وثلاثين سنة في عصور الخديوين إسماعيل وتوفيق وعباس وانتقل إلى جوار مولاه في ٧ مارس سنة ١٩٤١ وله من العمر تسعون سنة

ألّلهمَّ أكرِمْ لديك نزُله بين الصِديقين الأبرار لأنه أصلح مَثواهُ ولا باعَ آخرته بدنياهُ

الموسيقى فى مزامير داود والانجيل والقران

(مَن يقرأ مزاميرك يا داود فلا حول ولا)

(خروج – أصحاح ١٥ عدد ٢٠) فأخذت مريم النبيَّة أُخت هارون الدُّف بيدها وخرجت جميع النساَء وراَءها بدفوف ورقص . (مزمور ٦٨ عدد ٢٥) من أمام المغنون ومن وراَء ضاربو الأوتار في الوسط فتيات ضاربات الدفوف (صاموئيل الثاني أصحاح ١٩ عدد ٣٥) وهل اسمع أيضاً أصوات المغنـين والمغنيات فلما يكون عبدك أيضاً ثِقلاً على سيدي الملك . (صاموئيل الثانى

أصحاح ٦ عدد ٥) وداود وكل بيت اسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو و بالعيدان و بالرباب والدفوف و بالجنوك والصنوج

(قضاة أصحاح ١١ عدد ٣٤) ثم أتى يفتاح الى المصفاة الى بيته واذا بابنتــه خارجة للقآئه بدفوف ورقص

(قضاة أصحاح ٢١ عدد ٢١) وأنظروا فاذا خرجت بنات شيلُوهَ ليدرْنَ في الرقص فاخرجوا أنتم من الكروم واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأتهُ من شيلُوهَ واذهبوا الى أرض بنيامين . (صاموئيل أول أصحاح ١٨ عدد ٦) وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطينيِّ أنَّ النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغنآء والرقص للقآء شاول الملك بدفوف وصنوج ومثلثات

(مزمور ٣٣ عدد ٢) احمدوا الرب بالعود بربابة ذات عشرة أوتار رنّموا له

(مزمور ٨١ عدد ٢) ارفعوا نغمةً وهاتوا دُفاً وعوداً حلواً مع رباب

(أخبار الأيام الأُوَل اصحاح ٢٥ عدد ١) وافرز داود ورؤساء الجيش للخدمة بني آساف وهيمان ويدوثون المتنبئين بالعيدان والرباب والصنوج

(أخبار اليوم الأُول اصحاح ١٦ عدد ٥) آساف الرائس وزكريا ثانيه ويعيئيل وشميراموث ويحيئيل ومتثيا وآلياب وبنايا وعوبيد آدوم ويعيئيل بالآلات رباب وعيدان وكان آساف يُصوِّت بالصنوج وبنايا ويحزيئيل الكاهنات بالأبواق دائماً أمام تابوت عهد الله

(لوقا ١٥ عدد ٢٥) وكان ابنه الأكبر في الحقل فلما جآء وقَرُب من البيت سمع صوت آلات طرب ورقصاً (تكوين ٣١ عدد ٢٧) لماذا هربت خفيةً وخدعتني ولم تخبرني حتى أشيِّعَك بالفرح والأغاني بالدُّف والعود . (أيوب اصحاح ٢١ عدد ١٢) يحملون الدُّف والعود ويطربون بصوت المزمار (متى اصحاح ١٤ عدد ٦) ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرَّت هيرودس (تكوين اصحاح ٤ عدد ٢١) واسم أخيه يوبال الذي كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار . (أيوب اصحاح ٢١ عدد ١٢) يحملون الدُّف والعود يطربون بصوت المزمار وقد جآء بالقرآن الكريم في سورة الحديد « سبَّح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » وخاطب النبيَّ الله سبحانهُ وتعالى وقال « فسبِّح باسم ربك العظيم » وفي سورة المزمّل « يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً نصفهُ أوانقص منهُ قليلاً أو زد عليه ورتِّل القرآن ترتيلاً »

شكا عبده بصوته ظلم الاحتلال لمصر

كما استنهض همم العرب كلٌّ من ابراهيم اليازجي ومصطفى الرافعي بأقلامهما

كان الغناء في عصر الدولة العباسية تابعاً للشعر لما أنَّ الغناء تلحينهُ وقد بنى عليهِ القاضي أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الأغاني الذي جمع فيهِ أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وممَّن اختص بدراستهِ وتفهُّم أغراضهِ من الفلاسفة والكتاب والفضلاء الفارابي والرئيس ابو عليّ بن سيناء وابن باجة ويعقوب الكنديّ ومن على شاكلتهم مما جعل صناعة الغناء داعيةً الى مخالطة الملوك والسلاطين في خَلَواتهم ومجالس أُنسهم وجليلة الموقع في النفوس وغير قادحة في الشرف والجدّ والمروءة والحشمة

وإذا سلَّمنا ان الصوت سخَّره الله لتسبيح إسمهِ الأعلى فهو أيضاً اداة الشكوى من وجع او ضيم بدليل ان عبده الحمولي ليلة زفاف صاحبة العصمة صفية هانم كريمة المغفور له مصطفى باشا فهمي رئيس الوزراء إلى المرحوم سعد بك زغلول (آنئذٍ) شكا بصوته القويّ الجبّار استبداد الاحتلال مشاركةً للأمة المصرية في شعورها الوطني في دور مشهور نظمهُ اسماعيل باشا صبري ومطلعهُ « عشنا وشفنا سنين ومن عاش يشوف العجب . غيرنا تملَّك وصال (بواو العطف) واحنا نصيبنا خيال فين العدل « يا منصفين » ويُستنتج من ذلك ان المطرب كالشاعر فهو يمثل أصدق تمثيل ما في نفسه من انفعالات ونزعات وعوامل نفسانية

وأول من شكا الظلم الذي حاق بالعرب من شعراء الشرق الشيخ ابراهيم اليازجي الذي استنهض همم العرب استرجاعاً لمجدهم القديم وللزياد عن حوزة وطنهم العزيز بقصيدة حماسية نظمها عند مخاض الثورة العربية سنة ١٨٨٣ نجتزيء منها بالأبيات الآتية :

تنبهوا واستفيقوا أيها العربُ	فقد طمى الخطبُ حتى غاصتِ الرُكَبُ
فيم التعلُّل بالآمال تخدعُكم	وأنتمُ بين راحات الغنا سُلَبُ
الله أكبرُ ما هذا المنامُ فقد	شكاكُمُ المهدُ واشتاقتكُمُ الرُتَبُ
كم تُظلمونَ ولستم تشتكون وكم	تُستغضبون فلا يبدو لكم غَضَبُ
سلاحُهم في وجوهِ الخصمِ مكرهمُ	وخيرُ جندهم التدليس والكَذِبُ
لا يستقيمُ لهم عهدٌ اذا عقدوا	ولا يصحُّ لهم وعدٌ اذا ضربوا

اذا طلبتَ الى ودٍّ لهم سبباً ... فما الى ودّهم غير الغنى سبب
والحقّ والبُطلُ في ميزانهم شَرَعٌ ... فلا يميل سوى ما مَيَّل الذهبُ
باتت بمال نعاج بين أذرعكم ... وبات غيركمُ للدَرّ يحتلبُ
فصاحبُ الأرض منكم ضمن ضيعتهِ ... مُستخدَمٌ وربيبُ الدار مُغتربُ
باللهِ يا قومنا هبّوا لشأنكمُ ... فكم تُناديكمُ الأشعارُ والخُطَبُ
فيا لَقومي وما قومي سوى عربٍ ... وان يُضيَّعَ فيهم ذلك النسبُ
لم يبقَ عندكُمُ شيءٌ يضنُّ بهِ ... غير النفوس عليها الذلّ ينسحِبُ
وَمن يعشْ ير والأيامُ مقبلةٌ ... يلوحُ للمرء في أحداثها العجبُ

ونحن نورد شيئاً من مثل ذلك هنا كقول الرافعي يذكر مجد الشرق القديم في قصيدة ومنها

ألست ترى العرب الماجدين ... وكيف تهدَّم مجدُ العرب
فأين الذي رفعتهُ الرماحُ ... وأينَ الذي شيَّدتهُ القُضُب
وأين شواهقُ عزٍّ لنا ... تكاد تمسُّ ذُراها السُحُب
لقد أشرق العلم من شرقنا ... وما زال يَضؤلُ حتى غرب

على أن أفضل ما يتوسل به اساتذة الفنون والحكمة وقادة طلاب العلم فى عصر الفاروق الذهبي التمسك بقواعد فننا الرفيع وأصوله والجهاد في سبيل المحافظة على تقاليدنا الشرقية وبث روح النخوة والحمية في نفوس الشبان من طريق الصوت الذي تسمعه بالمذياع الأقطار الشقيقة رمزاً إلى ما نكنه من عواطف نبيلة وسجايا سامية وابقاء لآثار السلف الصالح والله يحكم ولا معقّب لحكمهِ

تقاريظ الجرائد والمجلات للجزء الثالث من كتاب « الموسيقى الشرقية الخ »

انا نورد ماجاء بالمقطم الاغر بتاريخ ٢٨/٦/١٩٤٦

« الموسيقى الشرقية والغناء العربي » .

أصدر حضرة الأديب المعروف الأستاذ قسطندي رزق الجزء الثالث من كتابهِ « الموسيقى الشرقية والغناء العربي » ورفعهُ إلى مقام جلالة الملك فاروق علامةَ ولاءٍ واخلاص لعرشهِ وإقراراً بفضل جَدّهِ العظيم الخديو اسماعيل على الفنون الجميلة .

والذين طالعوا الجزءين الأولين من هذا الكتاب لاحظوا بلا مرآء مافيهما من شدة عناية

المؤلف بالموسيقى الشرقية وجهادهِ في صَونها من العبث باصولها وقواعدها وسيجدون هـذه العناية نفسها واضحة في هذا الجزء الثالث .

وقـد ازادان هـذا الجزء بصورة رائعة لجلالة الملك وتحتها أُغنية كانت معروفة في عهد عبده الحمولي وهي : الله يصون دولة حسنك . على الدوام من الزوال .

وجاءت بعد كلمة الاهداء والمقدّمة فصول ممتعة في تاريخ حياة المغفور لهم الملك فؤاد والخديو توفيق والسلطان حسين وتشجيعهم للتعليم والموسيقى والتمثيل

ثم عَقدَ المؤلف فصلاً للخديو اسماعيل روى فيهِ كيف كان يقدِر المغنين قدرهم وما بلغهُ عبد الحمولي في زمنهِ من الشهرة وتتالت فصول الكتاب كالدرّ المنظوم دالة كلها على اطلاع واسع وإلمام تامّ بالفن الموسيقيّ وتاريخ رجالهِ لا في مصر وحدها بل فيها وفي غيرها من البلدان ومن هذه الفصول فاجنر وساكنة واسمعيل صبري والفنّ البيزنطي والفن العربي وحماية حقوق المؤلفين وسيكولوجيا الموسيقي (وهذا الفصل هو للدكتور أمير بقطر) ونظرات عابرة في الموسيقى الشرقية (بقلم الأب الفونس الصباغ) ولدويج فان بتهوفن (بقلم الآنسة ميّ رحمها الله) وأشعار منقولة عن كتاب الأغاني في غَزَل المطربين وتشبيبهم وعـدة فصول أخرى لاسبيل الى سردها واحداً واحداً وفيها من طرائف البحث ما يُشوّق القارىء الى قرآتها والخلاصة أن هذا الكتاب باجزائه الثلاثة من أنفس ما يُقتنى في المكتبات الخاصّة ولا سيما لعشاق الموسيقى والغناء وأخصُّهم أبناء المدرسـة الغنائية العبده الحمولية جزى الله مؤلفهُ الأديب خير جزآء على ما أسدى إلى الفنّ وأهلهِ من خدمة تُذكر لهُ بجميل الثناء .

وجاء بمجلة الصخرة الغرآء المؤرخة في شهر يوليو سنة ١٩٤٦ التقريظ الآتي

الموسيقى الشرقية والغناء العربي .

كنا قد بشَّرنا قرآء مجلتنا الكرام بقرب صدور الجزء الثالث من هذا السفر الجليل « الموسيقى الشرقية والغناء العربي » لمؤلفهِ الكاتب الأديب الأستاذ قسطندي رزق وها هو قد نجز طبعهُ بالمطبعة العصرية وأهديت الينا نسخة منهُ فاذا به – كجزءيه السابقين – يختال في ثوب قشيب من جودة الورق ودقة الترتيب وبديع الرسوم واتقان الطباعة ناهيك بلهجته الصادقة ولغتهِ الرائقة وموضوعاته الشائقة وقد رفعه مؤلِّفهُ إلى مقام صاحب الجلالة فاروق الأول مليكنا المعظم نصير

العلم والفن والأدب وافتتحه بصورة رائعة لجلالته إظهاراً لصدق ولائه وحارّ دعائه بتوطيد عرشه ودوام عزّه ولا يكاد المرء يتلو الصفحة بعد الصفحة من هذا الكتاب حتى يلمس ماعاناهُ واضعهُ من مجهودٍ جبَّار في سبيل إخراجه فمن تواريخ نفيسة ونوادر حكيمه عن الخديو اسماعيل والخديو توفيق والسلطان حسين والملك فؤاد وسواهم من الملوك والسلاطين والعظماء يُستفاد منها كبير تقديرهم للموسيقيين الفنيين إلى معلومات طريفة عن كثيرٍ من المؤلفين في هذا الفن من شرقيين وغربيين إلى أحاديث علمية عن الفن البيزنطي والفن العربي إلى مقالات مفيدة كتبها أشهر رجالات الشرق الأقدمين والمعاصرين في الموسيقى والتمثيل والغناء العربي وما إلى ذلك مما يشرح الصدور ويكسب القارىء معرفة وعلماً حتى جعل المؤلف كتابهُ تحفة ثمينة في الفن والأدب والاجتماع والفلسفة والتاريخ ونحن نشكر لحضرة الاستاذ قسطندي رزق هديته الثمينة ونحث القرآء على اقتناء مؤلفهِ هذا الذي نرجو له كل رواج

وجاء في تقريظ الاهرام الغرآء بتاريخ ٢٢/٧/١٩٤٦ ما يأتي :

الموسيقى الشرقية والغناء العربي .

نشرت « المطبعة العصرية بالفجالة » الجزء الثالث من الكتاب الفنّي القيّم الذي وضعهُ (الأستاذ قسطندي رزق الله) عن « الموسيقى الشرقية والغناء العربي » وبسط فيه الحديث عن تاريخ هـذا الفن الجميل والى أعلامه البارزين مع الاشارة الى نُصرة الخديو اسماعيل للفنون وقد رفع الأستاذ المؤلف كتابهُ هذا الي مقام جلالة الفاروق المعظَّم حفيد اسماعيل الكبير .

وهو يقع في مائتي صفحة كبيرة وثمن النسخة أربعون قرشاً وكتبت مجلة الصباح بتاريخ ١٣ يونيه سنة ١٩٤١ تحت رسم المطربة « ساكنة » المُهدَى منا لهـا ما يأتي

أهديت هذه الصورة إلى « الصباح » من الأستاذ قسطندي رزق وهي المرحومة « ساكنة » أولى (العوالم) اللواتي ظهرن في عهد الخديو « عباس الأول » وكانت حسنة الصوت متفوقة في فن الغناء كما أنها كانت على جانب كبير من الذكاء وسرعة الخاطر وبداهة النكتة وعفّة اللسان وحسن الأحدوثة وظل هذا شأنها حتى تألق في سماء الفن نجم « ألمظ » فأشفقت « ساكنة » أن تطغى عليها فألحقتها بتختها ولكن ما لبثت « ألمظ » أن ألفّت تختاً خاصاً لها وبهذا أخذ نجم « ساكنة » في الأفول ونجم « ألمظ » في الصعود إلى أن ماتت « ساكنة » في عهد الخديو اسماعيل .

انتهى طبع الجزء الرابع في ٢٥ مارس سنة ١٩٤٧ وسيليه الجزء الخامس إن شاء الله

فهرست المواد

